حكايات الحيوان في النّثر العربيّ

في

القرنين الثالث والرّابع الهجريين

إعـداد

سوزان نعيم أسعد الحلو

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ...

المشرف

الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في

اللغة العربيّة وآدابها

كليّة الدّراسات العليا

الجامعة الأردنيّة

أيـار ٢٠٠١م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرّسالة وأجيزت بتاريخ ٢٠/ ٥ / ٢٠٠١م

أعضاء لجنة المناقشة	التّوقيع
الأستاذ الدُّكتور صلاح جرّار، رئيساً	.....
الدُّكتورة عصمة غوشة، عضواً	.....
الدُّكتور ياسين عايش، عضواً	.....
الدُّكتور محمّد الدّروبي، عضواً	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــداء

إلى الّذين أسكنوني فسيح قلوبهم وسماء أحلامهم
فأسكنتهم دفء كلماتي

إلى والديّ، وإخوتي: رانية، سلوى، عليّ...
والرّائعة تهاني عبد الفتّاح شاكر، أختي ورفيقتي وصديقتي...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشُّكر كلّـه

لله عزّوجلّ

ومِنْ ثمّ...

لأستاذي الفاضل الدّكتور صلاح جرّار، الّذي أغنـى رسـالتي بآرائـه القيّمة وتوجيهاته السّديدة.

ولأساتذتي الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة:

د. عصمة غوشة

د. ياسين عايش

د. محمّد الدّروبي

الّذين تحمّلوا أعباء قراءة هذه الرّسالة ومناقشتها.

ولأختي الحبيبة رانية، رفيقتي وصديقتي...

ودائماً وأبداً لأُمّـي...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتـــــوى

قرار لجنة المناقشة ..... ب

الإهـداء ..... ج

الشكـر ..... د

قائمة المحتويات ..... هـ

الملخص باللغة العربيّة ..... و

المقدّمـة ١

الفصل الأوّل: حكاية الحيوان: تعريفها وأنواعها ونشأتها ٣

الفصل الثاني: حكاية الحيوان النثريّة في القرن الثالث الهجريّ ٧٥

الفصل الثالث: حكاية الحيوان النثريّة في القرن الرّابع الهجريّ ٩٨

الخاتمـــة ١٦٥

المصادر والمراجع ١٦٨

الملخص باللغة الإنجليزيّة ١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُلَخَّـص

حكايات الحيوان في النَّثْر العربيّ في القرنين الثَّالث والرّابع الهجريين

إعداد

سوزان نعيم أسعد الحلو

المشرف

الأستاذ الدُّكتور صلاح جَرَّار

تنهض هذه الدِّراسة بمسؤوليّة التّعريف بحكايـة الحيـوان وأنواعـها، وتتبّـع نشأتها ونموّها في الأدب الإنسانيّ القديم والأدب العربيّ، وتمضـي هـذه الدِّراسـة شيئاً فشيئاً في كتب القرنين الثّالث والرّابع الهجريين، باحثـةً عمّـا روي فيـها مِـنْ حكايات، سواء أكـانت هـذه الحكايـات موروثـة أم موضوعـة في هذيـن القرنـين، مستضيئةً بسمات تلك الفترة وأحداثها في الكشـف عَـنْ أبعـاد هـذه الحكايـات، وغايـات رواتـها وواضعيـها، مسـتندةً في تحليلـها ودراسـتها إلى منـهج "تضـافر المعارف"، الّذي يستضيءُ بمختلف المعارف والمناهج.

اتخذت حكاية الحيـوان عـبر السـنوات الطويلـة أشـكالا مختلفـة، أقدمـها "الحكاية الشارحة"؛ التي فسر بمقتضاها الإنسان بعض مـا عجـز عـن فهمـه مـن سمات الحيوانات أو النباتات وخصائصها. وقد كانت هذه الحكايات على بسـاطتها، المنطلـق لنشوء نوعيـن أدبيـين مـن حكايـات الحيـوان؛ همـا: "خرافة الحيوان"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و "ملحمة الحيوان"، وقد وفّر هذان النّوعان أقنعةً ورموزاً أدبيّة قادرة على التّعبير عن القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والفكريّة، دون اصطدام بالسّلطة أو المجتمع، وبينما اتّخذت ملحمة الحيوان لتبليغ أغراضها ثوباً شعريّاً، فإنّ خرافة الحيوان اتّخذت ثوباً شعريّاً أو نثريّاً.

ثمّ إنّ الأدب العربيّ القديم، قدّم نوعين نثريين جديدين من حكايات الحيوان، كان الأوّل نتاج العصر الجاهليّ، وثمرة أصيلةً لملاحظات أفراده حول سمات بعض الحيوانات أو النّباتات وخصائصها، وما قوي في نفوسهم مِنْ نزعة عصبيّة قبليّة، وقد أطلقنا على هذا النّوع من الحكايات مصطلح "مفاخرات الحيوان ومنافراته". أمّا النّوع الثّاني فتلك الحكايات النّثريّة الطّويلة، الّتي خرجت مِنْ عباءة "كليلة ودِمنة"، ومِنْ رفض العربيّ المفكّر لمختلف أنماط الظّلم والبطش والفساد، وقد أطلق محمّد رجب النّجّار على هذا النّوع من الحكايات مصطلح "رواية الحيوان النّثريّة".

٥٤٢٤٨٤

استقى العربُ حكايات الحيوان مِنْ جذورها الأولى؛ في العراق أو سورية أو مصر، ثمّ نما هذا اللون لديهم في الجاهليّة والعصور الإسلاميّة، واحتفى القرنان الثّالث والرّابع الهجريّان ـ تذوّقاً واستلهاماً وإبداعاً ـ بحكايات نثريّة كثيرة على لسان الحيوان، كانت ـ على اختلافها ـ رفضاً للظّلم، وثورة على النّظم السّياسيّة القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدّمـــــة

هي ابنة النّفس الإنسانيّة، هذي الّتي ترصُدُ ما تراهُ في عالمها، وتعيد تقييمـه ومحاكمته في ضوء تجاربها ومنطقها وفلسفتها.

هي سلاح الحكمة في مواجهة البطش والسُّلطة المستبدّة، وصرير القلـمِ إزاء صليل السّيوف وغطرسة الطّغاة وتجبّرهم.

هي مرآة قابل فيها الإنسـانُ حقيقتَـه عاريـةً مـن أيّ زيـف، فتبسّـم عابسـاً، وضحك منها باكياً، ومدّ يديه إليها راجياً دفع ما يكدّر صفحتها مِنْ شوائب وغبار.

وبعد... هي حكايات الحيوان، أحد أقـدم أنمـاط القـصّ الشّـعبيّ، وأكثرهـا جدّيّة وحيويّة، بل وذيوعاً وانتشاراً في الآداب المختلفة قديمها وحديثها.

ولأنّ هذه الحكايات كانت الأقدر على البقاء؛ ذلك أنّها ظلّـت محـور تـذوّق واستلهام ومحاكاة، ولما لها من أهميّة بالغة في انتشـار فـنّ الحكايـة وتطـوّره، ولأنّـها تحكي وتسلّي وتعلّم، وتوفّر إلى ذلك أقنعةً ورموزاً أدبيّة قـادرة علـى التّعبـير عـن القضايا المختلفة دون اصطدام بالسّلطة أيّاً كـان نوعـها؛ فقـد غـدت مـادّة خصبـةً للدّراسة المتأنّية الجادّة.

تستمدُّ هذه الدّراسة جواز مرورها، مِنْ قلّة الدّراسات الّتي تصدّت لموضوع حكايات الحيوان، ومِنْ إيجاز ما قيل في هذه الحكاية تعريفاً وأنواعاً ونشأة، ومِنْ عدم وجود دراســة تتنـاول حكايـات الحيـوان في القرنـين الثّـالث والرّابـع الهجريـين، وتستضيء بسمات تلك الفترة؛ في الكشف عن غايـات هـذه الحكايـات، ومرامـي رواتها وواضعيها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتستند هذه الدّراسة إلى منهج "تضافر المعارف"؛ الّذي يستضيء بمختلف المناهج والمعارف، فتعنى بالكشف عن الجوانب النّفسيّة والاجتماعيّة والجماليّة في دراستها لحكايات الحيوان في القرنين الثّالث والرّابع الهجريين، كما تهتمّ بتحليل هذه الحكايات من الدّاخل.

تجيء هذه الدّراسة في ثلاثة فصول، في الأوّل منها؛ سأحاول التّعريف بمفهوم حكاية الحيوان وأنواعها، وتتبّع نشأتها ونموّها في الأدب الإنسانيّ القديم، ومن ثمّ في الأدب العربيّ حتّى نهاية القرن الثّاني للهجرة.

وسأتوقّف في الفصل الثّاني، عند حكايات الحيوان النّثريّة في القرن الثّالث الهجريّ، من خلال دراسة نوع هذه الحكايات وأغراضها.

بينما سأتوقّف في الفصل الأخير من هذه الدّراسة، عند حكايات الحيوان النّثريّة في القرن الرّابع الهجريّ، محاولةً الكشف عن خصوصيّة تلك الفترة الزّمنيّة، فيما تطرحه هذه الحكايات من مضامين، وما تعالجه من قضايا.

وبَعْد... لا يفوتني هنا أنْ أتقدّم بجزيل الشُّكر ووافر الامتنان، للأستاذ الدّكتور صلاح جرّار لما له من دور عظيم في إنجاز هذه الدّراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفَصْلُ الأوّل

حكايــة الحيــوان:تعريفــها وأنواعــها ونشــأتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ . التَّعْريف بحكايةِ الحيوان وأنواعِها

يُجْمِعُ أغلبُ الدّارسين في تعريفهم لحكاية الحيوان، على أنّها شكلٌ مِنْ أقدم أشكال الأدب الشّعبيّ، وهي حكايةٌ تدور على ألسنة الحيوانات والطّيور والحشرات الّتي تسلك فيها سلوك الإنسان، محتفظةً فضلاً عن ذلك بسماتِها الحيوانيّة، وقد تجيء هذه الحكايات على لسان النّبات أو الجماد، وتقدّم في أبسط صورها تفسيراً أو تعليلاً أو ربّما رؤيةً للإنسان الأوّل إزاء الظّواهر الطّبيعيّة، وقد ترتقي ليصبحَ الحيوان فيها قِناعاً لمنطق إنسانيّ، تُطْرَحُ مِنْ خلاله قضايا خُلقيّة أو تعليميّة أو نقديّة أو فكريّة فلسفيّة[١].

تلتقي التّعريفات المختلفة لحكاية الحيوان عند نقطة واحدة، حين تجعل حكاية الحيوان الشّارحة The Beast Etiological Tale هي الأسبق زمنيّاً، والنّوع الأبسط الّذي تطوّر فيما بعد ليتمخّض عن تطوّره ظهور نوعين أدبيين مِنْ حكايات الحيوان هما: الخرافة Fable أو خرافة الحيوان The Beast Fable، وملحمة الحيوان أو ملحمة الوحوش، وهذان النّوعان لهما الأهميّة ذاتها، مع شيء من الاختلاف في الرّسالة الّتي يحملانها وطريقة إيصالها[٢]؛ يقول ألكساندر كراب:

---

(١) انظر: عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٢٩-٣٠؛ ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١١٤؛ فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ ص١٧٥-١٧٦؛ ليلى سعد الدّين، كليلة ودمنة في الأدب العربيّ، ص١٤٩.

(٢) انظر: ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١٢١؛ عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٣؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«ولقد تتفرّع حكايات الحيوان الشّارحة إلى فرعين أدبيين يتساويان في الأهميّة، هذان هما: الخرافة وملحمة الحيوان»[١].

غير أنّ مِن الضّروري أنْ نضيف أنّ تفرّع الحكاية الشّارحة إلى نوعيْن، لا يعني بالضّرورة تزامن نشوء هذين النّوعيْن، ولعلّنا لا نجانبُ الصّواب إذا قلنا: إنّ الخرافة كانت أسبق نشأةً من ملحمة الحيوان/ الوحوش، الّتي استفادت من التّقاليد الفنّيّة للخرافة والملحمة معاً، وتطوّرت عنهما[٢].

كما أنّ من الضّروري أنْ نضيف أيضاً، أنّ الأدب العربيّ استطاعَ أنْ يقدّم نوعين نثريين جديدين مِنْ حكايات الحيوان، النّوع الأوّل كان نتاج العصر الجاهليّ، وثمرةً لالتقاء ملاحظات أفراده حول سمات بعض الحيوانات أو النّباتات، وما قوي في نفوسهم مِنْ نزعة عصبيّة قبليّة عرف بها المجتمع الجاهليّ، ولقد أطلقنا على هذا النّوع من الحكايات مصطلح "مفاخرات الحيوان ومنافراته"، ففي هذه الحكايات يقف الحيوان أو النّبات مفتخراً بما يملكه من محاسنَ وسمات، أو منتقصاً بعض سمات غيره، معرّضاً بها.

أمّا النّوع الثّاني، فقد تطوّر عن خرافة الحيوان، أو بشكل أكثر دقّة نشأ عَنْ معارضة كتاب "كليلة ودمنة" ـ أحد الأمثلة على الخرافة ـ نثراً؛ لذا فإنّ هذا النّوع كان أقرب إلى خرافة الحيوان مِنْ حيث ما يوفّره مِنْ أقنعة ورموز أدبيّة قادرة على التّعبير عن القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والفلسفيّة والتّربويّة التّهذيبيّة، غيْر أنّه يفترق عن خرافة الحيوان في الشّكل الّذي يستعيره للتّعبير عَنْ ذلك كلّه أو بعضٍ

---

(١) ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١٢١.

(٢) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، مجلّة عالم الفكر، المجلّد الرّابع والعشرون، العددان ١/ ٢، الكويت، ١٩٩٥م، ص٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منه؛ فَحكاية الحيوان هنا طويلة ومتفرّعة الأحداث ومتعـدّدة الشّـخصيّات بمـا لا تحتملـه الحكاية القصيرة[١]، ولكنّها فضلاً عن ذلك تنجح في تقديـم موضـوع قصصـيّ واحـد متكامل[٢]، ولعلّ عزّة الغنّام هـي أوّل مَـنْ أشـار إلى هـذا النّـوع، حـين صنّفـت حكايـة "الأسد والغوّاص" على أنّها رواية Novel[٣]، وهي إحدى الأمثلـة علـى هـذا النّـوع، ووافقها محمّد رجب النّجّار في ذلك، واستطاع أن يجمع من الأدب العربيّ القديم أمثلـةً على هذا النّوع مـن الحكايـات، ويقدّمـها تحـت مصطلـح جديـد هـو "روايـة الحيـوان النّثريّة"، الّتي انفرد بها الأدب العربيّ القديم عَنْ سواهُ من الآداب القديمة الأُخرى[٤].

ب. أنواع حكاية الحيوان في الأدب الإنسانيّ

١. حكاية الحيوان الشّارحة

إنّ الطّبيعة بما فيها من حيوانٍ ونباتٍ وجمادٍ، وما تَحْفِلُ به من ظواهرَ طبيعيّة، كانت منذ البدء، منذ طفولة الجنس البشريّ، موضعَ اهتمام الإنسان، ومحفّـزاً دائمـاً لتفكيره وتأمّلاته، ومثيراً لكثير من الأسئلة، الّتي حاول الإجابة عنها؛ إذكـاءً للفكـر، وإعمالاً للتّصوّر، ومدعاةً لكثير من التّخيّل.

فما يتّسم به حيوانٌ عن غيره، وما ينفردُ به نباتٌ عن آخرَ، من لونٍ أو صفـةٍ أو شكلٍ، كان محورَ ملاحظةِ الإنسان الأوّل، ومحطّ انتباهـه، وأخـيراً دافعـاً للتّسـاؤل والمعرفة، ومحرّضاً على تحقيق إجابةٍ تقدّمُ الشّرحَ وتحقّقُ الإبانة، «ولـمّا لم يكن هـذا

---

(١) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩١.

(٢) انظر: عزّة الغنّام، الفنّ القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرّابع إلى القرن السّابع، ص٢٤١.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص٢٤١.

(٤) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنسان البدائيّ يعرف المعلومات الّتي يعرفها علماء الحيوان أو النّبات المحدثون؛ فقد كان هذا الإنسانُ يخترع ذلك القصص الّذي يستطيعُ أن يمدّه بالتّفسيراتِ المطلوبة»[١].

ويمكن القول: إنّ ما يُعنى مِن الحكايات بإيجاد تفسيرات أو عِلل لظواهرَ تتعلّق بالحيوان ـ وتشمل كلمة الحيوان عدا الحيوانات الطّيورَ والحشرات ـ أو النّبات، هو ما تعارف الدّارسون على تسميته حكاية الحيوان الشّارحة أو التّعليليّة أو المفسِّرة، ولعلّ إطلاقَ مثل هذه التّسمية على حكايات قد يكون البطلُ فيها نباتاً، جاء من باب التّغليب؛ أي كثرة حكايات الحيوان وشيوعها وغلبتها على تلك الّتي لا يكون البطل فيها حيواناً.

ومن الجدير بالذّكر أنّ مِنَ الدّارسين مَن يطلق على هذا النّوع من الحكايات اسم "الخرافة"[٢]؛ وهي الحكاية الّتي تأتي على لسان الحيوان أو النّبات أو الجماد أو الإنسان لغرضٍ أو غاية، ومنهم من يطلق عليها اسم "الفابولا"[٣]، وهذه الصّيغة مأخوذة من الكلمة الإنجليزيّة "Fable" وتعني الخرافة أيضاً.

إنّ تساؤلَ الإنسان الأوّل عن عدم وجود ذنَب للدّبّ، جعلَهُ يختلق الإجابة الّتي تقول: إنّ الدُّبَّ أضاع ذنَبه. غير أنّ هذه الإجابة القصيرة لم تكن مقنعةً وكافية، ولم تمنع الإنسان من السّؤال مرّةً أُخرى عن كيفيّة حدوث ذلك، وهذا السّؤال الجديد أثمر تلك الإجابة القصصيّة الّتي تحكي لنا «أنَّ ثعلباً تحدّى دبّاً [بأن] يغمسَ

---

(١) ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١١٤-١١٥.

(٢) انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٠-٨١.

(٣) انظر: ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذيله في الماء ويصطاد به السّمك، وكيف أنّ الماء تجمّد حول ذنبه، وكيف أنّه اندفع ناجياً بنفسه، ففقد ذنبهُ أثناء ذلك»[١].

أمّا لماذا للجمل أُذنان صغيرتان؟... فالإغريقُ تقول: إنَّ الجمل لم يكن قنوعاً، وتوسّل إلى الإله "زيوس" أن يمنحه قروناً، فعاقبه بأذنَين صغيرتين[٢].

ثمَّ إنَّ قدرةَ الثّعبان على نضوِ جلدِهِ، بما تعنيه من تجديد للحيويّة، جعلت الإنسان يعتقد بخلود الثّعابين، ولكنّ حيرتَه أمام قدرة الثّعبان هذِهِ، وعجزه هو عن ذلك، قادته إلى ابتداع القصّة الّتي تقول: «إنَّ الثّعبان خدع الإنسان، وجرّده من خلوده، وانتحل هذا الخلودَ لنفسه»[٣].

ومثل ذلك الحكاية الشّارحة الّتي يشير إليها الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في كتابه "الحيوان"[٤]، ويرويها النّويري (ت٧٣٣هـ) في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب"[٥]، مع ما قيل فيها من أشعار تنسب إلى أُميّة بن أبي الصّلت (ت٥هـ)، وهذه الحكاية تفسّر عجز الدّيك عن الطّيران وتمكّن الغراب من ذلك، كما تفسّر سبب صياح الدّيك صباحاً، تقول هذه الحكاية: «إنّ العرب كانت تزعم أنّ الدّيك كان ذا جناح يطير به في الجوّ، وأنّ الغرابَ كان ذا جناح كجناح الدّيك لا يطير به، وأنّهما تنادما في حانةٍ يشربان، فَنَفِدَ شرابهما، فقال الغرابُ

---

(١) ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١١٥.

(٢) انظر: فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافيّة، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، ص٩١.

(٣) ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١١٦.

(٤) انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٢، ص٣٢٠، ٣٢٥-٣٢٦.

(٥) انظر: النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، السّفر العاشر، ص٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للدّيك: لو أعرتني جناحك لأتيتك بشراب. فأعاره جناحه، فطار ولم يرجع إليه. فزَعموا أنّ الدّيك إنّما يصيحُ عند الفجرِ استدعاءً لجناحهِ من الغراب»[١].

يقول أُميّة بن أبي الصّلت في ذلك:

ولا غرو إلاّ الدّيكُ مُدمن خمرةٍ ... نديمُ غرابٍ لا يملّ الحوانيا

ومَرْهَنه عندَ الغراب حبيبه ... فأوفيت مرهوناً، وخلفاً مسابيا

أدلّ عليّ الدّيك أنّي كما ترى ... فأقبلْ على شأني، وهاكَ ردائيا

أمِنْتُكَ لا تلبثْ من الدّهر ساعةً ... ولا نصفَها، حتى تؤوبَ مآبيا

ولا تُدْركَنْكَ الشّمسُ عندَ طلوعِها ... فأغْلَق فيهم أو يطول ثوائيا

فردّ الغرابُ والرّداءُ يحوزُه ... إلى الدّيك وعداً كاذباً، وأمانيا

بأيّةِ ذنبٍ، أم بأيّة حجّة ... أدَعكَ، فلا تدعو عليّ ولا ليا

فإنّي نذرْتُ حَجّة لن أعوقها ... فلا تَدْعُوَنّي مَرّةً من ورائيا

تطيّرتُ منها، والدّعاء يعوقني ... وأزمَعْتُ حجّاً أن أطير أماميا

فلا تيأسَنْ إنّي مع الصّبح باكِرٌ ... أوافي غداً نحو الحجيج الغواديا

لِحبّ امرىءٍ فاكهتُهُ قبلَ حَجّتي ... وآثرتُ عمداً شأنه قبل شانيا

هنالكَ ظنّ الدّيك إذ زالَ زوله ... وطالَ عليه الليلُ أن لا مغاديا

---

(١) النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، السّفر العاشر، ص٢٢٢. وانظر: محمّد عجينة، موسوعة أساطير العرب، ص٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمّا أضاءَ الصّبحُ طرّبَ صرخةً ألا يا غرابُ، هل سمعت ندائيا؟

على ودّه لو كان ثمَّ مجيبه وكان له ندمان صدقٍ مؤاتيا

وأمسى الغرابُ يضرب الأرضَ كلَّها عتيقاً، وأضحى الدّيكُ في القدّ عانيا

فذلك مما أسهَبَ الخمرُ لبّهُ ونادمَ ندماناً من الطّير عاديا[١]

وقد تحقّق حكاية الحيوان الشّارحة للإنسان الأوّل، من خلال تفسيرها لظواهر تتعلّق بالحيوان، تفسيراً لظواهرَ طبيعيّة أخرى، ومن ذلك الحكاية الّتي تقول: إنّ السّببَ في أنّ صدر طائر الجنّة الصّغير يتميّز باللون الأحمر؛ يعود إلى أنّ هذا الطّائر قد جلب النّار من السّماء إلى الأرض لمنفعة البشر[٢]؛ لذا فقد عرف هذا الطّائر في بعض البيئات باسم "طائر النّار".

فهذه الحكاية فضلاً عن أنّها تفسّر لماذا يتميّز صدر طائر الجنّة الصّغير باللون الأحمر؛ فإنّها تفسّر كيفيّة انتقال النّار من السّماء إلى الأرض لمنفعةِ البشر.

غير أنّ حكاية الحيوان الشّارحة، قد تفسّر ظواهرَ متعلّقة بعالم النّبات أيضاً؛ فمن خلالها حاول الإنسان البدائيّ «أن يجد تفسيراً أو تعليلاً لظاهرة ترتبط بنبات بعينه في مكان بعينه»[٣]، ومن ذلك الحكاية الّتي تفسّر سبب نموّ زهرة النّرجس قرب الشّطآن، فتحكي أنّ زهرة النّرجس ما هي إلاّ فتىً جميل، ابتلته الإلهة

---

(١) أميّة بن أبي الصّلت، ديوان أميّة بن أبي الصّلت، جمعه وحقّقه د. سجيع جميل الجبيلي، ص١٥٣-١٥٤. وانظر: النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، السّفر العاشر، ص٢٢٢- ٢٢٣.

(٢) انظر: عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣١.

(٣) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"أفروديت" ـ وفي رواية أُخرى "فينوس" ـ بعشق نفسه، فجعل يتأمَّلُ صورتـه في الماء، وفي سبيل حصولِه على هذه الصّورة مات غرقاً متحوّلاً إلى زهرة نرجس[١].

كما أنَّ الحكاية الشَّارحة قدْ تقدّم تفسيراً لبعض خصـائص النَّبـات وسماتـه المميّزة، ومن ذلك الحكاية الّتي تقول: إنّه كان بالإمكان أنْ تظلَّ ثمار الكـرز بيضاء ـ وفي رواية أُخرى ثمار التّوت ـ لولا أنّـها ارتوت بدم عاشقٍ مسكين[٢].

وقد يتقاسَمُ الحيـوانُ والطّيرُ والنَّباتُ بطولَةَ حكايةٍ شارحةٍ واحدةٍ، كالّتي تقول: إنّه «حدث ذات يوم، أن كـان طائر بحريّ ضخم يتاجر في الصّوف مع شجرة التّوت الشّائكة والخفّاش، واستأجر الثّلاثةُ سفينةً وحمّلوها صوفاً، لكنّها تحطّمـت، وأفلست الشّركة، ولهذا يختفي الخفّاش عن العيون إلى منتصف الليل هرباً من الدّائنين، ويغطسُ الطّائر البحـريّ إلى أعماق الماء بلحثاً عن السَّفينة المحطّمـة، وتعـترض شـجرة التّـوت الشّـائكة طريـق الأغنام الّتي تمرّ بها لتعوّض خسائرها بسرقـة الصّوف منها»[٣].

تتّجهُ تعريفات الدَّارسين لحكاية الحيوان الشَّارحة إلى القول بأنّ هذه الحكاية هي أبسط صُوَر حكاية الحيوان، يقول ألكساندر كراب: «حكاية الحيوان في أبسـط

---

(١) انظر: محمّـد غنيمـي هـلال، الأدب المقـارن، ص١٨٠، وفيـه يشـير إلى أنّ هـذه الحكايـة هـي أسـطورة "نرسيس" Narcissus والإلهة هـي "أفروديـت"؛ محمّـد رجـب النّجّـار، حكايـات الحيـوان في التّراث العربـيّ، ص١٨٨، ويشير إليها باسم أسـطورة "نرسـيس"، ولكنّـه يشـير إلى أنّ الإلهـة هـي "فينوس".

(٢) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٨٨، ويطلق عليـها اسـم أسـطورة "ثمار الكرز" أو "ثمار التّوت".

(٣) ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورها، حكاية شارحة أو مفسّرة من حيث جوهرها، أو قُلْ إنّها حكاية ترمي إلى شرح علّة»[١].

ويعرّفها عبد الحميد يونس بأنّها: «محاولةٌ لتفسير أشكال الحيوانات على اختلاف فصائلها، وشرح ما استطاع الإنسان البدائيّ القديم تصوّره من عاداتها وظواهر سلوكها»[٢].

ويقترب من ذلك فوزي العنتيل؛ حين يجعلها «محاولةً لتفسير خصائص الحيوان وعاداته، باعتبارها مصادر خصبة في مادّة القاصّ البدائيّ»[٣].

أمّا شوقي عبد الحكيم، فيحاول تقديم تعريف أبسط لحكايات الحيوان الشّارحة، يسوق فيه بعض الأمثلة عليها. يقول: «هي تلك القصص الّتي فسَّر بمقتضاها الآدميّون الفرق بين حيوانٍ وآخر، وبين طبيعة ولون وخصائص الذّئب عن الحَمَل، ولون الحمامة الأبيض المخالف للون الغراب الأسود، وكذلك التّفسيرات الغيبيّة الّتي فسّر بها البدائيّون السّبب أو السّرّ في بريق عيون القطط في الظّلام، واستطالة أذني الأرنب والحمار، واختفاء الخفافيش عن العيون نهاراً هرباً من الدّائنين، وغوص الطّائر البحريّ إلى أعماق الماء... »[٤].

وهي عند عبد المجيد عابدين «كسائر الصُّور المجازيّة، مستمدّة من البواعث العامّة الّتي تدفع النّاس إلى التّعبير عن أفكارهم في صور محسوسة»[٥].

---

(١) ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١١٤.

(٢) عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٠.

(٣) فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٦. والفولكلور ما هو؟، ص١٧٦.

(٤) شوقي عبد الحكيم، الحكاية الشّعبيّة العربيّة، ص١٠٦.

(٥) عبد المجيد عابدين، الأمثال في النّثر العربيّ القديم، ص١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويوجّه محمّد غنيمي هلال تعريفه إلى نحوٍ أشملَ وأوسعَ؛ حين لا يقصر وظيفة هذه الحكاية على تفسير ظواهرَ متعلّقة بعالم الحيوان وحده. يقول: إنّ أدنى صور حكاية الحيوان، «هي تلك الّتي تفسّر ظواهرَ طبيعيّة تفسيراً ميتافيزيقيّاً أسطوريّاً»[١].

بينما يقول محمّد رجب النّجّار: «حكاية الحيوان في صورتها الأوّليّة البسيطة، محاولة أسطوريّة لتفسير أو تعليل بعض طباع الحيوان أو أشكاله المتفرّدة، ولا سيّما إذا وضعنا في الاعتبار أنّ الأسطورة في أبسط تعريفاتها هي سؤالٌ علميّ وجوابٌ قصصيّ، يتناسب وطفولةَ البشريّة وبدائيّةَ البشر»[٢].

والتّعريفان الأخيران يسوقاننا إلى بحث العلاقة بين حكاية الحيوان الشّارحة والأسطورة، وهو ما حاولت الكثيرُ من الدّراسات التّوصلَ إليه، وجاءت الآراء متّفقةً تقريباً على أنّ حكاياتِ الحيوان الشّارحة أكثر قِدماً وبدائيّة من الأساطير، بل هي النّواة الأولى لتلك الحكايات الّتي تدور حول الآلهة، والّتي عرفت فيما بعد باسم الأساطير.

إنّ ما يسوقُه ألكساندر كراب[٣] من مثل تطبيقيّ يمكن أن يوضّحَ هذه الرُّؤيةَ، وهو المثل نفسه الّذي يوظّفه عبد الحميد يونس[٤]، في حديثه عن الوظيفة التّفسيريّة لحكاية الحيوان الشّارحة، وقد أشرنا إليه من قبل.

---

(١) محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨٠.

(٢) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٨٨.

(٣) انظر: ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١١٩.

(٤) انظر: عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ اللّون الأحمر لصَدْر طائر الجنّة الصَّغير أنشأ الحكاية الّتي تقول: إنّ هذا الطّائر هو الّذي جلب النّار من السّماء إلى الأرض لخدمة البشر، وقد عُرِفَ بناءً على ذلك عند بعض الأقوام وفي بعض البيئات باسم "طائر النّار"، وهذا الطّائر أصبح فيما بعد إله البرق والرّعد عند الشّعوب التّيوتونيّة، ومعنى هذا أنّ "طائر النّار" أصبح إله النّار مجسّداً[١].

ويمكننا أنْ ندرك هنا أنّ تطوّر الحيوان من حيوانٍ عاديٍّ في بعض حكايات الحيوان الشّارحة إلى إله، فيما بعد، عند بعض الأقوام وفي بعض البيئات، هو ما يمثّل طبيعة العلاقة بين الأساطير وحكايات الحيوان الشّارحة؛ فهذا التّطوّر كما يبدو رافقَهُ وجود الرّابط، أو أحد أركان الحكاية الشّارحة، فالطّائر الّذي جلب النّار من السّماء إلى الأرض، هو الّذي تطوّر خارج الحكاية الشّارحة ليصبحَ إله النّار، فليس من العسير بمكان، أنْ ندرك أنّ هذا الرّابط بين حكاية الحيوان الشّارحة والأسطورة يفرض أسبقيّة حكاية الحيوان الشّارحة، ويكشف عن كونها الأصل في المعتقدات الّتي تجسّدَ أكثرها في «شكل حيواناتٍ وطيور؛ فالإله "زيوس" كان نسراً، والإلهة "أثينا" كانت بومةً، و"هيرا" كانت بقرةً، والإله النّوردي "تور" كان طائرَ جنّةٍ صغيراً، والإله "تير" كان ذئباً، مثله في هذا مثل الإله الرّومانيّ "مارس"، وضريبه السّليني "ديباتر"»[٢].

وهذه المعتقدات الّتي تجسّدت في صورة حيوانات أو طيور، كانت البداية المباشرة للحكايات الّتي تدور حول الآلهة، أيْ أنّها كانت بداية الأساطير[٣].

---

(١) انظر: ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١١٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٩. وانظر: شوقي عبد الحكيم، الحكاية الشّعبيّة العربيّة، ص١٠٥؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٥.

(٣) انظر: ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا ما يعنيه عبد الحميد يونس بقوله: «إنّ حكاياتِ الحيوان موجودة في جذور ما نسمّيه الآن بالأساطير، وإنّ كثيراً من الأساطير كانت في الأصل تجسيماً لقوى حيوانات بعينها، ثمّ تطوّرت وأصبحت آلهة، احتفظت بصورة الحيوان أو برمز دالّ عليه»[١].

وأكبر مثال على ذلك الآلهة المصريّة، فقد كانت الآلهة من الحيوان من الكثرة، بحيث بدت الهياكل الّتي تحتويها كأنّها معرض حيوانات صاخبة، ولمّا تحوّلت هذه الآلهة إلى آدميّين ظلّت محتفظةً بصورتها الحيوانيّة المزدوجة أو برموزها، فكان "أمون" يمثّل بأوزّة أو بكبش، و"رع" يرمز له بصرصور أو عجل، و"أوزير" بعجلٍ أو كبش، و"سبك" بتمساح، و"حورس" بصقر أو بازيّ، و"حتحور" ببقرة...[٢].

يقول فوزي العنتيل: «لقد تطوّرت حكايات الحيوان التّعليليّة، مثل تلك الّتي تدور حول سواد الغراب أو خلود الحيّات، إلى أساطير، وقد استنتج بعض الدّارسين أنّ هذه الحكايات الّتي تدور حول الحيوانات الّتي تطوّرت إلى آلهة، قد سبقت مباشرة تلك الحكايات الّتي تحكي عن الآلهة؛ أي الأساطير، وبينما يجب اعتبار حكايات الحيوان مصدراً من أهمّ مصادر الأسطورة، كان تأثيرها على الآداب المكتوبة أعظم من ذلك بكثير»[٣].

---

(١) عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٠.

(٢) انظر: ول ديورانت، قصّة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب محمود، الجزء الأوّل من المجلّد الأوّل، ص١٥٨.

(٣) فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ إلحاق كلمة "الشّارحة" بجملة "حكاية الحيوان" ليكشفَ عن وظيفتها الرّئيسة، وهي تقديم الشّرح والتّفسير، والحقيقة أنّ أغلب الدّارسين أجمعوا في تعريفاتهم لهذه الحكاية ـ كما أشرنا سابقاً ـ على أنّها الوظيفة الوحيدة لمثل هذه الحكايات، الّتي تخلو ـ كما يَروْن ـ من تأكيدِ المثل الخُلقيّة، أو تقديمِ الوعظ الاجتماعيّ.

ومن الدّارسين من رأى أنّ الحكاية الشّارحة تقدّم، فضلاً عن التّفسير، شيئاً من التّسلية والفكاهة[١].

وإذا كان إحْسان عبّاس يتّفق مع التّعريفاتِ السّابقة في أنّ هذه الحكايات لا ترمي إلى إظهار عبرة خُلقيّة أو إعطاء مثال للسّلوك، فإنّه يفترض أن يكون غرض هذا النّوع من الحكايات «أنْ يقولَ إنّ ما يجري في عالم الإنسان من تظالم وغضب واستبداد وما إلى ذلك، موجود مثله في عالم الحيوان؛ كالخرافة الّتي تروي أنّ الضّفدع كان ذا ذنب فسلبه الضّبّ ذنبه»[٢]، ويقول مضيفاً فيما بعد: «وإلى مثل هذا النّوع تنسب الأمثال المبنيّة على "أفْعل"، مثل آلف من كلبٍ، أجرأ من الذّباب، أجهل من حمار، أحمق من نعامة، وغير ذلك؛ فإنّها جميعاً في تبيان طبائع الحيوان»[٣].

أمّا ليلى سعد الدّين فتقف موقفاً معارضاً من الّذين قالوا بخلوّ هذه الحكايات الشّارحة من غرضٍ خُلقيّ أو وعظيّ، فهي ترى أنّ التّوجيه والموعظة

---

(١) انظر: فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافيّة، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، ص٩٠؛ ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص١٥١.

(٢) إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨١.

(٣) المرجع نفسه، ص٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمان أصلاً في حكاية الحيوان الأولى (الشّارحة)، إنْ لم يكونا السّبب الرّئيس في وضعها. تقول: «ويقول بعض الدّارسين: إنّ الفابولات لم يكن يقصد منها في أوّل الأمر إلاّ التّسلية والفكاهة، مع بعض التّعريف ببعض الحيوانات وطرائق معيشتها، دون نظر إلى مغزى، أو قصد إلى موعظة خُلقيّة... أمّا الحكايات الخُلقيّة أو الوعظيّة فمتأخّرة على ما يظهر عن الحكايات السّاذجة المقصودة لذاتها»[١]. وتضيف: «وأنا هُنا أخالفُ ذلك، ففي اعتقادي أنّ مبدأ الموعظة والتّوجيه قائم أصلاً، بل لم توضع الفابولات إلاّ لهذا السّبب، وإن تكن غير عميقة بفكرتها، وقد تكون الفابولات قد وضعت لتصوير مظاهر تدور في بيئة ما، أو نقد ما يتعارف عليه، إلى آخر ما يمكن أن تعالجه مثل هذه الحكايات الّتي تبدو وكأنّها تهدف أوّلاً وأخيراً إلى التّسلية فقط»[٢].

وإذا كنْتُ أتّفِقُ مع ليلى سعد الدّين في أنّ وظيفة حكايات الحيوان الشّارحة لا تقتصر على التّفسير، أو التّعريف ببعض الحيوانات وطرائق معيشتها، وخلق جوّ من التّسلية والفكاهة، فإنّني أختلف معها فيما ذهبت إليه؛ حين رأت أنّ التّوجيهَ والموعظة هما السّبب الرّئيس في وضع هذه الحكايات الّتي قد تكون غير عميقة بفكرتها، وذلك لأنّه إذا كان السّبب الرّئيس في وضع هذه الحكايات هو التّوجيه والموعظة، فإنّ ذلك يوجب أن تشتملَ كلُّ حكايةٍ شارحة على موقف خُلقيّ ووعظيّ، ونحن نجدُ حكاياتٍ شارحةً كثيرةً تخلو من ذلك.

---

(١) ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص١٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّما أقول: إنَّ الأصْلَ في وضع هـذه الحكايـات، هـو إيجـاد تفسـير لظواهـرَ مختلفة تتعلّقُ بعالم الحيوان أو النّبـات أو كليـهما، أو الوصـول إلى تفسـير ظواهـرَ طبيعيَّة من خلال الحيوان.

على أنّ هـذه الحكايـات تنجـح في أحيـان كثـيرة في الكشـف عـن موْقـف الإنسان الخُلقيّ ورؤيته النّقديّة، فالحكاية الّتي تقول: إنّ الغرابَ حلّـت بـه اللعنـة بسبب ثرثرته[١]؛ تُظْهـر استحسان الإنسان قلّة الكلام وموقفه من الثّرثرة، في حين أنّ حكاية الجمـل الّـذي يتوسّـل إلـى "زيوس" أن يمنحه قروناً، فيعاقبه بـأذنين صغيرتين[٢]؛ تظهر استحسان الإنسان القناعـة، ورفضـه ـ فـي المقابل ـ الطّمع.

وأخيراً، فإنّ حكاية الحيوان الشّـارحة هـي رؤيـة الإنسـان الأوّل، وفلسـفته، وإجابتـه القصصيّـة إزاء مـا حبـاهُ الله للحيـوان أو النّبـات، مـن سماتٍ وعاداتٍ وخصائصَ عجـز العقـلُ البشـريّ عـن فهمـها وتفسـيرها في ذلـك الوقت.

وهي حكاية قصـيرة، قديمـة قِـدَمَ وجـودِ الإنسـان، وقِـدَمَ جهلـه وحيرتـه وسؤاله، تروى شعراً أو نثراً، ويؤدّي بطولتها الحيوان أو النّبات، وقد يشتركان معـاً في بطولة حكايـة شارحـةٍ واحـدة؛ لتقديم تفسير يتعلّـق بعـالم الحيـوان أو بعـالم النّبات، ويمكن أن تحقّق هذه الحكاية فضلاً عن ذلك تفسيراً لظواهـر طبيعيّـة مـن خلال الحيوان؛ فالحكاية الّتي تفسّر لماذا يتميّز صـدر طـائر الجنّـة الصّغـير بـاللون

---

(١) انظر: فردريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافيّة، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، ص٩٠.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحمر، تفسّر ـ في الوقت نفسه ـ كيفيّة انتقال النّار من السّماء إلى الأرض لخير البشر[١].

وتنجحُ هذه الحكاية في أحيانٍ كثيرة في نقل رؤية الإنسان النّقديّة وموقفه الخُلقيّ. ويمكن القول: إنّ بعض هذه الحكايات الشّارحة، وخاصّة تلك الّتي تطوّر عنها الحيوان إلى إله، فيما بعد، عند شعوب وأقوام معيّنة، هي البذرة الأولى للحكايات الّتي تدور حول الآلهة، أو ما يسمّى الآن بالأساطير.

كما أنّ الحكاية الشّارحة كانت المنطلق لنشوءِ الأدب الحكائيّ الحيوانيّ، المتمثّل في الخرافة وملحمة الحيوان/ الوحوش.

٢. الخُرَافـــــة/ خرافة الحيوان

لعلّنا لا نغالي إذا قلنا: إنّ هذا النّوع مِنْ حكايات الحيوان، هُوَ ما أدْخَلَهُ عامل الزّمن على حكاية الحيوان الشّارحة، من تغيّر في المضمون الّذي تحمله هذه الحكاية، وتغيّر في الشّكل أو الأسلوب الّذي تُقدَّمُ به مادّتُها، وتنقل بوساطته رسالتها.

والحقيقة أنّ تطوّر حكاية الحيوان ما هو إلاّ انعكاس لتطوّر الإنسان، وتقدّم معرفته، ونضج رؤيته، ونموّ مهارته وأسلوبه في عرض فكره وفلسفته، وأخيراً قدرته على التّحايل في تقديم الواقع ونقده، ومعالجة أمراض المجتمع، والنّفاذ إلى السّاسة والحكّام، والتّوجّه إليهم بالنّصح والنّقد، بأساليب وصيغٍ مختلفةٍ.

---

(١) انظر: عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد احتضنت خرافة الحيوان هواجسَ النَّفس الإنسانيّة ومؤرّقاتِها ، كما امتصَّت كلّ ما فاضت به الرُّوح البشريّة من توق إلى إصلاح الفرد والمجتمع، ورغبة في بثّ الأخلاق والآداب والقيم، وسعي إلى تحقيق العدل والمساواة، وهي فضلاً عمَّا تحمله من قيمةٍ أدبيَّةٍ، استطاعت بشكلها القائم على لسان الحيوان أو النّبات أو الجمادِ، النّفاذ إلى الإنسان من حيث هو إنسان، في كلّ زمان وفي أيّ مكان، متخطِّيةً حواجزَ المعتقد واللغة، وموفّرةً ـ فضلاً عن ذلك ـ أقنعةً ورموزاً أدبيّةً قادرة على التَّعبير عن القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة، دون اصطدامٍ بالسّلطة أيّاً كان نوعها[١].

والخرافةُ لغةً: «الحَديث المستملح من الكذب. وقالوا حديث خرافة، ذكر ابن الكلبي في قولهم حديث خرافة: أنّ خرافة من بني عذرة أو من بني جهينة، اختطفته الجنّ، ثمّ رجع إلى قومه، فكان يحدّث بأحاديث ممّا رأى يعجبُ منها النّاس، فكذّبوه، فجرى على ألسن النّاس»[٢]. وجاء في الأمثال قولهم: «أمحَلُ من حديثِ خُرافة»[٣].

«وزعم بعضهم أنّ خرافةَ: اسمٌ مشتقٌّ من اختراف السّمر؛ أي استطرافه» [٤].

والخرافة اصطلاحاً: «شكلٌ من الأشكال الأدبيّة الّتي اعتمدها الحكماء ليصلوا بواسطتها إلى الأذهان والخواطر، ويضمّنوها الحكمَ والمواعظ»[٥]، وهي

---

(١) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩١.

(٢) ابن منظور، لسان اللسان، (مادّة: خرف).

(٣) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ج٢، ص٢٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩٥.

(٥) المقدسي، كشف الأسرار عن حكم الطّيور والأزهار، تحقيق وتقديم د. حسن عاصي، مقدّمة المحقّق، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكاية قصيرة، شعريّة أو نثريّة، تُحكى على لسان الحيـــوان أو النّبـات أو الجمـاد، وقد تُحكـى علـى ألسنـة شخصيّات إنسانيّة، تُتّخذ رموزاً لشخصيّات أُخرى[١].

وتقابلـها في اللغـة الإنجليزيّـة كلمـة "Fable"، وتعـني خرافـة ذات مغـزى وخاصّة على ألسنة الحيوانات[٢].

ولأنّ هذه الحكاية تنحو منحـى الرّمز في معناه العـامّ لا في معنـاه المذهـبيّ[٣]، فإنّ عدداً من الدّارسين أطلق عليها مصطلح "حكاية الحيـوان الرّمزيّـة" أو "حكايـة الحيوان الرّامزة" أو "قصّة الحيوان الرّمزيّـة"[٤]، ولأنّها قـد تحمل مضمونـاً سياسيّاً أو اجتماعيّاً نقديّاً؛ فقد وصِفَتْ بأنّها ضربٌ من الحكايـة القنـاع[٥]، ولمـا تؤدّيـــه هـذه الحكاية مِنْ غرضٍ تهذيـبيّ أو تعليميّ؛ فقد آثر بعض الدّارســين تسـميتها "حكايـة

---

(١) انظر: عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٣؛ ألكساندر كراب، علـم الفلكلـور، ترجمـة رشـدي صالح، ص١٢١؛ محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٧٩- ١٨٠؛ جبّور عبـد النّـور، المعجـم الأدبـيّ، ص١٠١؛ ليلى سعد الدّيـن، كليلـة ودِمنـة في الأدب العربـيّ، ص١٤٩؛ محمـود ذهـني، الأدب الشّـعبيّ مفهومه ومضمونه، ص٧٣؛ مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، ص٨٦؛ فوزي العنتيـل، الفولكلـــور مـا هـــو؟، ص١٧٦. وعالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٨؛ حسين عبد الحميد رشوان، الفولكلور والفنون الشّعبيّة، ص٦١؛ محمّد التّونجـي، المعجـم المفصّـل في الأدب، ج١، ص٣٩٥، ج٢، ص٧٠٨- ٧٠٩.

(٢) The New Encyclopedia Britannica,Volume4, p.648.

(٣) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨٠.

(٤) انظر: ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص١٤٩؛ محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٠؛ مجدي وهبـة وكـامل المـهندس، معجـم المصطلحـات العربيّـة في اللغـة والأدب، ص٨٦؛ محمّد التّونجي، المعجم المفصّل في الأدب، ج١، ص٣٩٥، ج٢، ص٧٠٨-٧٠٩.

(٥) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحيوان التَّهذيبيّة"[١]، أو " حكاية الحيوان التّعليميّة" أو "الخرافة الأخلاقيّة"[٢] أو "الأمثولة الحيوانيّة"[٣].

«والتّراث العربيُّ على اتّساعه وتنوّعه وامتداده في الزّمان والمكان، حافل بهذا النّوع من الحكايات، شعراً ونثراً، ترجمةً وإبداعاً، تحت أسماء متعدّدة شبه اصطلاحيّة منها "خرافة الحيوان"، ومنها "الخرافات على ألسن البهائم والسّباع والطّير"، ومنها "نوادر من حيل الحيوان"، ومنها "الأمثال"»[٤].

يعرِّف محمّد غنيمي هلال الخرافة بأنّها «حكاية ذات طابع خلقيّ وتعليميّ في قالبها الأدبيّ الخاصّ بها، وهي تنحو منحى الرّمز في معناه العامّ لا في معناه المذهبيّ، و الرّمز فيها معناه: أنْ يعرض الكاتب أو الشّاعر شخصيّاتٍ وحوادثَ أُخرى عن طريق المقابلة أو المناظرة، بحيث يتتبّع المرءُ في قراءتها صور الشّخصيّات الظّاهرة لشخصيّات أُخرى. وغالباً ما تحكى على لسان الحيوان أو النّبات أو الجماد، ولكنّها قد تُحكى على ألسنة شخصيّات إنسانيّة تُتَّخذ رموزاً لشخصيّات أُخرى»[٥].

---

(١) انظر: فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ ص١٧٦. وعالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٨؛ حسين عبد الحميد رشوان، الفولكلور والفنون الشّعبيّة، ص٦١.

(٢) انظر: محمّد التّونجي، المعجم المفصّل في الأدب، ج١، ص٣٩٥، ج٢، ص٧٠٨-٧٠٩.

(٣) انظر: فريال جبوري غزول، قصص الحيوان بين موروثنا الشّعبيّ وتراثنا الفلسفيّ، مجلّة فصول، المجلّد الثّالث عشر، العددان ٣/٢، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٣٦.

(٤) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٠.

(٥) محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٧٩- ١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما يتميّز به هذا التّعريف مِنْ دِقّةٍ وشمول؛ فإنّ حسن عاصي في تقديمه لكتاب "كشف الأسرار عن حكم الطّيور والأزهار"، يعتمد هذا التّعريف للخرافة؛ «لأنّه يختزن سائر عناصر الخرافة، من حيث الهدف الّذي ترمي إليه وهو المعنى الخلقيّ، والشّكل الّذي تعتمده وهو الحكاية أو القصّة، والقالب الّذي تتوسّله وهو القالب الأدبيّ، وأبرز ما فيها الحديث على لسان الحيوانات، إذ يرمز بها إلى شخصيّات إنسانيّة، فيتابع القارىء والمتقبّل شخصيّات الخرافة الظّاهرة، وهو في الحقيقة يدرك تماماً أنّ شخصيّاتٍ إنسانيّةً تتراءى من خلال الحيوانات والجمادات أبطال الخرافة»[١].

ويقترب جبّور عبد النّور في تعريفه للخرافة مِنْ تعريف محمّد غنيمي هلال، مع الإشارة إلى أنّ هذه الحكايات قد تجيء شعراً أو نثراً، يقول «الخرافة هي حكاية قصيرة، نثريّة أو شعريّة، تُبْرِزُ أحداثاً وشخصيّاتٍ وهميّةً، تتراءى من خلالها أحداث وشخصيّات واقعيّة، بحيث أنّ الذّهن يتتبّعُ عند قراءتها أو سماعها المعنى الظّاهر والمعنى الباطن في الوقت نفسهِ، وقد يكونُ أبطالها أناساً أو حيوانات أو حشراتٍ أو معادنَ»[٢].

ويطلق محمّد رجب النّجّار على الخرافة مصطلح "حكاية الحيوان الرّمزيّة"، ويعرّفها بأنّها نوعٌ أدبيٌّ «مجهول المؤلّف، يروى شعراً ونثراً، ويلعب فيه الحيوان دوراً إنسانيّاً، وأحداث الحكاية محدودة، حدث واحد غير قابل للتّفريع»[٣] ويضيف «ثمّ فإنّه يمكن وصف هذا النّوع من الحكايات بأنّه ضربٌ من التّمثيل

---

(١) المقدسي، كشف الأسرار عن حكم الطّيور والأزهار، تحقيق وتقديم د. حسن عاصي، مقدّمة المحقّق، ص١٤-١٥.

(٢) جبّور عبد النّور، المعجم الأدبيّ، ص١٠١.

(٣) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكنائي Allegory، ولأنّه ينحو منحى الرّمز في معناه العامّ؛ فقد آثرنا تسميته بحكاية الحيوان الرّامزة أو الرّمزيّة، ولأنّ كثيراً من حكاياته ينحو منحىً سياسيّاً قد يصطدم بالسّلطة، فقد أدرك المجتمع الشّعبيّ بفطرته وتابعَهُ أدباء الصّفوة في ذلك، أنّ التّستّر أو الاختفاء أو التّقنّع وراء الرّمز الحيوانيّ يمكن أنْ يعفيَهُ من مسؤوليّة الصّدام؛ فآثره قالباً فنيّاً مميّزاً لما يريدُ التّعبير عنه، ومن ثمّ فإنّه يمكن وصف هذا النّوع أيضاً بأنّه ضربٌ من الحكاية القِناع»[١].

وإذا كان محمّد رجب النّجّار قد نجح في تقديم تعريف للخرافة، يتّسم بكثير من الدّقّة والشّمول، فإنّني لا أستطيع موافقته على أنّ هذا الفنّ الأَدبيّ، هو فنّ مجهول المؤلّف دائماً، وإنْ كان في مجمله كذلك.

يذهب لافونتين إلى تقسيم الخرافة إلى قسمين هما: الجسد والرّوح، أمّا الجسد فهو الجانب الماديّ، وتمثّله الحكاية بما تشتمل عليه من أقوال وأفعال تنسب إلى الحيوان، وأمّا الرّوح فذلك الجانب المعنويّ، الّذي يتجلّى في المغزى الخُلقيّ أو العبرة الّتي تحملها الخرافة أو توحي بها، كيْ يتيقّظَ المتلقّي لها أو يتّعظ بها[٢].

---

(١) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٠.

(٢) انظر: لافونتين، أمثال لافونتين، عرّبها نظماً الأب نقولا أبو هنا، تحقيق وتقديم د. حسن عاصي، مقدّمة المحقّق، ص٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمّـــا رأى أنْ ثـمَّـــر اللهُ مالَـــه[١] وأثّـــلَ[٢] موجوداً، وســـدَّ مفاقِـــرهْ
أكـبّ علـى فأس يُحِـــدّ غرابَهـا[٣] مُذكّـــرةٍ[٤]، مـن المعـــاول باتـــرهْ
فقامَ لـها مـن فـــوق جُحْـــرٍ مشيّـدٍ ليقتلهـا، أو تخطـيءَ الكفُّ بـادرهْ
فلمّـا وقاهـــا اللهُ ضربـــةَ فأسِـــه وللـبرّ عـــينٌ لا تغمّـضُ ناظـــرهْ
فقـــال: تعالـــي نجعـــلِ اللهَ بيننـا على ما لَنا، أو تُنجِـزي لـيَ آخـرهْ
فقالـــت: يمـــين اللهِ أفعـــلُ، إنّـــني رأيتُـــكَ مسحـــوراً، يمينـــك فاجـرهْ
أبى لـــيَ قـــبرٌ لا يـــزالُ مُقابلـــي وضربـةُ فأسٍ فـوق رأسـيَ فاقـرهْ[٥]

ويقول الضّبّي في رواية هذه الخرافة:

«زعموا أنّ أخوين كانا فيما مضى في إبل لهمـا، فـأجدبت بلادهمـا، وكـان قريباً منهما وادٍ فيه حيّة قد حمته من كلّ أحد. فقال أحدهما للآخر: يا فلان لو أنّـي أتيتُ هذا الوادي المكلىء فرعيتُ فيه إبلي وأصلحتها. فقال لـه أخوه: إنّي أخـافُ عليك الحيّة، ألا ترى أنّ أحداً لم يهبط هذا الوادي إلاّ أهلكته؟ قال: فوَالله لأهبطنّ. فهبط ذلك الوادي، فرعى إبله به زماناً، ثمّ إنّ الحيّة لدغته فقتلته. فقال أخوه: ما في الحياة بعد أخي خير، ولأطلبنّ الحيّة فأقتلها أو لأتبعنّ أخـي. فـهبط ذلـك الـوادي، فطلب الحيّة ليقتلها، فقالت: ألستَ ترى أنّي قتلـــت أخاك؟! فهل لك في الصّلح،

---

(١) ثـمّر ماله: كثّره.

(٢) أثّل المال: أزكاه ونـمّـاه.

(٣) الغُراب من كلّ شيء: أوّله وحدُّه كغُراب الفأس.

(٤) المُذكّر من السّيوف: الصّارم، والذُّكْرة. قطعة من فولاذ في رأس الفأس ونحوه، ذُكْرَةُ السّيف: حِدّته.

(٥) النّابغة الذّبياني، ديوان النّابغة الذّبياني، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص١٥٤- ١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأدعك بهذا الوادي فتكون به، وأعطيك ما بقيتَ ديناراً في كلّ يوم؟ قال: أفاعلةٌ أنت؟ قالت: نعم. قال: فإنّي أفعل. فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضيرها، وجعلت تعطيه كلّ يوم ديناراً، فكثر ماله، ونبتت إبله، حتّى كان من أحسن النّاس حالاً، ثمّ إنّه ذكر أخاه، فقال: كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي فلان؟ فعمد إلى فأسٍ فأحدّها، ثمّ قعد لها، فمرّت به، فتبعها، فضربها، فأخطأها، ودخلت الجحر، ووقع الفأسُ بالجبل فوق جحرها فأثّر فيه، فلمّا رأت ما فعل، قطعت عنه الدّينار الّذي كانت تعطيه، فلمّا رأى ذلك وتخوّف شرّها ندم، فقال لها: هل لك في أن نتواثق ونعودَ إلى ما كنّا عليه؟ فقالت: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟! وأنت فاجر لا تبالي بالعهد. فكان حديث الحيّة والفأس مثلاً مشهوراً من أمثال العرب»[١].

ويذكر عبد المجيد عابدين أنّ هذه الخرافة تعرف أيضاً بخرافة "الزّارع والحيّة"، وقد وردت في الخرافات الهنديّة: في "المهابهاراتا" و"بنج تنترا"، ثمّ انتقلت إلى اليونانيّة واللاتينيّة في صورٍ مختلفة، في قصص إيسوب وبابرياس، و فيدروس[٢]، وقد جعلت الرّواية العربيّة المقتول فيها أخاً لا ابناً -كما في الرّوايات غير العربيّة- «لأنّ ذلك هو الّذي يتّفق مع قصائد الرّثاء في العصر الجاهليّ»[٣].

ومِنَ الخرافات الّتي جاءت على لسان النّبات، الخرافة الّتي نقرؤها في كتاب "البيان والتّبيين" وتقول: «إنّ فأساً ليس فيها عود ألقيت بين الشّجر، فقال بعض

---

(١) المفضّل الضّبّي، أمثال العرب، تقديم وتعليق د. إحسان عبّاس، ص١٧٧- ١٧٨.

(٢) انظر: عبد المجيد عابدين، الأمثال في النّثر العربيّ القديم، ص٤٣.

(٣) إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٥- ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشّجر لبعض: ما ألقيت هذه ههنا لخير. فقالت شجرةٌ عاديّة[١]: إن لم يدخُلْ في است هذه عودٌ منكنّ فلا تخفنها»[٢].

ومن خرافات الحشرات، الخرافة الّتي يرويها الثّعالبي (ت٤٢٩هـ) في "التّمثيل والمحاضرة"، وتقول: «قالت الخنفساء لأمّها: ما أمرُّ بأحدٍ إلاّ بزقَ عليّ. قالت: يا بنيّةُ، لحسنكِ تعوَّذين»[٣].

ومن الخُرافات الّتي يشتركُ فيها الحيوان والجماد، الخرافة الّتي يرويها لنا صاحب "البصائر والذّخائر" (ت نحو ٤٠٠هـ)، وتقول: «رأى كلبٌ رغيفاً يتدحْرَج، فتبعه. فقال له: إلى أين؟ قال: إلى النّهروان. قال الكلب: قُلْ إلى عُمان إنْ تركتك»[٤].

وهذه الحكايات القصيرة، الشّعريّة والنّثريّة، القائمة على لسان الحيوان أو النّبات أو الجماد أو الإنسان، هي حكايات سهلة التّذكّر والسّرد؛ فبساطة بنيتها الفنّيّة، ومعرفة شخوصها، وما تحمله من مضامينَ إنسانيّة، يمنحها القدرة على الهجرة، وكسر حواجز الزّمان والمكان والمعتقد واللغة[٥].

ولأنّ هذه الحكايات قد عرفت في كلّ بيئة، وعند كلّ أمّة، وبين مختلف الطّبقات والأجيال؛ فقد اختلف الباحثون في أصلها ومنشئها.

---

(١) عاديّة: قديمة كأنّها منسوبة إلى عاد.

(٢) الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٣، ص٣٦.

(٣) الثّعالبي، التّمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو، ص٣٧٩.

(٤) أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، المجلّد الثّاني، ص٧١٩.

(٥) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٨٩- ١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمنهم من ردّها إلى اليونان، فجعل حكايات الشّاعر هيزيودس (القرن الثّامن قبل الميلاد)، ثمّ حكايات إيسوب وستيسيكوس (القرن السّادس قبل الميلاد)، هي أقدم خرافات الحيوان[١]، وقد استعملها اليونان ومن بعدهم الرّومان في كشف المظالم السّياسيّة والاجتماعيّة[٢]، كما هو الحال في بعض حكايات الشّاعر اللاتينيّ هوارس، وبعده فيدروس، الّذي نظم مائة وإحدى وعشرين حكاية محاكياً فيها حكايات إيسوب، ومعبّراً عن مظالم الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة زمن الإمبراطورين تبيريوس (١٤- ٣٧م) وكاليجولا (٣٧- ٤١م)[٣].

ومنهم من رأى أنّ أقدم الخرافات، خرافة "الأشجار والعوسج"، الّتي وردت في العهد القديم في سفر القضاة[٤]، وقد سردها يوثام حين كان يخاطب الشّعب في قضيّة تنصيب ملك عليهم، وهو واقفٌ على جبل جرزيم المشرف على شكيم (نابلس)، وتحكي عن الأشجار الّتي اجتمعت لتنصّبَ ملكةً عليها من بينها[٥].

---

(١) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨١؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٩.

(٢) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٠.

(٣) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨٨.

(٤) انظر: الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر القضاة، الإصحاح التّاسع، ص٣٩٥- ٣٩٦؛ داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٦٩، وفيه يروي أنّ تومس جيمس في طبعته لخرافات إيسوب عام ١٨٥٢م، يقول «إنّ أقدم خرافة مسجّلة نعرفها والّتي استخدمت استخداماً علميّاً، هي قصّة "الأشجار والعوسج" كما هي في العهد القديم»؛ أنيس فريحة، أحيقار حكيم من الشّرق الأدنى القديم، ص١٩٧؛ ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، ص١٢٤-١٢٥.

(٥) انظر: الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر القضاة، الإصحاح التّاسع، ص٣٩٥- ٣٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينما اتّجه بعض الدّارسين إلى القول: إنّ الموطن الأصليّ للخرافة هو الهند[١]، فقد جاء في مقدّمة كتاب "إيسوب والآخرون" «أنّ الأساطير لم تبدأ بإيسوب، ولم تبدأ في اليونان أبداً، ويجب علينا في الواقع أنْ نتّجه شرقاً، وننظر إلى الهند ونطّلع على القصص المتداخلة في الهيتسوباديسيا؛ كي نعرف قدم هذه الخرافات في واقع الأمر»[٢].

ومن هذا الفريق مَن يرى أنّ في كتاب "جاكاتا"، «الّذي يحكي تاريخ تناسخ بوذا في أنواع من الموجودات ـ قبل وجوده الأخير مؤسّساً للدّيانة البوذيّة ـ حكايات كثيرة عن أنواع وجود بوذا في صور الحيوانات والطّيور، وترجع بعض حكايات ذلك الكتاب إلى قرون طويلة قبل ميلاد المسيح، قد تبلغ سبعةً أو أكثر»[٣]، وقد استخدمت هذه الحكايات من قبل رجال الدّين في بثّ التّعاليم البوذيّة[٤].

ويرى جوزيف جاكوب ـ أحد الباحثين في الأساطير الشّعبيّة ـ أنّ هناك مجموعة قصصيّة كانت موجودة في الهند، وكانت تسبق حكايات بوذا، ومستقلّة عن "الجاكاتا" وهي "الكاسيابا"، وقد أُدخلت هذه المجموعة إلى أوروبا مع وفد الملك السِّنغالي جادرا موكاسيو (ت٥٢م) إلى الإمبراطور كلاديوس (ت نحو ٥٠م)، ثمّ

---

(١) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨١- ١٨٢؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٩.

(٢) داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٦٨.

(٣) محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨١- ١٨٢. وانظر: ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص١٥٠.

(٤) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترجمت إلى الإغريقيّة بالعنوان التّالي "من الكاسيابوس"، وقد استخدمها بابريوس الّذي اشتقّ منه اسم إيسوب الإغريقيّ[١].

وردّ فريقٌ آخر الخرافة إلى أصول مصريّة فرعونيّة، فبعض الحكايات المصريّة القديمة على لسان الحيوان، وجدت مدوّنةً على ورق البردي، مثل قصّة "السّبع والفأر"[٢]، أو على جدران المعابد، وقد استخدمت في النّقد السّياسيّ أو لغايات تربويّة[٣]، وهذه الحكايات تعود إلى القرن الثّاني عشر قبل الميلاد، وربما تكون قد أثّرت في الأدبين الهنديّ واليونانيّ[٤].

وردّ فريقٌ أخير أقدمَ الخرافات إلى الأدب العراقيّ القديم، الّذي يُعَدّ أقدم الآداب المكتوبة (المدوّنة) في تاريخ الإنسانيّة، ويرجع تاريخه إلى أواخر الألف الثّالث وأوائل الألف الثّاني قبل الميلاد، وهو الّذي أثّر في نشأة هذه الخرافات عند أحيقار الآشوري (القرن السّابع قبل الميلاد)[٥] ـ الّذي يرى بعضهم أنّه هو لقمان الحكيم[٦] ـ وأثّر في نشأتها في الأدب السّومريّ والبابليّ والآشوريّ[٧].

---

(١) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٦٨- ١٦٩.

(٢) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨٢؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٩؛ ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص١٥٠.

(٣) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٠.

(٤) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨٢.

(٥) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٧٠- ١٧٣؛ طه باقر، مقدّمة في أدب العراق القديم، ص٣٢- ٣٣.

(٦) انظر: شوقي عبد الحكيم، الحكاية الشّعبيّة العربيّة، ص١٠٧، ١٠٩.

(٧) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٧٢- ١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويهمّنا هنا أن نقول: إنّ خرافة الحيوان كانت أوفر حكايات الحيوان حظّاً في التّأليف والمحاكاة والتّرجمة والاستلهام على امتداد الزّمان، ومن ذلكَ خرافاتُ "كليلة ودِمنة" الّتي عرفت الحياة مرّةً تلو أُخرى، شعراً ونثراً، على أيدي كتّاب قدماء ومحدثين، وذلك بلغات مختلفة، وأساليب متنوّعة، وبصور كثيرة، وبتوظيف واستلهام مستمرَّيْنِ.

وتمدّنا بعض دواوين الشّعر الجاهليّ ببعض خرافات الحيوان[١]، «وبقدر ما كان احتفاءُ الشّعر القديم بخرافات الحيوان لغايات اجتماعيّة أو تربويّة؛ جاء احتفاءُ القرآن الكريم بهذا الشّكل القصصيّ لغايات دينيّة ووعظيّة ـ مثل قصّة سليمان والهدهد ـ بل إنّ عدّة سُوَر في القرآن تحمل أسماء حيوانات، الأمر الّذي فتح أمام كتب التّفسير مجالاً واسعاً لاستيعاب قصص الحيوان الّتي كانت ذائعةً حتّى ذلك الوقت، ومن بينها الإسرائيليّات -أكبر منابع القصّ العربيّ المدوّن- كما احتفت أيضاً بهذه القصص أمّهات المصادر التّراثيّة (الأدبيّة واللغويّة والدّينيّة والموسوعيّة...) بدءاً بالجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربّه، وانتهاءً بالنّويري والدّميري، مروراً بأبي حيّان التّوحيدي وأبي العلاء المعرّي وابن عربشاه وألف ليلة وليلة»[٢].

لم يكن اختيار الحيوانات لتقمّص تلك الأدوار الّتي تؤدّي أغراضاً تعليميّة ونقديّة بالأمر العبثيّ؛ فإذا كانت حكايات الحيوان قد حملت

---

(١) انظر: النّابغة الذّبياني، ديوان النّابغة الذّبياني، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص١٥٤- ١٥٦؛ الأعشى، ديوان الأعشى، شرح يوسف شكري فرحات، ص٢٢٣.

(٢) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكمةَ الإنسان ووعيَه، فإنّ اختيار الحيوانات ـ أو النّباتات أو الجمادات ـ كأبطال لهذه الحكايات، قد انطلق من وعي الإنسان وحكمته أيضاً.

ويمكن القول: إنّ الخَوْض في حكمة الاختيار هذه، يدفعنا إلى الخوض في الوظائف الّتي يؤدّيها هذا النّوع من الحكايات بشكل خاصّ، وتؤدّيها حكايات الحيوان الأدبيّة بشكل عامّ.

ويمكننا أن نعزوَ هذا الاختيارَ إلى الأسباب التّالية:

١ـ تقديم الحكمة والموعظة والنّقد الخُلقيّ والاجتماعيّ في ثوب رائق قصصيّ جميل، يُنطق الحيوان ويخلع عليه صفاتٍ إنسانيّةً، واللجوء إلى هذا النّوع من الحكايات نابعٌ من وعي المفكّرين والحكماء، وتأمّلهم الدّقيق في النّفس الإنسانيّة، ومعرفتهم بطباع البشر؛ فالإنسان بطبعه لا يميل إلى الإصغاء لنصائح الآخرين، وسماع موعظتهم، والعمل برأيهم ومشورتهم، والاستفادة من خلاصة تجاربهم، ولـمّا كان الأسلوب المباشر في النّصح والنّقد قد يواجه بالنّفور والرّفض، وقد يحمل شيئاً من الاستعلاء الضّمنيّ بين النّاصح والمنصوح، وهو ما يرفضه المنصوح لا شعوريّاً وإنْ لم يصرّحْ بذلك[١]، فإنّ هذا النّوع ينجح في توفير الحكمة والموعظة والنّقد، ويحقّق غاياته التّهذيبيّة والتّعليميّة، بنجاحه في تقديم ذلك كلّه أو بعض منه، بأسلوب ممتع مسلٍّ مثير، يدهشُ المتَلَقّيَ، ويحاور الطّفلَ الكامنَ في داخله، ويشبعُ مخيّلته، ويحمله على الابتسام وأحياناً الضّحك، ويبتعد في الوقت نفسهِ عن الأسلوبِ الخطابيّ والوصايا البشريّة[٢].

---

(١) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢١١.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص٢١٠- ٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي مقدّمة كتاب "كليلة ودِمنة"، نقرأ أنّ دبشليم يطلبُ من بيدبا أن يضعَ كتاباً مشتملاً على «الجدّ، والهزل، واللهو، والحكمة، والفلسفة»[١]، فيختارُ بيدبا أن يجيء كتابه هذا على ألسن البهائم والسِّباع والطّير، فإذا بالحيوان يصيرُ لهواً، وما ينطق به حكماً وأدباً[٢].

ويقول ابن عربشاه (ت٨٥٤هـ) في حديثه عن الدّافع لوضع كتابه "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظّرفاء" على لسان الحيوان: إنّه «لمّا كثرت هذه الآيات والحكم، وانتشرت أزهارُ رياضها في وهاد العقول والأكم، وترادف ما فيها من العجائب والعبر، وتكرّر ورود مراسيمها على رعايا السّمْع والبصر، وعادتها النّفوس، ولم يكترث بوقوعها القلب الشّموس، ولم يستهجن من وجودها، ولم يتلفّت إلى جدودها، فكثرت في ذلك أقوال الحكماء، وتكرّرت مقالات العلماء، فلم تُصغ الأسماع إليها، ولا عوّلت الأفكار عليها، فقصدت طائفة من الأذكياء وجماعة من حكماء العلماء ممّن يعلمُ طرق المسالك، إبراز شيء من ذلك على ألسنة الوحوش، وسكّان الجبال والعروش، وما هو غير مألوف الطِّباع من البهائم والسّباع، وأصناف الأطيار، وحيتان البحار، وسائر الهوام، فيسندون إليها الكلام، لتميل لسماعه الأسماع، وترغب في مطالعته الطّباع...»[٣].

٢ ـ توفير قناع موائم للنّقد السّياسيّ[٤]، هذا القناع يهيّئُ للمصلح أو الواعظ أنْ يتوجّهَ بأفكاره ويوصلها إلى حيث شاء من ناحية، ويأمن بطش الحكّام

---

(١) عبد الله بن المقفّع، كليلة ودمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، ص٣٥.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٣٧.

(٣) ابن عربشاه، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظُّرفاء، تحقيق وتقديم د. حسن عاصي، ص١٠ ـ ١١.

(٤) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ناحية أُخرى[١]، ومن الأمثلة على هذا النّوع، حكايات الشّاعر اللاتينيّ فيدروس، الّتي عبّرت عن مظالم الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة زمن الإمبراطوريْن تبيريوس (١٤- ٣٧م) وكاليجولا (٣٧- ٤١م)[٢].

ومن الأمثلة عليها أيضاً؛ خرافات "كليلة ودِمنة"، الّتي يجد فيها «كلّ سلطان أو والٍ لنفسه مثالاً ويجني لنفسه درساً، لا بل نجد في بعض الأبواب كباب الأسد والثّور، قانوناً كاملاً لتصرّف الملوك»[٣].

ومن الخرافات ذات المضامين السّياسيّة والاجتماعيّة النّقديّة، خرافة "البوم والخرائب"، المعروفة في التّراثين الفارسيّ[٤] والعربيّ[٥]، والّتي قصّها على المأمون (ت٢١٨هـ) أحد حاشيته، حين استدعاهُ وقد أصابه الأرق وطلبَ منه أنْ يسامِرَهُ بشيءٍ من ظريف الكلام. تقول هذه الخرافة: إنّه «كانَ بالموصل بومة وبالبصرة بومة، فخطبتْ بومةُ الموصِلِ إلى بومَةِ البَصْرة بنتها لابنها. فقالت بومَةُ البصرةِ: لا أُنكِحك ابنتي، إلاّ أنْ تجعلي في صداقها مائة ضيعة خراب. فقالت بومَةُ الموصل: لا أقدرُ عليها الآن، ولكنْ إنْ دامَ والينا ـ سلّمه الله ـ علينا سنةً واحدةً فعلتُ لك ذلك»[٦].

---

(١) انظر: المقدسي، كشف الأسرار عن حكم الطّيور والأزهار، تحقيق وتقديم د. حسن عاصي، مقدّمة المحقّق، ص١٨.

(٢) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨٨.

(٣) حنّا فاخوري، تاريخ الأدب العربيّ، ص٤٥٢- ٤٥٣.

(٤) انظر: ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ص٢٨٢.

(٥) انظر: الطُّرْطوشي، سراج الملوك، حقّقه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهارسه محمّد فتحي أبو بكر، تقديم د. شوقي ضيف، المجلّد الثّاني، ص٤٩٧- ٤٩٨.

(٦) المصدر نفسه، المجلّد الثّاني، ص٤٩٧- ٤٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويزعمُ الطُّرْطوشي (ت٥٢٠هـ) أنَّ المأمونَ استيقظَ للمعنى الّذي حمّله القاصُّ هذه الخرافة، فجلس للمظالم وأنصف النّاسَ وتفقّد أمورَ الولاة[١]. والمغزى وراءَ هذه الحكاية: أنّ الظّلمَ مؤذنٌ بخراب العمران على حدّ تعبير ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، الّذي استشهد بهذه الحكاية[٢] «في مجال تحليله الرّائد لأسباب سقوط الدّول وخراب العمران (المجتمعات)، حيث تستحيل إلى خرائبَ لا يمرَحُ فيها إلاّ البُوم، بعد أنْ تهجرها الجموع من أرباب الحرف والصّنائع وأهل الفلاحة وأصحاب التّجارة، أو تتوقّف عن العمل والإنتاج»[٣].

٣ـ يعزو الكاتب والشّاعر الألمانيّ ليسنج (١٧٢٩-١٧٨١م) السّبب في اختيار الحيوانات لتقمّص تلك الأدوار؛ إلى أنّ للحيواناتِ طباعاً معروفةً وعاداتٍ مألوفةً لدى جميع النّاس، في حين أنّ الرّجال ليسوا معروفين إلاّ لدى أممهم أو من قرأ تواريخ حياتهم، لذلك فالّذي يتحدّث عن الذّئب والحمل والأسد والثّور؛ فكأنّما يتحدّث إلى النّاس جميعاً عالِمهِم وجاهلهِم، ذلك أنّهم ملمّون بطبائع هذه الحيوانات[٤].

والحقيقةُ أنَّ هذا الرّأي صحيحٌ إلى حدٍّ ما، لكنّه لا يمكنُ أنْ يكونَ عامّاً شاملاً؛ فإذا كانت بعض خرافات الحيوان قد راعت المطابقة بين رموزها الحيوانيّة وما ترمز إليه هذه الرّموز في الواقع، فإنّ هناك خرافاتٍ أُخرى لم تعتمدْ على هذه المطابقة، فمن يَعُدْ إلى كتاب "كليلة ودِمنة"؛ يرَ أنّهُ قد أظهر عدداً من الحيوانات في

---

(١) انظر: الطُّرْطوشي، سراج الملوك، حقّقه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهارسه محمّد فتحي أبو بكر، تقديم د. شوقي ضيف، المجلّد الثّاني، ص٤٩٨.

(٢) انظر: ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ص٢٨٢.

(٣) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٩.

(٤) انظر: حامد عبد القادر، القصص الحيوانيّ وكتاب كليلة ودِمنة في الآداب الشّرقيّة والغربيّة، ص٢١ـ ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة مخالفة للواقع، كابن آوى الّـذي بـدا في خرافـة "الأسـد وابـن آوى النّاسـك" رحيماً، رؤوفاً بالحيوانات، ممتنعاً عن افتراسِها؛ زهداً فيها ورفقاً بها[١].

وبالتّـالي، فـالرّأي السّـابق صحيـحٌ إذا اعتمـدت الخرافـات المطابقـة بـين شخصيّاتها الرّمزيّة وما ترمز إليه هذه الشّخصيّات في الواقع؛ كأن تـتّخذ الثّعْلـبَ رمزاً للمكر، والأسدَ للبطش، والأفعى للغدر...

وأخيراً، فإنّ خرافة الحيوان حكاية شعريّة أو نثريّة قصيرة، ذات هويّة إنسـانيّة غير خاضعة لاعتبارات الزّمان والمكان واللغة والمعتقد، وذات طابع رمزيّ يتّخذ فيـه البشر ـ غالباً ـ أقنعةً لها صـور الحيوانـات أو النّباتـات أو الجمـادات، ويمثّلـون أدوارهـم الإنسانيّة من ورائها[٢]، بطريقة ممتعة ومثيرة، تحقيقاً لأغراض تعليميّـة ونقديّـة، وتجنّبـاً في الوقت نفسه للأسلوب المباشر والخطابيّ.

«ومعظم الخرافات تنتمي إلى التّراث الأدبيّ، ولو أنّها كثيراً ما تصبح جـزءاً مـن الفولكلور»[٣]، وقد تطوّر عن الخرافات نوعان من حكايات الحيوان الأدبيّة هما: ملحمة الحيوان/ الوحوش ورواية الحيوان النّثريّة، كما سيظهر لنا لاحقاً.

٣. ملحمة الحيوان/ ملحمة الوحوش

يمكنُ تعريف هذا النّـوع مـن حكايـات الحيـوان، بأنّـه ضَـربٌ مـن المحاكـاة السّاخرة أو المعارضة البطوليّة الهزليّة لما يُعرف بالملحمة[٤]، وتطوّر في الوقت نفسه

---

(١) انظر: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، باب الأسد وابن آوى النّاسك، ص١٩٠- ١٩٩.

(٢) انظر: عمر الطّبّاع، ابن المقفّع وكليلة ودِمنة، ص٧٧- ٧٨.

(٣) فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٧.

(٤) «الملحمة من الفنون الأدبيّة: قصيدة سرديّة، بطوليّة، خارقة للمـألوف، تعتمـدُ بـدءاً مخيّلـة إغرابيّـة بخلقها عالماً أوسع وأكـبر من العالم المعروف، وتستند إلى سرد أحـداث تمتزج فيهـا الأوصـاف=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لخرافة الحيوان؛ لـذا فإنّ هذا النّوع يفرضُ أسبقيَّة الخرافةِ والملحمـةِ عليـه، يقـول عبد الحميد يونس: «أمّا ملحمـة الوحـوش فتعـدُّ تاليـةً في التّطـوّر للخرافـة، وليـسَ مـن شـكٌّ في أنّهـا جـاءَت محاكـاةً لذلـك النّـوع الشّـائع المعـروف بالملحمة» [١].

وقد قدَّم هذا النَّوع نفسَه في شكلٍ فنيّ خـاصّ، مسـتعيراً سماتِـه الفنّيّـةَ مـن الملحمة والخرافة معـاً؛ فمـن الأولى مثـلاً اسـتعارَ الأسـلوب الشّـعريَّ القصصـيَّ والبطولة المحوريّةَ والحجم الطّويل، ومن الأخرى استمدّ شخوصَه الحيوانيّة، وحقّـق من كليهما لنفسه نوعاً من وَحْدة الموضوع[٢]، الّتي تَتَّسم بها سلسلةٌ من الحكايـات الحيوانيّة المتلاحقة الّتي تؤلّف هذا النّوع، فحمـل رسـالة الإنسـان إلى الإنسـان في إهاب الحيوان، موفّراً ـ كما الخرافة ـ قناعاً موائمـاً للنّقـد السّياسـيّ والاجتمـاعيّ والدّينيّ أيضاً.

يقرّرُ ألكساندر كراب ويتبَعُهُ عبد الحميد يونس، أنّ هذه المنظومات الشّعريّة القصصيّة ليست من نتاج العصور الوسطى الأوروبيّة؛ فقد عرفها العـالم القديـم، وإنْ كانت تلك الملاحمُ الحيوانيَّةُ الّتي سايرت الحضاراتِ القديمةَ، سـاذجةً وبدائيّـةً وأقلّ إتقاناً من تلك المتأخّرة[٣].

= والشّخصيّات والحوارات والخُطب والنّصائح، وتنـدرج كلّها في حكاية تلفّها في وَحْدة واضحة» جبّور عبد النّور، المعجم الأدبيّ، ص٢٦٤.

(١) عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٥.

(٢) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٥.

(٣) انظر: ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشـدي صـالح، ص١٢٣؛ عبـد الحميـد يونـس، الحكايـة الشّعبيّة، ص٣٥؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـمّا اختفت الطّبقة الأرستقراطيّة، وصَاحبَ اختفاءَها اختفاءُ الـرُّوح الّـتي كانت تبُثُّ الحياة في فنّها وأدبها، سقطت الطّبقة الوسطى على الماضي[١]، وعملـت على التّقليل من شأن القيم والصّور القديمة، فأحالت الملاحمَ العظيمةَ إلى ملاحـمَ ساخرةٍ، كما هي الحال في بلاد الإغريق بعد عصر هومر، وفي أوروبا أثنـاء عصرهـا الوسيط وحتّى القرن الثّاني عشر[٢].

ومن الأمثلة على ملاحم الحيوان القديمة، ما يُعْـرف بـ "معركـة الضّفـادع والفئران" أو بـ "ملحمة الضّفـادع والجـرذان"، الّـتي ينسـبها أغلـب الدّارسـين[٣] إلى الشّاعر اليونانيّ هوميروس (القــرن التّاسـع قبـل الميـلاد)، ويخالفـهم في ذلـك محمّــد رجـب النّجّار، الّذي يرى أنّها من وضع مؤلّف شــعبيّ مجـهول ـ شـأنها في ذلـك شـأن الملحمة الشّعبيّة مجهولة المؤلّف أو المؤلّفـين ـ يقـول: «ومثـل ذلـك ملحمـة الضّفـادع والجرذان المنسوبة إلى هوميروس لشهرته، والصّحيح أنّها تنسب إلى مؤلّفٍ شعبيٍّ مجهول»[٤].

وتروي هذه الملحمةُ أنَّ ضفدعةً تسبَّبت في غـرق فـأر، الأمـر الّـذي يشـعل معركةً حامية بـين الفـئران والضّفـادع، فتتدخّـل الآلهـة في وقفـها، كمـا يحـدث في

---

(١) انظر: ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشــدي صـالح، ص١٢٣؛ عبـد الحميـد يونـس، الحكايـة الشّعبيّة، ص٣٥.

(٢) انظر: ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشــدي صـالح، ص١٢٣؛ عبـد الحميـد يونـس، الحكايـة الشّعبيّة، ص٣٥؛ إخــوان الصّفــاء وخلاّن الوفاء، رسالـة تداعــي الحيوانات على الإنسـان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص٨.

(٣) انظر: ألكساندر كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صـالح، ص١٢٣؛ مجـدي وهبـة وكـامل المـهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، ص٢١٠؛ فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٣؛ إخـوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سـعد، مقدّمـة المحقّق، ص٨.

(٤) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإلياذة[١]، «وهي كما نرى محاكاةٌ ساخرة للملاحم البطوليّة العظيمة، ومصدر الهزل هنا يكمن في عنصر التّقليد السّاخر في نمطه الأعلى، حيث تتقمّص الفئران والضّفادع على تفاهتها دورَ الأبطال والقادة العسكريين في الإلياذة، وتحاكي نبرتهم البطوليّة، وأساليبهم الشّعرية الرّفيعة، واتّخاذ القرارات المصيريّة في هذه المعارك المزعومة، ثمّ لا نلبث أنْ نكتشفَ أنّ هذا الموضوعَ برمّته أتفه من هذا المستوى البطوليّ المفتعل الّذي جاء تقليداً للإلياذة، فلا نملك إزاء هذا الانحراف العبثيّ المقصود إلاّ أن نضحكَ سَاخرين»[٢].

ولأنّ هذا النّوع يحاكي الملاحمَ العظيمةَ بأسلوب ساخر هزليٍّ، فقد عُرف بـ"الملحمة السّاخرة"[٣]، أو "المعارضة البطوليّة الهزليّة"[٤]؛ «على اعتبار أنّ المعارضة محاكاةٌ أسلوبيّة لنصّ سامٍ ونبيل لتطبيقه على موضوع تافهٍ وهابط»[٥]، ولما يحمله هذا النّوع من تعرّض نقديّ للإنسان وللأنظمة السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة؛ فقد وصف بأنّه ضربٌ من "الأدب الرّمزيّ" أو "الهجاء المستتر"[٦].

يعرّف مجدي وهبة وكامل المهندس "الملحمة السّاخرة" أو "شبه السّاخرة" MOCK EPIC بأنّها «منظومة شعريّة تعالج أمراً تافهاً في صورة ملحمة، للسُّخرية منه، فهي نوع من الهجاء المستتر» [٧].

---

(١) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٥.

(٣) انظر: مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، ص٢١٠.

(٤) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٥.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٠٥.

(٦) انظر: مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، ص٨٧، ٢١٠.

(٧) المرجع نفسه، ص٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعرّف فوزي العنتيل ملحمة الحيوان بأنّها «وصفٌ يطلقُ على هذه الحلقة من القصص الّتي تدور حول شخصيّة رئيسة مخادعة، تظهر عادةً في شكل حيوان، ولكنّه مع ذلك ذو ذهنٍ أريبٍ منطقيّ»[١].

ويرى محمّد التّونجي أنّها: «قصيدةٌ قصصيّةٌ طويلةٌ تؤلّف على لسان الحيوان، ولكنّها تعني الإنسانَ وتقصيره، وهي مؤلّفة من مجموعةِ حكاياتٍ حيوانيّةٍ متلاحقةٍ» [٢].

ومن أشهر ملاحم الحيوان، ما يُعرف باسم "حلقة الثّعلب رينار" أو "ملحمة الثّعلب رينار"، وهي «مجموعة من الحكايات والمنظومات الّتي ظهرت في أوروبا حوالي القرن الحادي عشر الميلاديّ، وبلغت أوج شهرتها في غضون القرنين الرّابع عشر والخامس عشر»[٣].

وقد بدأ كتابة هذه المجموعة باللغة اللاتينيّة مؤلّف أو مؤلّفون مجهولون، ثمّ انتقلت إلى لغات أوروبيّة قوميّة مختلفة في العصور الوسطى، وأضاف مؤلّفون مختلفون إلى هذه المجموعة نحو ثلاثين حكاية مرحة، حتّى بلغ مجموع أبياتها أربَعةً وعشرينَ ألف بيتٍ من الشّعر[٤]، وهناك مَن يرى أنَّ مجموع أبياتها بلغ نحو ثلاثين ألف بيتٍ من الشّعر، وأنّها ضمّت سبعاً وعشرين مجموعةً قصصيّةً[٥]، وقد كانت

---

(١) فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٥٨.

(٢) محمّد التّونجي، المعجم المفصّل في الأدب، ج٢، ص٨٢٤.

(٣) عبد الحميد يونس، الحكاية الشّعبيّة، ص٣٦. وانظر: فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٢.

(٤) انظر: فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٣؛ محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٥.

(٥) انظر: محمّد التّونجي، المعجم المفصّل في الأدب، ج٢، ص٨٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الحكايات في أوّل أمرها رمزيّةً مرحةً، ومالت بعد ذلك إلى النّقد المرير، مبتعدةً عن الفكاهة المرحة والسُّخرية اللطيفة[١].

والحكايات في مجملها تدور حول هجاء الأساليب الإقطاعيّة، وحاشية الملوك، وتزمّت رجال الكنيسة ونفاقهم وحيلهم، وهجاء سلوك الفرسان ورجال القانون، ومثالب الطّبقتين الوسطى والدّنيا[٢]، وهي بذلك تهدف إلى نقد الأنظمة السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة آنذاك[٣].

وقد عَرف الأدبُ العربيُّ المطوّلاتِ الشّعريّةَ على لسان الحيوان، ولكن لم يصل إلينا منها شيء، سوى إشاراتٍ غامضة إلى أنّ أبا العلاء المعرّي (ت٤٤٩هـ)، قد عرف بتأليفه على لسان الحيوان؛ فله كتاب "القائف" في ستّين كرّاسة، وله "منار القائف" وهو تفسير للكتاب السّابق في عشر كراريس، وله كتاب "خطب الخيل" وفيه أنطقَ الخيل، وله كتاب "سَجْع الحمائم" وفيه تحدّث بلسان الحمامة، وله كتاب "أدب العصفوريْن"[٤]، إلاّ أنّ تلك الكتب لم يعرف مصيرها.

وبما أنّه لا توجد لدينا أيّة فكرةٍ عن قوالبها الفنّيّة أو موضوعاتِها، فإنّنا لا يمكن أنْ نصنّفها بناءً على ذلك[٥].

---

(١) انظر: محمّد عبد السّلام كفافي، في الأدب المقارن، ص٢٥١.

(٢) انظر: فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشّعبيّة، ص٦٣؛ محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٥.

(٣) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٥.

(٤) انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، اعتنى بنسخه وتصحيحه د.س. مرجليوث، ج١، ص١٨٢- ١٨٣، ١٨٦- ١٨٧.

(٥) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٥- ٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبما أنّ ملحمة الحيوان هي سلسلة شعريّة طويلة، تضمّ مجموعة حكايات متلاحقة مؤلّفة على لسان الحيوان؛ فإنّني أرى أنّه من الممكن أنْ نلحقَ بها منظومات "كليلة ودِمنة" الشّعريّة في الأدب العربيّ، كمنظومة أبان بن عبد الحميد اللاحقي (ت٢٠٠هـ)، ويخبرنا أبو بكر الصّولي (ت٣٣٥هـ) أنّ يحيى ابن خالد بن برمك أشار على أبان بنظم "كليلة ودِمنة" ففعل، فكافأه بعشرة آلاف دينار، بينما أعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف دينار[١]، ويروي ابن المعتزّ أنّ منظومة أبان كانت في نحو خمسة آلاف بيت[٢]، بينما يقول أبو بكر الصّولي: إنّها كانت في أربعة عشر ألف بيت[٣]. وعلى أيّة حال فإنّ هذه المنظومة قد ضاعت، ولم يصل إلينا منها سوى خمسة وسبعين بيتاً رواها لنا أبو بكر الصّولي في كتابه "الأوراق"[٤]، وهي من مواضعَ مختلفةٍ ومتفرّقةٍ من كتاب "كليلة ودِمنة".

وقد اختار أبان في نظمه بحر الرّجز لسهولته ورنينه الجذّاب، ولكثرة ما يدخله من زحافات وعلل، واختار القافية المزدوجة الّتي يمكن أن يغيّرها من بيت لآخر متحرّراً بذلك من قيود القافية الواحدة[٥].

---

(١) انظر: أبو بكر الصّولي، أخبار الشّعراء المسمّى كتاب الأوراق، عني بجمعه ج. هيوارث دن، ص٢.

(٢) انظر: ابن المعتزّ، طبقات الشّعراء في مدح الخلفاء والوزراء، اعتنى بنشره عبّاس إقبال، ص١١٢.

(٣) انظر: أبو بكر الصّولي، أخبار الشّعراء المسمّى كتاب الأوراق، عني بجمعه ج. هيوارث دن، ص٢.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٤٦ ـ٥٠.

(٥) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٠٣ـ ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومِنْ منظومات "كليلة ودِمنة" أيضاً، منظومة "نتائج الفطنة في نظم كليلة ودِمنة"[١] لابن الهبّاريّة (ت٥٠٩هـ)، وتتألّف مِنْ مقدّمة وخمسةَ عشرَ باباً وخاتمتين. وهناك منظومات أخرى لكليلة ودِمنة إلاّ أنّها ضاعت، ولم يصل إلينا منها سوى إشارات بسيطة في كتاب "الفهرست"[٢] للنّديم (ت٣٨٤هـ).

وفي العصر الحديث قام الشّيخ محمّد عبد الرّحيم ترّة (ت١٩٣١م) بنظم "كليلة ودِمنة"، وحملت منظومته عنوان "زعموا أنّ" أو "كليلة ودِمنة منظوم"[٣]، وتنقسم هذه المنظومة إلى قسمين: القسم الأوّل يشتمل على حكايات الكتاب الرّئيسة، بينما يشتمل القسمُ الآخر على الحكايات الفرعيّة[٤]، ولما يتميّز به عمله هذا مِنْ دِقّة ورصانة؛ فقد أشاد به أمير الشّعراء أحمد شوقي[٥].

ولم يسجّل لنا التّاريخُ بعد هذه المحاولة، أيّة محاولة أخرى لنظم "كليلة ودِمنة"[٦].

---

(١) انظر: ابن الهبّاريّة، ت٥٠٤هـ، نتائج الفطنة في نظم كليلة ودِمنة، ط١، هذّبه نعمة الله الأسمر الماروني، المطبعة اللبنانيّة، بيروت، ١٩٠٠م. ونتائج الفطنة في نظم كليلة ودِمنة، ط١، تحقيق وتقديم د. حسن عاصي، دار المواسم، بيروت، ١٩٩٥م.

(٢) انظر: النّديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٦٠٧.

(٣) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١١٨، نقلاً عن محمّد عبد الرّحيم ترّة، زعموا أنّ، دار مصر للطّباعة ـ دار الكتب المصريّة.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص١٢١.

(٥) انظر: المرجع نفسه، ص١٢١، نقلاً عن محمّد عبد الرّحيم ترّة، زعموا أنّ، مقدّمة الكتاب.

(٦) انظر: المرجع نفسه، ص١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. مفاخرات الحيوان ومنافراته

المفاخرةُ لغةً: المباهاةُ والتّعاظم[١]، والمنافرة لغةً: المفاخرةُ أو المخاصمة[٢]، وتخاصم القومُ إذا تجادلوا وتنازعوا[٣].

ومفاخرات الحيوان ومنافراته: مصطلح أطلقناه على تلك الحكايات النّثريّة العربيّة، الّتي وقف فيها الحيوان أو النّبات متباهياً بنفسه، مفتخراً بما له مِنْ محاسن وسمات، أو معرّضاً بسمات غيره، منتقصاً منها.

وهذا اللون من الحكايات النّثريّة، أنجبه الأدب العربيّ من رحم العصر الجاهليّ، ثمرةً التقت فيها ملاحظات أفراده حول سمات بعض الحيوانات أو النّباتات، وما قوي في نفوسهم مِنْ نزعة عصبيّة قبليّة وميل إلى الافتخار والاعتزاز.

من الأمثلة على مفاخرات الحيوان، ما قالته الضّائنة[٤]: «أوَلَّدُ رُخالاً[٥]، وأجزّ جفالاً[٦]، وأحلب كثباً ثقالاً[٧]، ولم تر مثلي مالاً»[٨].

ومِنْ منافرات الحيوان، منافرة "الأرنب والوَبْر[٩]"، وتقول: «قالت الأرنبُ للوَبْر: وبرٌ وبر، عجزٌ وصدر، وسائرك حقرٌ نقر. فقالت الوبر للأرنب: أرانِ أران، عجزٌ وكتفان، وسائرك أكلتان»[١٠].

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادّة: فخر).

(٢) انظر: المصدر نفسه، (مادّة: نَفر).

(٣) انظر: المصدر نفسه، (مادّة: خصم).

(٤) الضّائنة: مؤنّث الضّائن: خلاف الماعز من الغنم، ومن الغنم: ذو الصّوف.

(٥) الرُّخال: جمع رخل بالكسر وبهاء: الأنثى من ولد الضّأن.

(٦) الجُفال: الصّوف الكثير.

(٧) الكُثَب: جمع كُثْبة: وهي الدّفعة من اللبن، تقول: أحْلَبُ دُفَعاً ثِقالاً من اللبن، وذلك لأنّ لبنها أدسم وأخثر من لبن المعز فهو أثقل.

(٨) ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المجلّد الثّاني، ص٦٩٢. وعيون الأخبار، المجلّد الثّاني، ج٤، ص٧٨.

(٩) الوَبْر: حيوان بحجم القطّ شبيه بالمَرْمُوط من رتبة الخُرْطوميّات. يوجد منه في آسيا الصّغرى وإفريقيا. يعيش في الغَوْر ويأكل فقط النّباتات. لحمه لذيذ وفرْوه ثمين. تسمّيه العامّة: الطّبسون.

(١٠) حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج٢، ص٥٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينبغي ألاّ يفوتنا هنا، ما تتّسم به هذه الحكايات من إيجاز قد يكون ذا صلة بمفهوم الزّمن لدى الجاهليّ، زمن البداوة والتّرحال[١]، وما يغلب على أسلوبها مِنْ سجع غير متكلّف.

٥. رواية الحَيوان النّثريّة

رواية الحيوان النّثريّة: مصطلح حديث لإنجاز متقدّم سابق، أنجبه الأدبُ العربيّ القديم من محاكاة كتاب "كليلة ودِمنة" ـ أحد نماذج الخرافة ـ واستعارَهُ فضاءً فسيحاً لحريّة التّعبير، والنّقد السّياسيّ والاجتماعيّ والعقائديّ، ولبثّ الأفكار الفلسفيّة.

و رواية الحيوان: حكاية نثريّة طويلة، متعدّدة الشّخوص الحيوانيّة، ومتفرّعة الأحداث، لكنّها تطرح موضوعاً قصصيّاً واحداً متكامِلاً مترابطاً. ولعلّ عزّة الغنّام هي أوّل من أشار إلى هذا النّوع، حينَ صنّفت حكاية "الأسد والغوّاص" ـ إحدى الأمثلة على هذا النّوع ـ على أنّها رواية أو رواية قصيرة؛ «لأنّها طويلة، ومتفرّعة الأحداث، أو فيها من المواقف الجانبيّة ما لا تحتمله القصّة القصيرة SHORT STORY »[٢].

ووافقها محمّد رجب النّجّار في ذلك متوسّعاً؛ فصنّفَ مجموعةً من المؤلّفات النّثريّة الحيوانيّة في الأدب العربيّ القديم تحت مصطلح جديد هو "رواية الحيوان النّثريّة"؛ «لأنّ كلّ واحدة مِن هذهِ المؤلّفات النّثريّة هي بالفعل ـ من حيث الحجم ـ

---

(١) انظر: محمّد توفيق أبو علي، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ، ص٩٧.

(٢) عزّة الغنّام، الفنّ القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرّابع إلى القرن السّابع، ص٢٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رواية طويلة، ولأنّها ـ من حيث المضمون ـ تتناول موضوعاً قصصيّاً واحداً متكاملاً، مهما تفرّعت أحداثه، أو تعدّدت شخصيّاته»[١].

ولأنّ كتابة هذه الرّواية في الأدب العربيّ قد بدأت بمعارضة "كليلة ودِمنة"، فإنّ رواية الحيوان النّثريّة تدينُ بوجودها إلى هذا الكتاب وإلى صنيع ابن المقفّع الأدبيّ[٢]، اللذين بعثا إلى الحياة هذا الفنّ الجديد مثلما بعثا منظومات الحيوان الشّعريّة.

ويشير محمّد رجب النّجّار إلى «أنّ أدباء الخاصّة الّذين كتبوا رواية الحيوان، لم يستخدموا مصطلح قصّة عن عمد لسبب بسيط، هو أنّ هذا المصطلح كان مرفوضاً في الثّقافة العربيّة الرّسميّة، ثقافة النّخبة، على اعتبار أنّ فعل القصّ آنذاك كان مرتبطاً بالعامّة والدّهماء؛ حتّى إنّ أبا العلاء نفسه آثر مصطلح "رسالة" الشّائع بين أدباء الخاصّة»[٣].

ومن روايات الحيوان في الأدب العربيّ:

١ـ رواية النّمر والثّعلب[٤]

وهي العمل الثّاني لسهل بن هارون (ت٢١٥هـ) في محاكاة "كليلة ودِمنة"، وسهل بن هارون أحد كبار كتّاب التّرسّل في الأدب العربيّ، وقد كان ملازماً لخدمة البرامكة قبل أن يعيّنه المأمون أميناً لدار الحكمة[٥].

---

(١) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٦.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص٢٠٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٠٨.

(٤) انظر: سهل بن هارون، ت ٢١٥هـ، النّمر والثّعلب، ط١، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التّونسيّة، تونس، ١٩٧٣م.

(٥) انظر: الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج١، ص٥٩- ٦٠؛ المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، حقّقه ووضعه وضبطه يوسف داغر، ج١، ص٩٦؛ =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا العمل الأوّل له، فقد كان كتاب "ثعلة وعفراء" أو "ثعلة وعفرة"، الّذي لا نملك أيّة فكرة عن شكله أو مضمونه؛ لأنّه ضاع، ولم يصل إلينا منه سوى إشارات قليلة في كتب المؤرّخين القدماء عندما يترجمون لحياة واضعه[١]، الملقّب بـ "بزرجمهر الإسلام" لحكمته وبلاغته، والمعروف بوضع الخرافات على ألسنة الحيوانات والطّيور كما يروي لنا صاحب "الفهرست"[٢].

ومهما يكن مِنْ أمر، فإنَّ العملَ الثّاني له يعدُّ نموذجاً رائداً لرواية الحيوان؛ فرواية النّمر والثّعلب «ذات طابع سياسيّ وتعليميّ، تدخل في "علم تدبير الملك" على حدّ تعبير القدماء»[٣]، وقد أودعها سهل تصويراً لحكم الملوك المتجبّرين[٤]، وصراع السّلطات المتنافسة على الحكم[٥]، وحيل الوزراء الدّهاة، وكتبها بلغة

= النّديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٢٣٦- ٢٣٧؛ الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم د زكي مبارك ج٢، ص٦١٦-٦١٧؛ ابن نباتة، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٤٤٢- ٤٤٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق د إحسان عبّاس، ج٣، ص١٤٠٩- ١٤١٠؛ حاجي خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، ص٤٢٩؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، المجلّد الثّالث، ص١٤٣- ١٤٤؛ إسماعيل باشا الباباني، هديّة العارفين: أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين من كشف الظّنون، المجلّد الخامس، ص٤١١- ٤١٢.

(١) انظر: المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، حقّقه ووضعه وضبطه يوسف داغر، ج١، ص٩٦؛ النّديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٢٣٦؛ الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم د. زكي مبارك، ج٢، ص٦١٦؛ ابن نباتة، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٢٤٢؛ حاجي خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، ص٤٢٩.

(٢) انظر: النّديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٦٠٦.

(٣) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٦.

(٤) انظر: شوقي ضيف، العصر العبّاسيّ الأوّل، ص٥٣٥.

(٥) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رفيعة؛ لأنّها موجّهة إلى طبقة الصّفوة من الأدباء وكتّاب الدّواوين[١]، وضمّنها حواراً شائقاً طريفاً، مستخلصاً في ثناياه الكثيرَ من العظات، وناثراً كثيراً من الحكم والأمثال، كثيرٌ منها مقتبس من "كليلة ودِمنة"، مبتغياً الغاية ذاتها الّتي ابتغاها واضع "كليلة ودِمنة"، من نصحٍ للملوك والحكّام عن طريق ما يجري على ألسنة الحيوانات من مقت الظّلم والبغي وسوء السّيرة، ومحبّة العدل والإنصاف[٢].

وهذه الرّواية تجري على لسان النّمر الطّاغية والذّئب الجحود والثّعلب الحكيم؛ أمّا النّمر الطّاغية فرمز «للخليفة الشّرعيّ، والذّئب الجحود رمز لكلّ خارج على طاعة الخليفةِ من الولاة، والثّعلب الحكيم رمز لطبقة البرامكة والكتّاب والوزراء من الفرس، الّذين يعملون أو يسعون إلى العمل في دواوين الخلافة العبّاسيّة»[٣].

٢ـ رواية تداعي الحَيوانات على الإنسان[٤]

وهي لجماعة إخوان الصّفاء ـ جماعة فلسفيّة ظهرت في البصرة في القرن الرّابع الهجريّ ـ وقد تأثّرت هذهِ الجماعة بكتاب "كليلة ودِمنة"، ويقال إنّها

---

(١) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٦.

(٢) انظر: شوقي ضيف، العصر العبّاسيّ الأوّل، ص٥٣٥.

(٣) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ. ص٢٠٧.

(٤) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، ط١، ج٢، عني بتصحيحه خير الدّين الزّركلي، المطبعة العربيّة، مصر، ١٩٢٨م. ورسائل إخوان الصّفاء، ط١، المجلّد الثّاني، دار بيروت للطّباعة والنّشر ـ دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٩٥٧م. ورسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، ط١، قدّم لها فاروق سعد، دار الآفاق العربيّة، بيروت، ١٩٧٧م. ورسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، ط٢، قدّم لها فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م. ورسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، ط٣، قدّم لها فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م. ورسائل إخوان الصّفاء، ط١، المجلّد الثّاني، الدّار الإسلاميّة، بيروت، ١٩٩٢م. ورسائل إخوان الصّفاء، ط١، ج٢، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ١٩٩٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استمدّت اسمها من إحدى قصصه، معَمّقةً معنى تصافي الإخوان بما يتّفقُ ومبادِئَها الفلسفيّة[١].

والرّواية لا تنسب إلى مؤلّفٍ معيّن من هذه الجماعة، إنّما تنسبُ إلى الجماعة كلّها، الّتي كانت تأخذ بمبدأ "التّقية" والسّرّيّة التّامّة في التّكتّم على مبادئها السّياسيّة؛ بسبب رفضها وثورتها على النّظام السّياسيّ القائم آنذاك[٢].

ومن الجدير بالذّكر، أنّ هذهِ الرّواية قد حُقّقت مرّاتٍ عديدة، وحظيت بدراسات أوروبيّة وعربيّة كثيرة في العصر الحديث؛ لقيمتها الفلسفيّة البالغة، وبراعتها في نقد الفكر العربيّ السّائد آنذاك، سياسيّاً ودينيّاً ومذهبيّاً وعقليّاً، بأسلوب رمزيّ على لسان الحيوان؛ حتّى يأمن أصحابها السّلطة الحاكمة السّياسيّة والعسكريّة والدّينيّة، وبطش أصحاب العقائد والمذاهب المتطرّفة[٣].

وتعدّ هذه الرّواية «تطوُّراً خطيراً لفنّ القصّة على لسان الحيوان، فقد انتقلت بها من مغزاها الخلقيّ والاجتماعيّ القريب المتناوَل السّهل المأخذ، إلى مغزى فلسفيّ باطنيّ بعيد، ويرجع هذا إلى اعتماد الإخوان في رسالتهم على المصادر الفلسفيّة والرّياضيّة والطّبيعيّة؛ ممّا حوّل القصّة الحيوانيّة ظاهراً وباطناً

---

(١) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٦.

(٢) انظر: عمر الدّسوقي، إخوان الصّفاء، ص١١٩- ١٢١؛ د. محمّد فريد حجاب، الفلسفة السّياسيّة عند إخوان الصّفاء، ص١٠٤- ١١٤؛ محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧.

(٣) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى شيءٍ يخصّ الفيلسوف وحده، بخلاف ما رأيناه في كليلة ودِمنة، حيث كانت تبدو لهواً في ظاهرها وجدّاً في باطنها»[١].

٣ـ رواية الأَسَد والغوّاص[٢]

يرجع تاريخ هذه الرّواية مجهولة المؤلّف إلى القرن الخامس الهجريّ، «إبّان تعاظم الصّراع السّنيّ الشّيعي، وتقهقر نفوذ الخلفاء العباسيين أمام سطوة البويهيين العسكريّة والسّياسيّة»[٣].

ولأنّ هذه الرّواية ترجع إلى فترة خيبة الأمل هذه؛ فقد حيكَ موضوعها على أساس خيبة الأمل والإخفاق السّياسيّ[٤]، فهيَ «تهدف إلى نقد الأوضاع السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة»[٥] في ذلك الوقت، ويرى محمّد رجب النّجّار أنّ مؤلّفها لم يصرّح باسمه؛ معطياً نفسه مساحةً كبرى من الحرّيّة في التّعبير المباشر والنّقد الصّريح للنّظام السّياسيّ دون خشية الصّدام معه، ولم يشأْ أن يكسوَ أسلوبَه غلالةً لغويّةً كثيفة يحتمي وراءها كما سيفعل أبو العلاء المعرّي، متيحاً لنفسه قدراً ملموساً من الحريّةِ في سرد الوقائع والأحداث دون قيود، ممّا أضفى على روايته مزيداً من متعة الخيال، وحيويّة السّرد[٦].

٥٤٦٤٨٤

(١) مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٩.

(٢) انظر: الأسد والغوّاص، حكاية رمزيّة عربيّة من القرن الخامس الهجريّ، ط١، باعتناء رضوان السّيّد، دار الطّليعة، بيروت، ١٩٧٨م.

(٣) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧.

(٤) انظر: عزّة الغنّام، الفنّ القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرّابع إلى القرن السّابع، ص٢٤٢.

(٥) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧.

(٦) انظر: المرجع نفسه، ص٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اقتبس مؤلّف هذه الرّواية الإطار الفنّيّ أو الحكاية الإطاريّة من باب الأسد والثّور في "كليلة ودِمنة"، غير أنهّ تصرّف في القصّة والحوار والتّصوير[١].

وكأنّنا به يقول: إنّ موضوع "كليلة ودِمنة" يمكن أنْ يُكرَّر، وتُوْضَعَ له صياغة جديدة، فهو مشاع حقّاً، وقد عبر حدود المكان الّذي وُجِدَ فيه لأوّل مرّة، وحطّم حاجز الزّمن غير مرّة، وسيظلّ يحطّمه، دون أنْ يُفْقِدَه ذلك أبعادَه القديمة[٢].

٤ـ رواية الصّاهل والشّاحج[٣]

وهذه الرّواية لأبي العلاء المعرّي (٣٦٣-٤٤٩هـ)، وهي أحد أعماله في محاكاة "كليلة ودِمنة"، والعمل الأوحد من بينها الّذي نجا من الضّياع، بعد أن عثرت عليه عائشة عبد الرّحمن في الخزانة الملكيّة في الرّباط، ونشرته[٤].

وهذه الرّواية غنيّة بالألغاز اللغويّة والتّورية والنّكت العروضيّة، وهو أسلوب معروف لدى أبي العلاء في معظم رسائله، الّتي يستعرض فيها عبقريّته اللغويّة وعبقريّة اللغة العربيّة وذاكرته الفذّة[٥].

---

(١) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٧٨؛ الأسد والغوّاص، باعتناء رضوان السّيّد، مقدّمة الكتاب، ص٢٤- ٢٧.

(٢) انظر: عزّة الغنّام، الفنّ القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرّابع إلى القرن السّابع، ص٢٤٤.

(٣) انظر: أبو العلاء المعرّي، ت٤٥٠هـ، الصّاهل والشّاحج، ط١، تحقيق وتقديم د. عائشة عبد الرّحمن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م. والصّاهل والشّاحج، ط٢، تحقيق وتقديم د. عائشة عبد الرّحمن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

(٤) انظر: المصدر نفسه، مقدّمة المحقّقة، ص٣٥.

(٥) انظر: يوسف الشّاروني، مع التّراث، ص٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى محمّد رجب النّجّار أنّه «على الرّغم من تلك الحيل اللغويّة، والشّعبذات اللفظيّة، والتّعقيدات الأسلوبيّة، والاستطرادات العلميّة عن طباع الحيوان، الّتي أتى بها أبو العلاء إبهاراً لمعاصريه من الأدباء من ناحية، وتضليلاً لغرضه الأصليّ من الرّسالة ـ الرّواية ـ عن السُّلطتين السّياسيّة والدّينيّة من ناحية أخرى؛ فإنّ الحوار النّقديّ الدّائر بين الصّاهل والشّحج، أو الفرس والبغل [أو بين الشّحج والثّعلب] حول المشكلات والأحداث الّتي يمور بها عصر أبي العلاء، يكشف عن مضمون الرّسالة الّتي حمّلها الشّحج للصّاهل، أو الشّعب للسّلطة، في أسلوب تهكّمي لاذع وروح ساخرة، تميّز بهما الإبداع القصصيّ العلائيّ مثل: رسالة الغفران أيضاً؛ حيث تفيض الرّسالتان بالنّقد الاجتماعيّ والسّياسيّ والعقائديّ»[١].

ومن الجَدير بالذّكر أنّ رواية الحيوان السّياسيّة، قد عادت إلى الظّهور مرّة أخرى في الأدب الحديث[٢]، ومن أمثلتها رواية "ANIMAL FARM"، الّتي كتبها جورج أورويل عام ١٩٤٣م[٣]، وامتنعت عن نشرها ثلاثُ دور نشر، ثمّ نشرتها دار "سَكر وواربورغ" في منتصف عام ١٩٤٥م.

وقد طبع من هذه الرّواية منذ صدورها ما يزيد على عشرين مليون نسخة، وترجمت إلى جميع اللغات الحيّة، وجديرٌ بالأدب الإنجليزيّ أنْ يتباهى بها في مجال الأدب السّياسيّ POLITICAL SATIRE[٤].

---

(١) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧- ٢٠٨.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص٢٠٩.

(٣) انظر: جورج أورويل، مقدّمة مزرعة الحيوان، ترجمة سماح إدريس، مجلّة الآداب، العددان ٣/ ٤، آذار ـ نيسان، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٦م، ص١٢.

(٤) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج. نشأةُ حكايةِ الحيوان في الأدبِ الإِنْسانيِّ القديم

يمكن القول: إنَّ البحث في نشأة حكاية الحيوان في الأدب الإنسانيّ القديم، يستدعي بالضّرورة البحث في أصل هذه الحكاية وموطنها الأصليّ، ولـمّا كانت الخرافة هي النّوع الأوّل لهذا الجنس الأدبيّ، وثمرةً أصيلةً للحكاية الحيوانيّة الشّارحة، ومن ثمَّ تربةً خصبةً لنشوء الأنواع الأدبيّة الأخرى من حكايات الحيوان؛ فقد اقتضى البحث في أصل حكاية الحيوان ومنشئها، بحثاً في أصل الخرافة وموطنها الأصليّ.

وقد أشرنا سابقاً إلى تباين آراء الباحثين حول أصل الخرافة ومنشئها؛ فمنهم من ردّها إلى اليونان، ومنهم من جعل موطنها الأصليّ هو الهند، في حين أرجعها آخرون إلى أصول مصريّة فرعونيّة قد تكون أثّرت في نشأتها في الأدبين السّابقين[١]. ثمَّ إنَّ هناكَ من جعل أقدم نماذجها إنّما يردُ في العهد القديم[٢].

على أنّ البحث في تاريخ الأدب القديم، أثبتَ أنّ أدب العراق سبق وجوده الآداب الإنسانيّة الأخرى، لاسيّما الأدب المصريّ واليونانيّ والهنديّ والعبريّ؛ فقد وجد في أواخر الألف الثّالث وأوائل الألف الثّاني قبل الميلاد. وبعده وفي حوالي تلك الفترة، يظهر كلّ من أدب مصر وأدب الكنعانيين، وفي القرن الثّامن أو السّابع قبل الميلاد يظهر كلّ من الأدب اليونانيّ والهنديّ والآشوريّ، ويتأخّر مجيء الأدب العبريّ حتّى القرن السّادس قبل الميلاد[٣].

---

(١) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨١- ١٨٢.

(٢) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٦٩.

(٣) انظر: داود سلّوم، الأدب العربيّ في تراث العالم، ص٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عُرِفَ زمن الملكيْن الآشوريَيْن سَنْحاريب (٧٠٤-٦٨١ق.م) واسْرَحْدُون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) الحكيمُ أحيقار الآشوريّ، الّذي احتوى نصّ حكمته على أكثر من نموذج لحكايات الحيوان، ولنصّه هذا نسختان: القديمة منها آراميّة تعود في تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وقد اكتشفت على أوراق البردي عام ١٩٠٧م. والحديثة منها سريانيّة متداولة منذ صَدْر النَّصرانيّة[١].

ولقد عرفت حكايات أحيقار وحكمته قبل اكتشافِ نصّه الآراميّ القديم، فوجدت منها نسخٌ عديدة، وانتقلت إلى الآداب الشّرقيّة القديمة، فوجدت في الهند، وظهرت في الليالي العربيّة في "ألف ليلة وليلة"، بحلّتها المعروفة في النّسخ السّريانيّة، كما ظهرت في الآداب الأرمنيّة[٢].

وانتقلت هذهِ الحكم إلى اليونان والرّومان، فظهرت عند ديموقريطس ومكسيموس، ثم ثيوفرايتس واسترابو، وقد عرف أحيقار عندهم باسم أكيكاروس[٣].

«ويذكر كلمنت الإسكندريّ أنّ ديموقريطس خلال رحلاته في المشرق، اقتبس من أقوال أحيقار وضمّنها كتاباتهِ الأخلاقيّة، وقد كان الباحثون في مطلع هذا القرن يميلون إلى استبعاد هذه الرّواية، ولكنّ الشّهرستاني أورد ثلاث حكم لديموقريطس موجودة في نصائح أحيقار، كما أنَّ في الأدب اليونانيّ حكماً أخرى تبدو مستمدّة من أحيقار نفسه، ممّا يؤكّد هذا التّلاقي»[٤].

---

(١) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٧١-١٧٢.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص١٧٢.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص١٧٢.

(٤) إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما انتقلت حكمُ أحيقار كاملةً في مجموعة إيسوب (القرن السّادس قبل الميلاد)، ونشرت تحت عنوان "أسطورة أحيقار ـ النّصّ اليونانيّ"، الأمر الّذي يؤيّد أنّ إيسوب نقل هذه الحكم بحذافيرها إلى اللغة اليونانيّة. وقد ظهرت بنصّها وروحها في ترجمتها إلى بقيّة اللغات[١].

ولقد حظيت الخرافة باهتمام عظيم زمن أرسطو، وكان الخطباء يستشهدون بها في المرافعات القضائيّة[٢]. وفي القرن الأوّل قبل الميلاد نظم بابريوس اليونانيّ مائةً وثلاثاً وعشرين حكايةً من حكايات إيسوب، وبعد ذلك شقّت الخرافة طريقها إلى الأدب اللاتينيّ متأثّرةً بمثيلاتها في الأدب اليونانيّ؛ فدخلت في رسائل الشّاعر اللاتينيّ هوارس (٦٥-٨ق.م) وهجائه، وحملت سخريةً لاذعة في نقدها غير المباشر للإنسان[٣].

وبعد هوارس نظم الشّاعر اللاتينيّ فيدروس (٣٠ق.م- ٤٤م) مائةً وإحدى وعشرين حكاية، محاكياً فيها حكايات إيسوب، ومعبّراً في الوقت نفسه عن مظالم الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة[٤].

أمّا في الأدب الهنديّ، فقد أشرنا سابقاً إلى أنّ كتاب "جاكاتا" ـ الّذي يعود إلى قرون طويلة قبل ميلاد المسيح ـ قد حوى حكاياتٍ كثيرةً عن تناسخ بوذا في صور الحيوانات والطّيور[٥]، وجديرٌ بالذّكر أنّ هناك تشابهاً بين هذه الحكايات

---

(١) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٧٢.

(٢) انظر: أرسطو طاليس، الخطابة (التّرجمة العربيّة القديمة)، تحقيق عبد الرّحمن بدوي، ص١٤٨؛ ابن رشد، تلخيص الخطابة، حقّقه وقدّم له عبد الرّحمن بدوي، ص٢١١- ٢١٥.

(٣) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨٨.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص١٨٨.

(٥) انظر: المرجع نفسه، ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحكاياتٍ أخرى جاءت فيما بعد في كتاب هنديّ آخر عُرِف باسم "تانتراخيابيكا"، وهو أصل الكتاب الهنديّ المعروف باسم "بنج تانترا" أو "القصص الخمس"، وترجع نصوص الكتابين الهنديين الأخيرين إلى القرنين الثّاني والخامس الميلاديين، وقد ظهر بعدهما كتاب "هيتسوباديسيا"، وأسلوب حكاياته يحاكي أسلوب حكايات "بنج تانترا"، ويعود تاريخ تدوينه إلى القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين[١].

وفي الأدب الإيرانيّ، زمنَ خسرو أنوشروان (القرن السّادس قبل الميلاد)، قام برزويه طبيب خسرو الخاصّ بنقل كتاب "بنج تانترا" إلى البهلويّة (الفارسيّة القديمة) مضيفاً إليه حكايات أخرى لم تعرف مصادرها كلّها بعد، والحيوانان الرّئيسان في هذا الكتاب من فصيلة ابن آوى ويسمّيان: كاراتاكا ودامناكا، ومنهما أخذ اسم الكتاب الفارسيّ "كليلة ودِمنة" الّذي نقله ابن المقفّع (ت١٤٢هـ) من البهلويّة إلى العربيّة في النّصف الأوّل من القرن الثّاني الهجريّ[٢].

---

(١) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨٢- ١٨٣.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص١٨٣-١٨٤؛ الأسفار الخمسة أو بنج تنترا، ترجمة عبد الحميد يونس، مقدّمة المترجم، ص٣-٢٣. ومن الجدير بالذّكر «أنّ المستشرق الألمانيّ سوسين وجد في ماردين نسخة سريانيّة لكليلة ودِمنة، أقدم من ترجمة ابن المقفّع، نقلها عن البهلويّة في القرن السّادس لميلاد المسيح (٥٧٠هـ) كاهن يدعى "ألبرديوط بود" وقد قام العلاّمة الكاثوليكي الكاهن "بيكل" بنشرها في ليبسيك سنة ١٨٧٦م مع مقدّمة طويلة وترجمة ألمانيّة وملحوظات عديدة» عن: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، عني بتنقيحه ونشره مع شرح ألفاظه اللغويّة الأب لويس شيخو اليسوعي، مقدّمة ناشر الكتاب، ص ج.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د . نشأةُ حكاية الحيوان في الأدب العربيّ

إنّ البلحث في نشأة حكايـة الحيـوان وتطوّرهـا في الآداب المختلفـة، قديمـها وحديثها، يخلص إلى حقيقةٍ واضحةٍ لا مراءَ فيها، وهي أنَّ العرب يملكـون أضخـم نتاج أدبيّ يتعلَّقُ بحكايات الحيوان، ويسـتوي في ذلـك الأدب الّـذي نقلـه الكتّـاب والمؤلّفون عن الجاهليين، أو الّذي وضعه أدباء الحضارة في بغداد والأمصـار، أو مـا ترجمه العرب إلى لغتهم، فاستوعبته اللغةُ العربيّةُ وصار جُزءاً منها[١].

وإذا كنّا لا ننفي ترجمة بعض حكايات الحيوان من حضارات أخرى، فإنّه ينبغـي ألاّ يُفْهَم من ذلك أنّ العرب قد اعتمدوا في هذا اللون من الأدب على تـراث الأمـم الأخرى، ولكنّ الأدبَ العربيّ اسـتقى هـذا اللـون مـن جـذوره الأولى في العـراق أو سورية أو مصر، ثمّ نما هذا اللون في الجاهليّة[٢]، والعصور الإسلاميَّة وما بعدها.

عرفَ الجاهليُّ حكاية الحيـوان الشَّـارحة، بمـا توفّـره مـن تفسـيرات وعلـل لظواهرَ طبيعيّة، وبما تقدّمه من صور غنيّة لعلاقـات الحيوانـات وطبائعـها وحيلـها ومكائدها، وأخيراً بما يمكن أن تعكسه من موقف خُلقيّ يميل إليه الجـاهليّ، ورؤيـة نقديّةٍ يتمتّع بها.

واحتضنت بعض دواوين الشّعر الجاهليّ عدداً منهـــا، كديـــوان أميّـة بـن أبي الصّلت[٣]، ففيه أكثر من نموذج لهذا النّوع من حكايات الحيـوان، منـها حكايـة

---

(١) انظر: داود سلّوم، قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ص٩.

(٢) انظر: داود سلّوم، الأدب العربيّ في تراث العالم، ص٤٣-٤٤.

(٣) انظر: أميّة بن أبي الصّلت، ديوان أميّة بن أبي الصّلت، جمعه وحقّقه د. سجيع جميل الجبيلي، ص٢٤ـ ٢٥، ٧٢، ١٠٧، ١٥٢ـ١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمّا فرّسُوا الآياتِ صاغوا ... لها طوقاً كما عُقدَ السِّخابُ[١]

إذا ماتت تورّثهُ بنيها ... وإن تُقتل فليس له استلابُ[٢]

ويقولُ [من الخفيف]:

سمعَ الله لابنِ آدم نوح ... ربّنا ذو الجلالِ والإفضالِ

حين أوفى بني الحمامة، والنّا ... سُ جميعاً في فلكه كالعيالِ

حابساً جوفه عليه رسولاً ... من خفافِ الحمام كالتّمثالِ

فرشاها على الرّسالةِ طوقاً ... وخضاباً علامةً غير بالِ

فأتته بالصّدق لمّا رشاها ... وبقِطْفٍ لمّا بدا عِثْكالِ[٣]

ويقولُ [من الطّويل]:

وما كانَ أصحابُ الحمامةِ خيفةً ... غداةَ غدت منهم تَضُمُّ الخوافيا

رسولاً لهم والله يُحكِمُ أمرَهُ ... يبينُ لهم هل بُرنس التّربِ باديا

فجاءت بقِطْفٍ آيةً مستبينةً ... فأصبحَ منها موضع الطّينِ جاديا[٤]

على خطمها واستوهَبَتْ ثمَّ طَوْقَها ... وقالتْ: ألا لا تجعلِ الطّوقَ حاليا

ولا ذهباً، إنّي أخافُ نبالهم ... يخالونَه مالي وليس بماليا

وزدْني لطرفِ العين منك بنعمَةٍ ... وأرّثْ إذا ما مِتُّ طوقي حماميا

وزدني على طوقي من الحَلْي زينةً ... تصيبُ إذا أتْبَعْت طوقي خضابيا

يكونُ لأولادي جمالاً وزينةً ... وعنوان زيني زينة من ترابيا[٥]

---

(١) السِّخاب: القِلادة.

(٢) أميّة بن أبي الصّلت، ديوان أميّة بن أبي الصّلت، جمعه وحقّقه د. سجيع جميل الجبيلي، ص٢٤- ٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٤) الجَادِيُّ: الزّعفران.

(٥) أميّة بن أبي الصّلت، ديوان أميّة بن أبي الصّلت، جمعه وحقّقه د. سجيع جميل الجبيلي، ص١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإلى حكاية الحيوان الشّارحة «تنسب الأمثال المبنيّة على "أفْعَل"، مثل آلف من كلب، أجرأ من الذّباب، أجهل من حمار، أحمق من نعامة، وغير ذلك؛ فإنّها في تبيان طبائع الحيوان»[١].

وفي ذلك يقول حمزة الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ) عن العرب: «فحين تأمّلوا أخلاق تلك البهائم فوجدوها متفرّقةً في أنواعها، ثمّ رأوها مجتمعةً في الإنسان، الّذي يجمعُ إلى حرص الذّئب حذر الغراب، وإلى تدبير الذّرّ كسب النّمل، وإلى هداية الحمام حَزْم الحرباء، وإلى حراسة الكركيّ ختل الثّعلب، وإلى غير ذلك من أخلاقها، قالوا عند ضرب الأمثال بأخلاق الإنسان: إنّ فلاناً له جرأة الأسد، ووثوب النّمر، وروغان الثّعلب، وختل الفهد»[٢].

ولعلّ هذا ما دفعَ العرب إلى عقد منافرات ومفاخرات بين الحيوانات أو بين النّباتات كالّتي تجري بينهم، متصوّرين أنّها تجري مجرى الإنسان، وتذهب مذهبه في التّهاجي والتّفاخر[٣]، ومثل هذه المنافرات والمفاخرات يعكسُ شيئاً من سمات المجتمع الجاهليّ وعاداته كالتّفاخر القبليّ والتّنازع العصبيّ.

ومن منافرات الحيوان زَعْمُهُم «أنّ القطا قالت للحجل: حجل حجل، كفرسٍ في الجبل، يهمز من خوف الأجل. فقال لها الحجل: قطا قطا، أرى قفاكِ أمعطا، بيضك ثنتان، وبيضي مائتان»[٤].

---

(١) إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨١.

(٢) حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج١، ص٦٠.

(٣) انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٢.

(٤) الثّعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٦٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومِنْ مفاخرات الحيوان قول المعزى: «الاستُ جَهْوى[١]، والذّنبُ ألوى، والجلد رُقاق، والشّعر دُقاق»[٢].

ولم تقتصِرْ معرفةُ الجاهليِّ ـ من حكايات الحيوان ـ على الحكاية الشّارحة ومفاخرات الحيوان ومُنافراته ؛ فقد عرف فضلاً عنهما الخرافةَ الشّعريّة والنّثريّة، ومن الخرافات ما يبدو عربيّاً خالصاً لا سِمةَ فيه لمؤثّراتٍ خارجيّة[٣]، ومِنْ ذلك حكاية المثل العربيّ "هذا أجلّ من الحَرْش"، وتقول: «إنّ الضّبّ قال لابنه: إذا سمعتَ صوت الحرشِ فلا تخرجنَّ. قال: وذلك أنّهم يزعمون أنّ الحرْشَ تحريكُ اليد عند جُحْر الضّبِّ ليخرُجَ إذا ظنّ أنّه حيّة. قال: وسمعَ ابنه صوت الحفرِ، فقال: يا أبتِ، هذا الحَرْش؟ قال: يا بُنيَّ هذا أجلُّ من الحَرْشِ! فأرسَلها مثلاً»[٤].

وتتّسمُ مثل هذه الخرافات بالبساطة والإيجاز معاً[٥].

ومن الخرافاتِ الجاهليّة ما كان ذا صلةٍ بالمؤثّرات الخارجيّة، وطبيعيٌّ أنْ نجد لبعضِ هذهِ الخرافاتِ نظائرَ في الآداب القديمة الأخرى. ولعلَّ من الإنصاف القول: إنّ العربيّ أخضعَ شيئاً من رواية هذه الخرافات لمعطيات بيئته وعادات مجتمعه،

---

(١) جَهْوى: مكشوفة.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلّد الثّاني، ج٤، ص٧٤.

(٣) انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٢.

(٤) الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون ج٤، ص١٦٥. وانظر: ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المجلّد الثّاني، ص٦٤٣؛ المفضّل بن سلمة، الفاخر، تحقيق شالس أنبروس استوري الإنجليزيّ، ص١٨٢-١٨٣، ٢٦٣.

(٥) انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فغيّر فيها بما يلائمهما، ومن ذلك خرافة "الحيّة والفأس"[١] أو خرافة "ذات الصّفا" المعروفة في التّراث الهنديّ واليونانيّ والعربيّ[٢]، والّتي قيل فيها المثل السّائر: "كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟!". فالرّواية العربيّة لهذه الخرافة تجعل المقتولَ أخاً لا ابناً ـ كما في الرّوايات غير العربيّة ـ ليتلاءَم مع النّسبة الكبرى من قصائد الرّثاء في العصر الجاهليّ[٣].

وهذهِ الخرافة إذ تبرزُ نمطاً من صراع الإنسان والحيوان، هذا الّذي يتّخِذُ شكل صنْوه الّذي يقوم بين البشر، فإنّها تجسّد بعض المناحي الاجتماعيّة كالثّأر وحبّ المال والمواثيق[٤].

وإذا كانت بعض دواوين الشّعر الجاهليّ قد استوعبت عدداً من حكايات الحيوان؛ فإنّ أمّات المصادر التّراثيّة: اللغويّة والموسوعيّة والأدبيّة والدّينيّة... قد استوعبت كذلك ما وصلنا من موروثٍ جاهليّ في هذا المجال.

أمّا بعد العصر الجاهليّ؛ فقد غدت حكاياتُ الحيوان جزءاً من الأدب الإسلاميّ[٥]، فبعض سور القرآن الكريم تحملُ أسماء حيوانات؛ والقرآن الكريم نفسه يستوعب عدداً من حكايات الحيوان، ويوظّفها لغايات دينيّة

---

(١) انظر: النّابغة الذّبياني، ديوان النّابغة الذّبياني، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص١٥٤ـ ١٥٦؛ المفضّل الضّبّي، أمثال العرب، قدّم له وعلّق عليه د. إحسان عبّاس، ص١٧٧ـ ١٧٩.

(٢) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٠.

(٣) انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٤) انظر: محمّد توفيق أبو علي، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ، ص٢٧٤.

(٥) انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووعظيّة؛ كحكايتي "سليمان والنّمل" و "سليمان والهدهد" الواردتين في سورة النّمل[١].

والرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم يستخدم مثل هذه الحكايات لغايات مقاربة، فمِمّا روي عنه صلّى الله عليه وسلّم قوله: «بينما رجلٌ يسوق بقرةً له قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة وقالت: إنّي لم أخلق لهذا، ولكنّي خلقت للحرث. فقال النّاس: سبحان الله تعجّباً وفزعاً أبقرةٌ تكلّمُ؟! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: فإنّي أؤمن به وأبو بكر وعمر»[٢].

ومن ذلك أيضاً ما رواه أبو هريرة عن رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم قولهُ: «بينما راعٍ في غنمه عدا عليه الذّئب فأخذ منها شاة، فطلبه الرّاعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذّئب، فقال: من لها يوم السّبع، يوم ليس لها راعٍ غيري؟ فقال النّاس: سبحان الله! فقال رسول الله: فإنّي أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر»[٣].

وإذا تقدّمنا في الزّمان، وجدنا أمير المؤمنين عليّاً (٢٣ق.هـ- ٤٠هـ) ـ كرّم الله وجهه ـ يستشهد في إحدى خطبه بخرافة "الأسد والثّيران الثّلاثة"[٤]، قائلاً: «إنّما

---

(١) انظر: سورة النّمل، الآيات ١٩-٢٨.

(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب فضائل الصّحابة، ص١٠٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٥٢. وانظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النّبيّ، ص٦١٥، ٦٢٠.

(٤) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلاّم، الأمثال، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له عبد المجيد قطامش، ص١٨٤؛ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، حقّقه محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ج١، ص٧٠؛ الميداني، مجمع الأمثال، حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص٣٦؛ الزّمخشري، المستقصى، اعتنى بتصحيحه محمّد عبد الرّحمن خان، تحت مراقبة د. محمّد عبد المعيد خان، ج١، ص٤١٧-٤١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثلي ومثل عثمان، كمثل أثوارٍ كنّ في أجمة، أبيض وأسود وأحمر ومعهنّ فيها أسد، فكان لا يقدر منهنّ على شيء لاجتماعهنّ عليه. فقال للثّور الأسود والثّور الأحمر: لا يدلّ علينا في أجمتنا إلاّ الثّور الأبيض فإنّ لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله صفت لنا الأجمة. فقالا: دونك فكله. فأكله. فلمّا مضت أيّام قال للأحمر: لوني على لونك، فدعني آكل الأسود؛ لتصفو لنا الأجمة. فقال: دونك فكله. فأكله. ثمّ قال للأحمر: إنّي آكلك لا محالة. فقال: دعني أنادي ثلاثاً. فقال: افعل. فنادى: ألا إنّي أكلت يوم أكل الثّور الأبيض. ثمَّ قال عليٌّ رضي الله عنه: ألا إنّي هنت ـ ويروى وَهنت ـ يومَ قتل عثمان»[١].

وحظيت خرافةُ الحيوان في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ باهتمام بالغ؛ فكانت القناعَ الموائمَ والشّكلَ المفضّلَ لمضمونٍ يكشفُ عمّا يقع على أصحابهِ من ظلمٍ واستبداد وقهرٍ اجتماعيّ وسياسيّ؛ فقيسُ بن الملوّح (ت٦٨هـ) يوظّف خرافتي حيوان للتّعبير عمّا ينالهُ من ظلم اجتماعيّ قاهر لا يملك إزاءه سوى الاستسلام والرُّضوخ، أمّا الظّالم فلا يعدَمُ حجّةً لتبرير ظلمه[٢].

الخرافة الأُولى هي خرافةُ "الحمل والذّئب" ـ إحدى الخرافات الّتي تنازعتها الآداب القديمة ـ وفيها يقع على الحمل ادّعاءٌ كاذب من الذّئب (القبيلة/ سطوة التّقاليد) يغتالُ بهِ الأخيرُ الحمل كما اغتالت التّقاليدُ البالية قَيْساً[٣]، يقول:

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ج١، ص٣٦.

(٢) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩١.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكنت كذئبِ السُّوء إذ قال مرّةً لِبَهْمٍ رَعَت والذّئبُ غرْثانُ مُرْمل
ألستِ الّتي من غير شيءٍ شتمتني؟ فقالت: متى ذا؟ قال ذا عام أوّل
فقالت: ولدتُ العامَ، بل رُمْتَ كذبةً فهاكَ فكُلْني لا يهنيكَ مأكلي[١]

أمّا الخرافة الأُخرى فخرافةُ "الشّيخ والعصافير" أو "صَائد العصافير" ـ كما يمكن أن نطلقَ عليها ـ الّتي سنقرؤها فيما بعد عند الجاحظ[٢](ت٢٥٥هـ)، والشّريشي[٣](ت٦١٩هـ).

يقولُ قيس مستلهماً هذه الخرافة:

وكنت كذبّاحِ العصافير دائِباً وعيناه من وَجْد عليهنَّ تَهْملُ
فلا تنظري ليلى إلى العينِ، وانظري إلى الكفِّ ماذا بالعصافيرِ تفعلُ[٤]

وبنحو ذلك يوظّف وزيرُ المنصور أبو أيّوب المورياني (ت١٥٤هـ) حكاية "البازي والدّيك"، ردّاً على من تعجّبوا من خوفه وتغيّر حاله بدخوله على المنصور قائلاً: «سأضرب لكم مثلاً من أمثال النّاس، زعموا أنّ البازي قال للدّيك:

---

(١) مجنون ليلى، ديوان مجنون ليلى، جمع وترتيب أبي بكر الوالبي، تحقيق وشرح جلال الدّين الحلبي، ص٤٠.

(٢) انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٥، ص٢٣٨- ٢٣٩.

(٣) انظر: الشّريشي، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ج٤، ص٢٣.

(٤) مجنون ليلى، ديوان مجنون ليلى، جمع وترتيب أبي بكر الوالبي، تحقيق وشرح جلال الدّين الحلبي، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما في الأرض شيءٌ أقلّ وفاءً منك! قال: وكيف؟ قال: أخذك أهلك بيضةً فحضنوك، ثمّ خرجت على أيديهم فأطعموك على أكفِّهم، ونشأتَ بينهم، حتّى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلاّ طرت ههنا وههنا وضججت وصحت. وأُخِذْتُ أنا من الجبال مسنّاً فعلّموني وألفوني، ثمّ يخلّى عنّي فآخذ صيدي في الهواء، فأجيءَ به إلى صاحبي. فقال له الدّيك: إنّك لو رأيت من البزاة في سفافيدهم مثل ما رأيت من الدّيوك، لكنت أنفر منّي. ولكنّكم أنتم لو علمتم ما أعلم، لم تتعجّبوا من خوفي مع ما ترون من تمكّن حالي»[١].

ومثلما كانت خرافة الحيوان القناعَ الموائم للتّعبير عن القهر مهما كان نوعه وأيّاً كان سببه؛ كانت ـ آنذاك ـ أيضاً إحدى الوسائل الّتي لجأ إليها أهل السّلطة في الرّد على خصومهم ومعارضيهم[٢]، والنّيل منهم.

ومن ذلك توظيف الحسن بن عليّ (ت٥٠هـ) خرافة "البعوضة والنّخلة" في النّيْل من المغيرة بن شعبة (ت٥٠هـ)، والاستهانة بعداوته وكلامه، والتّقليل من شأنه، قائلاً: «إنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنّخلة: استمسكي فإنّي طائرة عنك. فقالت النّخلة: وهل علمت بك واقعةً عليَّ فأعلم بكِ طائرةً عنّي؟ واللهِ ما نشعرُ بعداوتك إيّانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها، ولا يشقّ علينا كلامك»[٣].

---

(١) الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٢، ص٣٦٢- ٣٦٣. وانظر: أبو سعد الآبي، نثر الدّرّ، تحقيق منير محمّد المدني، مراجعة د. حسين نصّار، ج٧، ص٢٧٨-٢٧٩؛ الرّاغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء، حقّقه وضبط نصوصه وعلّق حواشيه د. عمر الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٢-٧٥٣؛ ابن الجوزي، الأذكياء، ص٢٤٤؛ الدّميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص١١٠-١١١.

(٢) انظر: خالد القشطيني، سجلّ الفكاهة العربيّة، ص٦١.

(٣) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة، ج٢، ص٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبأسلوب مقارب، يوظّف ابن العبّاس (ت٦٨هـ) خرافة حيوان أخرى في مناظرته مع ابن الزّبير (ت٧٣هـ) قائلاً: «واعجباً كلّ العجب لابن الزّبير، يعيب بني هاشم، وإنّما شرف هو وأبوه وجدّه بمصاهرتهم، أما والله إنّه لمصلوبُ قريش، ومتى كان العوّام بن خويلد يطمع في صفيّة بنت عبد المطّلب؟! قيل للبغل من أبوك يا بغل؟ فقال: خالي الفرس»[1].

ويروى أنَّ عبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ) حجّ «في بعض أعوامِه فأمر للنَّاس بالعطاء، فخرجت بدرة مكتوبٌ عليها من الصَّدقة، فأبى أهل المدينة قبولها وقالوا: إنّما كان عطاؤنا من الفيء. فقال عبد الملك وهو على المنبر: يا معشر قريش، مثلُنا ومثلكم أنَّ أخوين في الجاهليّة خرجا مسافرين، فنزلا في ظلّ شجرة تحت صفاة، فلمّا دنا الرّواح خرجت إليهما من تحت الصّفاة حيّة تحمل ديناراً، فألقته إليهما. فقالا: إنّ هذا لمن كنز. فأقاما عليها ثلاثة أيّام، كلّ يوم تخرج إليهما ديناراً. فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى ننتظر هذهِ الحيّة؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه وقال له: ما تدري لعلّك تعطب ولا تدرك المال. فأبى عليه، وأخذ فأساً معه، ورصد الحيَّة حتّى خرجت، فضربها ضربة جرحت رأسها، ولم تقتلها، فثارت الحيّة فقتلته، ورجعت إلى جحرها. فقام أخوه فدفنه، وأقام حتّى إذا كان من الغد خرجت الحيّة معصوباً رأسها وليس معها شيء. فقال لها: يا هذهِ، إنّي والله ما رضيت ما أصابك، ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لكِ أن نجعل الله بيننا؛ أن لا تضرّيني ولا أضرّك وترجعين إلى ما كنتِ عليه؟ قالت الحيَّة: لا . قال: ولِمَ ذلك؟ قالت: إنّي لأعلم أنّ نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبداً، وأنا أذكر هذهِ الشّجّة. وأنشدهم شعر النّابغة:

---

(١) الشّريف الرّضي، نهج البلاغة، معه شرح عزّ الدّين أبي حامد عبد الحميد، المجلّد الرّابع، ص٤٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقالت: أرى قبراً تراه مقابلي وضربة فأسٍ فوق رأسيَ فاقرة

فيا معشر قريش، وليكم عمر بن الخطّاب فكان فظّاً غليظاً مضيّقاً عليكم فسمعتم له وأطعتم، ثمّ وليكم عثمان فكان ليّناً سهلاً فعدوتم عليه فقتلتموه، وبعثنا عليكم مسلماً يوم الحَرَّة فقتلناكم، فنحن نعلم يا معشر قريش أنّكم لا تحبّوننا أبداً، وأنتم تذكرون يوم الحَرَّة، ونحن لا نحبّكم أبداً ونحن نذكر مقتل عثمان»[1].

وشبيهٌ بذلك توظيف المنصور العبّاسيّ (ت١٥٨هـ) خرافة "الخنزير والأسد" في كتاب ردّه على ابن الهبيرة (ت١٣٢هـ) ـ وقد دعاه للمبارزة ـ نال بها منه، وساق إليه سبب عزوفه عن مثل هذا اللقاء، ونصّ الكتاب: «يا ابن الهبيرة، إنّك امرؤ متعدّ طوْرَك، جارٍ في عنان غيِّك، يعدك اللهُ ما هو مصدّقه، ويمنّيك الشّيطان ما هو مكذّبُه، ويقرّبُ ما اللهُ مباعِدُه، فرويداً يُتمُّ الكتابُ أجَلَهُ. وقد ضربتُ مَثَلي ومثَلك: بلغني أنّ أسداً لقِيَ خنزيراً، فقال له الخنزير: قاتِلْني. فقال الأسدُ: إنّما أنت خنزير، ولستَ لي بكفء ولا نظير، ومتى فعلتُ الّذي دعوتَني إليه فقتلتُك، قيل لي: قتلتَ خنزيراً، فلم أعتقِدْ بذلك فخراً ولا ذِكراً، وإنْ نالني منك شيء كان سبَّةً عليّ. فقال: إن أنت لم تفعل رَجعت إلى السِّباع فأعلمتها أنّكَ نَكَلْتَ عنّي وجَبُنْتَ عن قتالي. فقال الأسد: احتمالُ عار كذبك أيسرُ عليّ من لَطخ شاربيّ بدمك»[2].

وكانت الخرافة في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إحدى صور التّحايل على الواقع ونقده، ووسيلةً تمكّن بواسطتها المصلحون والمفكّرون من النّفاذ إلى الحكّام والسّاسة والمسؤولين، متوجّهين إليهم بالنّصْح والنّقد.

---

(١) المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ج٣، ص١٢٧-١٢٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، المجلّد السّادس، ص٣١. وانظر: الدّميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة على ذلك خرافة "البوم والخرائب"[١]، ـ وقد ذكرناها سابقاً ـ الّتي قصّها على المأمون أحدُ حاشيته، ويروى أنَّ المأمون استيقظ للمعنى الّذي حمّله القاصّ لها؛ فجلس للمظالم وأنصف النّاس وتفقّد أمور الولاة[٢].

وقد قدَّم مسامرو الخلفاءِ وناصحوهم بالخرافة ـ في تلك الفترة ـ فضلاً عن النُّصْحِ والنَّقْد شيئاً من التَّسْرِية والتَّعزِية، لامسوا بها أفئدةَ الخلفاء، وجلوا من خلالها شيئاً مِنْ ضيقهم وكربهم، وساقوا إليهم فيها حلاً لمشكلاتهم، وخلاصاً مِنْ مصائبهم؛ ومثال ذلك خرافة "مفوّض وظالم والحيّة" الّتي وُظِّفت مرّتين في سياقين متشابهين، وإنْ بَعُدَا زمنيّاً.

فهذهِ الخرافة قصّها شيخٌ ضعيفٌ على عبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ)، وقد خرج مِنْ دمشق لقتال ابن الزُّبير، فناله في طريقه إلى ذلك من الغمِّ والهمِّ الكثير؛ لما بلغه مِنْ أنّ والي حمص قد نزع يده من الطّاعة، وأنّ أهل الثّغُور قد تشوّفوا للخلاف، وأنّ عمرو بن العاص دعا أهل دمشق إلى خلعِه، فأجابوه إلى ذلك، وبايعوه، فاستولى على دمشق.

وقد أشار الشّيخ على عبد الملك بالعودة برجاله إلى دمشق، وترك قتال ابن الزّبير، ودَعّم نصيحته تلك بخرافة "مفوّض وظالم والحيّة" رغبةً منه في دفع ما قد يعتري نفس سامعه من تردّد وحيرة، فلمّا سمع عبد الملك حكمة الشّيخ في ضرب أمثاله سُرَّ سروراً عظيماً، وأخذ برأيه وعمل بنصيحته، فأنجح اللهُ قصده ونصره على أعدائه.

---

(١) انظر: الطُّرطوشي، سراج الملوك، حقّقه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهارسه محمّد فتحي أبو بكر، تقديم د. شوقي ضيف، المجلّد الثّاني، ص٤٩٧-٤٩٨.

(٢) انظر: المصدر نفسه، المجلّد الثّاني، ص٤٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وظّف الخرافةَ نفسها مع سياقها الزّمنيّ السّابق، رجلٌ آخر دعاه الوليدُ ابن يزيد (ت١٢٦هـ) إلى مسامرته بحديث يوافق ما بلغَ الأسماع، مِنْ أنَّ يزيد بن الوليد بن عبد الملك (ت ١٢٦هـ) قد شرّد عنه القلوب، واستجاش عليه أهل اليمن، ونازعه في ملكه.

وقد تمكّن الرّاوي بذكره للحكاية السّابقة مع سياقها الزّمنيّ، من جلاء غمّ الوليد، وكشف ضرّه، ودفع ضيقه، فما كان من الوليد إلاّ أن أمر له بصدقةٍ معجّلة، وعهد إليه بملازمته، فكان يتمتّع بأدبه وعلمه[1].

تقول هذه الخرافة: «زعموا أنّ ثعلباً كان يسمّى ظالماً، وكانَ له جُحْر يأوي إليه، وكان مُغتبطاً به، فخرج يوماً يبتغي ما يأكل، ثمّ رجع فوجد فيه حيّة، فانتظر خروجها فلم تخرج، فعلم أنّها استوطنته؛ ذلك أنّ الحية لا تتّخذ جُحْراً، بل إذا أعجبها جُحْر اغتصبته وطردت مَنْ به من الحيوان، ولهذا قيل "فلانٌ أظلمُ من حيّة" فهذا ظلمها. ولمّا رأى ظالمٌ أنّ الحيّة قد استوطنت جُحْره ولم يمكنه السّكنى معها، ذهب يطلب لنفسه مأوى، فانتهى به السّير إلى جُحْرٍ حسن الظّاهر حصين، في أرضٍ منيعة ذات أشجار ملتَفّة وماءٍ معين، فأعجبه وسأل عنه، فقالوا: هذا الجُحْر يملكه ثعلبٌ اسمه مفوّض، ورثه عن أبيه، فناداه ظالم، فخرج إليه ورحّب به، وأدخله إلى جُحْره، وسأله عن حاله فقصّ عليه خبره مع الحيّة، فرقّ له مفوّض وقال له: الموت في طلب الثّأر خيرٌ من الحياة في العار، والرّأي عندي أن تنطلق معي إلى مأواك الّذي أُخِذ منك غصباً حتّى أنظرَ إليه، فلعلّي أهتدي إلى مكيدة تخلّص بها مأواك.

---

(١) انظر: ابن حجّة الحموي، ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٢٠٥-٢١٢؛ ابن ظفر، سلوان المطاع في عدوان الأتباع، دراسة وتحقيق محمّد أحمد دمج، ص١٢٩ -١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فانطلقا معاً إلى ذلك الجُحْر، فتأمّله مفوّض وقال لظالم: اذهب معي فبت الليلة عندي؛ لأنظر ليلتي هذهِ فيما يسنَحُ من الرّأي والمكيدة، ففعلا ذلك، وبات مفوّض مفكّراً، وجعل ظالم يتأمّل مسكن مفوّض، فرأى من سعته وطيب هوائه وحصانتهِ ما اشتدّ به من حِرْصه عليه، وطفق يدبّر الحيلةَ لاغتصابه ونفي مفوّض عنه.

فلمّا أصبحا قال مفوّضٌ لظالم: إنّي رأيت ذلك الجُحْر بعيداً عن الشّجر والماء، فاصرف نفسك عنه، وهلمّ أُعينُك على احتفار جحر في هذا المكان المشتهى. فقال ظالم: هذا غير ممكن؛ لأنّ لي نفساً تهلكُ لبعد الوطن حنيناً. فلمّا سمع مفوّض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرّغبة في وطنه، قال له: إنّي أرى أن نذهب يومنا هذا فنحتطب حطباً ونربط منه حزمتين، فإذا جاء الليل انطلقنا إلى بعض تلك الخيام، فأخذنا قبس نار، وحملنا الحطب والقبس إلى مسكنك، فتجعل الحزمتين في بابه، وتضرم النار؛ فإن خرجت الحيّة احترقت، وإنْ لزمت الجُحْر قتلها الدّخان. فقال له ظالم: هذا نِعم الرّأي.

فذهبا واحتطبا حزمتين، ولمّا جاء الليل انطلق مفوّض إلى ظاهر تلك الخيام فأخذ قبساً، فعمدَ ظالمٌ إلى إحدى الحزمتين فأزالها إلى موضع غيّبها فيه، ثمّ جرّ الحزمة الأخرى إلى باب مسكن مفوّض فسدّه بها سدّاً محكماً، وقدّر في نفسه أنّ مفوّضاً إذا أتى الجُحْر لم يمكنه الدّخول إليه لحصانته؛ فإذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى، وكان ظالم قد رأى في منزل مفوّض طعاماً ادّخره لنفسه، فعوّل ظالم على أنّه يقتات به إنْ حاصره مفوّض وهو مِنْ داخل، وأذهله الشّره والحرص عن فساد هذا الرّأي.

ثمّ إنّ مفوّضاً جاء بالقبس؛ فلم يجد ظالماً ولا وجدَ الحطب، فظنّ أنّ ظالماً قد حمل الحزمتين تخفيفاً عنه، وأنّه سبقه إلى مسكنه الّذي فيه الحيّة إشفاقاً على مفوّض، فشقّ ذلك عليه، وظهر له من الرّأي أن يُبادر إليه، ويَلحقه ليحمل معه الحطب،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوضع القبس بالقرب من الحطب، ولم يشعر أنّ الباب مسدود بـه لشـدّة الظُّلمـة، فما أبعد عن الباب إلا وضوء النّار وشدّة الدّخان قد لحقا به، فعـاد وتـأمّل البـاب، فرأى الحطب قد صار ناراً، فعلم مَكِيدةَ ظالم، ورآه قد احترق من داخل الجُحْر، وحـاق به مكره {ولا يحيق المكر السَّيِّئُ إلاّ بأهله} فقال: هذا الباحث عنْ حتْفِه بظِلْفه.

ثمّ إنّ مفوّضاً صبر حتّى انطفـأت النّـار، فدخـل جحـره فـأخرج جثّـة ظـالم فألقاها، واستوطن جُحْره آمناً»[١].

وقد بلغت حكاية الحيوان العربيّة أوجها مـن الظّـرف والبلاغـة[٢]؛ بنقـل ابن المقفّع كتاب "كليلة ودِمنة" من البهلويّـة إلى العربيّـة في النّصـف الأوّل مـن القرن الثّاني الهجريّ، بعد أنْ نقله إلى البهلويّة الطّبيبُ برزويه بن أزهـر في عـهد كسرى أنوشروان[٣].

وقد كانت حكاية الحيوان قبل ابن المقفّع تتردّدُ على الألسنةِ كسـائر أنـواع الأدب الشّعبيّ، لكنّ ابن المقفّع جعل لها كياناً مستقلاً وطابعاً خاصّاً[٤]، وبذا يكـونُ «أوّلَ من نقل هذا الفنّ القصصيّ من المرحلة الشّفاهيّة (الشّعبيّة) عنـد العـرب إلى الأدب المدوّن (الكتابيّ)»[٥].

---

(١) ابن حجّة الحموي، ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق محمّد أبي الفضـل إبراهيـم، ص٢٠٩- ٢١١، والآيـة (٤٣) من سورة فاطر. وانظر: ابن ظفر، سلوان المطاع في عدوان الأتباع، دراسـة وتحقيـق محمّـد أحمـد دمج، ص١٣٨- ١٤٣.

(٢) انظر: خالد القشطيني، سجلّ الفكاهة العربيّة، ص٦٤.

(٣) انظر: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، باب بعثة كِسرى أنو شروان لبرزويه بـن أزهر الطبيب إلى الهند بحثاً عن كليلة ودِمنة، ص٣٩- ٥٥.

(٤) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلـة ودِمنـة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٠١.

(٥) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتاب كليلة ودِمنة ـ في أكثره ـ كتابٌ يدورُ على ألسنة البهائم والطّيور، ظاهرهُ لهوٌ وباطِنُهُ حكمة[١]، يقولُ ابن المقفّع في باب عرض هذا الكتاب: «وجمع هذا الكتابُ لهواً وحكمةً؛ فاجتباهُ الحكماءُ لحكمته والسّخفاء لِلَهْوِهِ، أمّا المتعلّمون من الأَحداث وغيرهم فنشطوا لعِلْمه، وخفّ عليهم حِفْظُه»[٢].

«وهو دعوةٌ صريحةٌ للمثقّفين من فلاسفة وحكماء وعلماء ورجال دين للالتزام بواجبهم الأدبيّ، والقيام بدورهم في مواجهة السّلطة الباطشة الحاكمة المستبدّة، مهما كان الثّمن فادحاً والتّضحيات باهظة، فالكتاب ـ من هذا المنظور ـ يحكي قصّة الصّراع بين السُّلطة والثّقافة؛ ولمّا كان هذا الصّراع بينهما ـ بين السّيف واللسان ـ غير متكافئٍ بالضّرورة، فإنّه يلزم على العلماء التّحايل بصنوف الحيل»[٣]، ومنها «وضع بليغِ الكلامِ ومتقنهِ على أفواهِ البهائمِ والطّير»[٤].

وقد كان للبرامكة دورٌ كبيرٌ في العناية بكتاب "كليلة ودِمنة" وتوجيه الأنظار إليه؛ فقد قدّموا الجوائز النّفيسة لمن يقوم بترجمته من البهلويّة إلى العربيّة ترجمةً أخرى غير ترجمة ابن المقفّع، أو لمن يحاكيه أو ينظمه[٥]، ويَروي لنا حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) أنّ عبد الله بن هلال الأهوازي قام بترجمة كتاب "كليلة ودِمنة" بأمر من يحيى بن خالد البرمكيّ سنة (١٦٥هـ) في خلافة المهدي، ونظمه ليحيى ابن خالد سهل بن نوبخت فكافأه بألفِ دينار[٦].

---

(١) انظر: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، ص٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٧.

(٣) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٩٢.

(٤) ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، ص٧.

(٥) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٠٢.

(٦) انظر: حاجي خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، ص٤٢٨- ٤٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفَصْلُ الثاني

حكايةُ الحيوانِ النثريّة

في

القرن الثالث الهجريّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يعوزُ الباحِثَ في حكايةِ الحيوانِ النّثريَّةِ في القرن الثّالث الهجريّ، وقتٌ طويلٌ كي يدركَ أنّ قريحة أبناء هذا القرن لم تَجُدْ بجديد في هذا الشّأن، وأنّ جُلَّ حكايات الحيوان النّثريّة في كتبِ هذا القرن، إنّما هي حكاياتٌ محمولة من قرون سابقة، قد ترجع إلى القرن الثّامن أو السّابع قبل الميلاد.

على أنّ من الممكنِ أنْ نلحق بحكايات الحيوان النّثريّة في هذا القرن، رواية "النّمر والثّعلب" لسهل بن هارون؛ ذلك أنّ سهلاً وإنْ كان من أعلام النّصف الثّاني من القرن الثّاني الهجريّ، فإنّه أدرك القرنَ الثّالث الهجريَّ؛ إذ توفّي في السّنةِ الخامسةَ عشرةَ بعد المائتينِ للهجرة.

وبذا فإنّنا يمكن أنْ نقسّم حكايات الحيوان النّثريّة في هذا القرن تبعاً لأصلها إلى قسمين:

القسم الأوّل: حكاياتٌ محمولة في كتب هذا القرن ـ لاسيّما كتب الجاحظ ـ من قرون سابقة.

القسم الثّاني: حكاياتٌ من وضع أبناء هذا القرن، وتمثّلها رواية "النّمر والثّعلب" لسهل بن هارون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ – الحكاياتُ المحمولةُ من قرونٍ سابقة

تتقاسم كتب الأمثال وعددٌ من كتب الأدب في القرن الثّالث الهجريّ، ما وصل إلينا ـ من تلك الفترة ـ من حكاياتٍ حيوانيّة محمولةٍ من قرونٍ سابقة.

وإذا أرَدْنا أنْ نجلوَ شيئاً مِنْ عموميّة ما سبق؛ قلنا: إنَّ كتابَ "الأمثال" لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ)، وكتاب "الفاخر" لأبي طالب المفضَّل ابن سلمة (ت نحو ٢٩٠هـ) يحتضنانِ عدداً من هذه الحكايات الّتي نجد بعضها، وحكاياتٍ أخرى غيرها، في عددٍ مِنْ كتب الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ).

ولنا أنْ نفرّق بين أنواعٍ ثلاثة من هذه الحكايات الحيوانيّة النّثريّة الموروثة:

أ) الحكايات الشّارحة.

ب) المفاخرات الحيوانيّة.

جـ) الخرافات الحيوانيّة.

أ) الحكايات الحيوانيّة الشّارحة

يرفدنا كتاب "الحيوان" للجاحظ بحكايات حيوانيّة شارحة تنسب إلى الأعراب؛ ففضلاً عن حكايتي "طوق الحمامة"[١] و "الدّيك والغراب"[٢] اللتين سبق ذكرهما، تجيءُ الحكاية الّتي تقول: إنَّ الهدهد كان باراً بأمّهِ، حتّى

(١) انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٢، ص٣٢١- ٣٢٥.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٩- ٣٢٠، ٣٢٥- ٣٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّه جعل قبرها في رأسه، فكافأه الله تعالى بهذهِ القنزعة عوضاً عن تلك الوهدة[١].

ويشترك كتاب "المعاني الكبير في أبيات المعاني" لابن قتيبة وكتاب "الحيوان" برواية حكايات شارحةٍ أخرى، كحِكاية النّعامة الّتي عُرِفت بالظّليم؛ لأنَّها «ذهبت تطلب قرنين، فرجعت مقطوعةَ الأذنين»[٢]، وحكاية الغراب الّذي صار يحجل لأنّه ذهب ليتعلّمَ «مشية العصفور، فلم يتعلّمها ونسيَ مشيته»[٣]، ثمّ هناك حكاية الضّبّ الّذي سلب الضّفدعَ ذنبها[٤]، أمّا تفصيل ذلك، فما ترويه الأعراب من أنّ الضّبّ خاصم الضّفدع في الظّمأ «أيّهما أصبر، وكان للضّفدع ذنب، وكان الضّبّ ممسوحاً، فلمّا غلبها الضّبّ أخذ ذنبها»[٥].

وفضلاً عمّا تحتفظ به هذه الحكايات من نقل الموقف الخُلقيّ، الّذي اتّخذه الإنسان تجاه بعض القيم السّلبيّة في المجتمع، كالطّمع (كما هو الحال في حكاية النّعامة)، والخروج عن الأصل بالتّقليد الأعمى (كما هو الحال في حكاية الغراب)، فإنّها تحتفظُ عبر انتقالها الزّمنيّ من فمٍ لآخر ومن كتابٍ لغيره، بإيجازها، وببساطة بنيتها الفنّيّة.

---

(١) انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٣، ص٥١٠- ٥١١.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٢٣. وانظر: ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المجلّد الثّاني، ص٦٤٠-٦٤١.

(٣) الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٤، ص٣٢٥. وانظر: ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المجلّد الأوّل، ص٣٣٧.

(٤) انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون ، ج٦، ص١٢٥- ١٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٥. وانظر: ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المجلّد الأوّل، ص٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب) المفاخرات الحيوانيّة

حمل لنا كتاب "الحيوان" للجاحظ، وكتابا "المعاني الكبير في أبيات المعاني" و "عيون الأخبار" لابن قتيبة، شيئاً من المفاخرات الحيوانيّة الّتي تُنْسب إلى عـرب الجاهليّة، وتعكس ما عُرِف في المجتمع الجاهليّ مِن تفاخرٍ قبليّ.

ومِنْ ذلك أنّه «قيل للرَّخمة: ما أحمقكِ! قالت: وما حُمْقي؟! وأنا أقطعُ في أوّلِ القواطعِ، وأرجع في أوّل الرّواجع، ولا أطير في التّحسـير[١]، ولا أغـترُّ الشّـكير[٢]، ولا أسقط على الجفير[٣]»[٤].

ومـمّا يحكونه على لسان البهائم قولهم: «قالت الضّائنة: أوَلَّدُ رُخالاً، وأجـزّ جُفالاً، وأحلبُ كُثَباً ثِقالاً، ولم تر مثلي مالاً»[٥].

جـ) الخرافات الحيوانيّة

تنقسم الخرافات الحيوانيّة النّثريّة الّتي نقلتها مصادر القرن الثّالث الهجـريّ إلى قسمين:

القِسم الأوّل: خرافات تحكي قصّـة مثـل شـاع بـين النّـاس، فتداولـوه، وتمثّلوا به في حالات مشابهة، وتشترك في رواية هـذهِ الخرافـات كتـب الأمثـال مـع

---

(١) التّحسير: سقوط ريش الطّائر.

(٢) الشّكير: أول ما ينبت من الرّيش. أي لا يغرّها الشّكير فتطير حين ظهوره.

(٣) الجفير: جعبة السّهام، أي أنّها لا تسقط على الجعبة لعلمها أنّ فيها سهاماً.

(٤) الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٣، ص٥١٩- ٥٢٠.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المجلّد الثّاني، ص٦٩٢. وعيون الأخبار، المجلّد الثّاني، ج٤، ص٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتب الأدب؛ لذا فقد نعثر على الخرافةِ الواحدةِ في أكثر من مصدر بصيغٍ مختلفةٍ ومتقاربةٍ في آن.

ومن ذلك، الخرافة الّتي يرويها أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه "الأمثال"، في صدر الخبر عن المثل "حدّثْ حديثين امرأةً فإنْ لم تفهم فأربعة" يقول: «هذا المثل نرويه عن عامر الشّعبي أنّه تمثّل به. قال الزُّبَير بن بكّار: وقد تمثّل [به] النّعمان بن بشير الأنصاري على المنبر. أخبرني محمّد بن الضّحاك عن أبيه ومحمّد بن فضالة يزيد أحدهما على صاحبه، أنّ النعمان بن بشير بلغه حين مات معاوية كلام عن بعض أهل الكوفة، وهو عاملٌ فيها، فرقي المنبر، فقال: يا أهل الكوفة إنّ مثلي ومثلكم الضّبع والثّعلب أتيا الضّبّ يحتكمانِ إليه، وكان حَكَمَ الدَّوابّ (السِّباع) في الجاهليّة، فجاءاه.

فقالت الضّبع: يا أبا الحسيل.

قال: سميعاً دعوتِ.

قالت: اخرج، فاحكم بيننا.

قال: في بيته يؤتى الحكم.

قالت: إنّي خرجتُ أتمشّى.

قال: فِعْلَ الحرّةِ فَعَلْتِ.

قالت: فلقطتُ تمرةً.

قال: طيّباً لقطتِ.

قالت: فاختلسها ثعالة.

قال: لنفسه بغى.

قالت: فلطمته، فلطمني.

قال: كان حرّاً فانتصر لنفسِه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالت: اخرج فاقض بيننا.

قـــال: حدّث حديثين امرأةً فإن لم تفهم فعشرة... وقد رواه بعضهم: حـدّث حديثين امرأةً فإن أبت فأربعة»[١].

وهذه الخرافة الّتي تذهب فيها أقوال حكم الدّوابّ ـ الضّبّ ـ أمثالاً، يرويها لنا أيضاً المفضّل بن سلمة في كتابه "الفاخر"، في مورد الخبر عـن المثـل "في بيتـه يؤتى الحكم"، وتحلّ فيها الأرنب محلّ الضّبع[٢].

وتنتمي إلى هذا القسم، خرافـة "الحيّـة والفـأس" أو "ذات الصّفـا"، الّـتي يرويها ابن قتيبة في "الشّعر والشّعراء"[٣] عن المفضّل الضّبّي، وتحكي قصّة المثل المعروف "كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟!"، كما تنتمي إليـه أيضـاً الخرافـة الّـتي تحكي قصّة المثل السّائر: "إنّما أُكلتُ يومَ أُكلَ الثّور الأبيض"، الّتي تمثّل بها علـيّ ابن أبي طالب في إحدى خطبه[٤]، والخرافـة الّـتي تشـرح المثـل: "هـذا أجـلّ مـن الحَرْش"[٥].

ومنه أيضاً، الخرافة الّتي تقول: «إنّ شيخاً نصب للعصافير فخّاً، فـارتَبْنَ بـه وبالفخّ، وضربه البرد، فكلّما مشى إلى الفخّ، وقد انضمّ على عصفور، فقبض عليه،

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلاّم، الأمثال، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له عبد المجيد قطامش، ص٥٤.

(٢) انظر: أبو طالب المفضّل بن سلمة، الفاخر، تحقيق شالس انبروس أستوري الإنجليزي، ص٦٢.

(٣) انظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّـعراء، تحقيـق وشـرح أحمـد محمّـد شـاكر، ص١٦١-١٦٢؛ المفضّـل الضّبّي، أمثال العرب، تقديم وتعليق د. إحسان عبّاس، ص١٧٧-١٧٨.

(٤) انظـر: أبـو عبيـد القاسـم بن سلاّم، الأمثال، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له عبـد المجيـد قطـامش، ص١٨٤.

(٥) انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٤، ص١٦٥؛ ابن قتيبة، المعـاني الكبير في أبيات المعاني، المجلّد الثّـاني، ص٦٤٣؛ المفضّـل بـن سـلمة، الفـاخر، تحقيـق شـالس انبروس أستوري الإنجليزي، ص١٨٢-١٨٣، ٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودقَّ جناحَهُ، وألقاه في وعائه، دمعت عينه ممّا كان يصكُّ وجهه من برد الشّمال. فقال: توامرت العصافير بأمره، وقُلن: لا بأس عليكنّ، فإنّه شيخ صالح رحيم، رقيق الدّمعة. قال: فقال عصفور منها: لا تنظروا إلى دموع عينيه، ولكن انظروا إلى عمل يديه»[١].

القسم الثّاني من الخرافات النّثريّة: خرافات لا تقف وراء أمثال سائرة، وإنْ كان يصحّ التّمثّل بها في كثير من المواقف ـ شأنها في ذلك شأن معظم خرافات الحيوان ـ هذه الخرافات متفاوتة الحجم، تمدّنا بها في الأغلب كتب الأدب.

منها خرافات قصيرةٌ، كخرافة "الفأس والأشجار"، الّتي يرويها لنا الجاحظ في "البيان والتّبيين"[٢]، وهي خرافة قديمة وردت في حكمة أحيقار[٣]، ثمّ ظهرت في قصص إيسوب[٤].

تقول هذهِ الخرافة: «إنّ فأساً ليس فيها عود أُلقيت بين الشّجر، فقال بعض الشّجر لبعض: ما ألقيت هذه ههنا لخير. فقالت شجرة عاديّة: إنْ لم يدخل في است هذه عودٌ منكنّ فلا تخفنها»[٥].

وتنتمي إلى الخرافات القصيرة أيضاً، الخرافتان اللتانِ يوردهما الجاحظ في كتابهِ "القول في البغال" مع السّياق الّذي استعملت كلّ واحدةٍ منهما فيه[٦].

---

(١) الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٥، ص٢٣٨- ٢٣٩.

(٢) انظر: الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٣، ص٣٦.

(٣) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٧٩.

(٤) انظر: إيسوب، خرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج٢، ص٦٥.

(٥) الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٣، ص٣٦.

(٦) انظر: الجاحظ، القول في البغال، حقّق الكتاب وعلّق عليه ووضع فهارسه شارل بلا، ص٧٧، ٩٢-٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقول إحداهما: «ذكر بعض النّاسِ أنّه شتم بعض الأشراف، فقال: عجبتُ لقومٍ إذا قيل لهم: من أبوكم؟ قالوا: أُمّنا فرس»[١].

ومن الخرافات النّثريّة الّتي تحتلّ حجماً أكبر من سابقتيها، خرافتان يحتفظ لنا بهما كتاب "المحاسن والأضداد"[٢] المنسوب للجاحظ.

هاتان الخرافتانِ هما: خرافة "الثّعلب وعظيم الطّير"، وخرافة "الغراب والحمامة"، اللتان تردان في الكتاب المذكور في باب محاسن وفاءِ النّساء، ضمن حكاية إطاريّة واحدة هي حكاية الملك "بلاش بن فيروز" وزوجيه (ابنة ملك الهند، ابنة السّائس) بأسلوب يحاكي أسلوب "كليلة ودِمنة" في سرد الخرافات الحيوانيّة.

ففضلاً عن الحكاية الإطاريّة الواحدة الّتي تجمع هاتين الخرافتين، فإنّه يتصدّرُ روايةَ كلّ منهما حديث الرّاوية (ابنة السّائس، أو ابنة ملك الهند)، وهذا الحديث إذ يعلن اقتراب السّرد، فإنّه يشي بالغاية التّعليميّة والغرض الخُلقيّ، اللذين سيقطفهما المرويّ له (الملك) أو المتلقّي مِنْ سماع هاتين الخرافتين أو قراءتهما.

كما لا يبدأ السَّرْدُ إلاّ بعد المشهدِ الافتتاحيّ (الاستهلاليّ)؛ تقول أولى الرّاويتين (ابنة السّائس): فإنّها ـ تعني ابنة ملك الهند ـ متى احتالت في قتلك، لم يكن في أيدينا من الظّفر إلاّ قتلها، كما كان مِنْ أمر الثّعلب وعظيم الطّير. فيردّ المتلقّي (الملك) متسائِلاً، معلناً رغبته في معرفة ما كان من أمرهما: وما كان من حديثهما؟

---

(١) الجاحظ، القول في البغال، حقّق الكتاب وعلّق عليه ووضع فهارسه شارل بلا، ص٧٧.

(٢) انظر: الجاحظ، المحاسن والأضداد، شرح يوسف فرحات، ص٢٠٦-٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا المشهد الافتتاحيّ ذو وظيفة تشويقيّة واضحة[١] في إشراك المتلقّي (القارىء/ السّامع) في العمليّة السّرديّة[٢]، ودفعه إلى التّساؤل وتتبّع أحداث الحكاية، الّتي غدت إشباعاً لفضوله، وإرضاءً لرغبته، ومِنْ ثمّ جواباً لسؤالِه، جواباً ينسبه الرّاوي بدوره إلى أشخاص مجهولي الهويّة، حين يبدؤه بجملة (زعموا أنّ)، أو (يقالُ إنّه)[٣].

أمّا ما كان من حديث الملكِ وزوْجيه، فإنّ ابْنة السّائس قالت له: «مَنِ اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها، ومنْ صاحبَ العظماءَ أبت غريزتُه الأَدنياء، وإنّما ترقّبتُ عطفَكَ، ورجَوْتُ حسنَ نظرِكَ، فأمّا إذ عزمت على هذا فقد طابَ الموتُ، وما الّذي أستبقي منك! ثمّ قالت: أيّها الملك، إنّ جذل المسرّة منك لا يستقرّ ويقع موقعه، إلاّ بعد في المخالفةِ عندك، فاحترس مِنْ هذهِ الهنديّة؛ فإنّها لا تُؤْمَنُ عليك؛ لأنّها ليست من جنسكَ فيعطفها عليكَ الرّحم، ولا مِن أهل مملكتك فتعرف تطوّلك عليها، وإنّما هي شبيهة بموتورة، قد قتلت أباها، وهدمت عزّها فاحترسْ منها، ولا يلهينّك موقعها من قلبك، فإنّها متى احتالت في قتلك لم يكنْ في أيدينا من الظّفر إلاّ قتلها، كما كان من أمر الثّعلب وعظيم الطّير.

فقال الملك: وما كانَ مِنْ حديثهما؟

قالت: يقال إنّ ثعلباً جاع ذات ليلة فرقي شجرةً ليأكل منها، فسال الوادي الّذي فيه تلك الشّجرة بسيل شديد؛ فاقتلعها والثّعلب عليها، ثمّ رفعها ووضعها حتّى ألقى الثّعلب على أرض بعيدة من أرضه، فأصبح وقد ألقاهُ السّيلُ إلى سفح جبل كثير الأشجار، مثمر الأغصان، وعلى تلك الأشجار جنس مِنَ الأطيار لا

---

(١) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧.

(٢) انظر: عبد الفتّاح كيليطو، الحكاية والتّأويل: دراسات في السّرد العربيّ، ص٣٣.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص٣٥-٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحصى عدداً. فأقعى إلى شجرة قصيّاً مقشعرّاً، لا يعرف أرضه ولا يقدر على مؤالفة الدّواب، فمرّ به عظيم الطّير فقال له: ما أنت؟ فقال: أنا دابّة سال بي السّيل فألقاني في جبلكم وقد أصبحت غريباً. فقال له عظيم الطّير: فهل لك حرفة؟ قال: نعم، أعرف الثّمار إذا بلغت حدّ بلوغها، وأصنع للطّير أكناناً في الأرض تكنّ فيها فراخها من الحرّ والبرد. فقال له عظيم الطّير: فقد أدركت عندنا بغيتك، فأقم عندنا نواسِك، ونعرف حقّ مجاورتك.

فأقام الثّعلب عند ملك الطّير، فكان يعرّفهم الثّمار المدركة، ويحفر لهنّ بمخالبه قبوراً في الأرضِ يفرّخن فيها. وكان الثّعلب إذا جنّ عليه الليل، وقرم إلى اللحم، أدخل يده في جحرٍ من تلك الأجحرة فأخرجَ طيراً أو فراخه فأكله، ودفن ريشَهُ.

وجعلت الطّير تتفقّد ما كان يأكل واحداً بعد واحدٍ، فقال بعضها لبعض: ما فقدنا أفاضلنا إلاّ منذ صارت هذهِ الدّابّة بين أظهرنا، وما كانت هذهِ الطّيرُ تطيل الغيبة، وما ندري ما دهاها؟ فقال لها عظيمها: إنّ هذا حسد منكنّ لهذه الدّابّة، فلا تغفلن ما أصبحتنّ فيه من فضل المطعم، وما فيه فراخكنّ من هذه الأكنان الّتي لا يخاف عليها برد فيها ولا حرّ.

فقالت الطّير: أنت سيّدنا، وأبصر بالأمور منّا.

قال: وعليّ أن أقطع هذا القول، وأبيّن حقّ ذلك من باطله بنفسي. فلمّا أظلم الليل نزل من الشّجرة، فدخل بعض تلك الأكنان، وأقبل الثّعلب على العادة الّتي اعتادها إلى ذلك الكنّ فأدخل يده، فقبض على رأس الملك.

فقال الملك للثّعلب: لقد نصحتني الطّير، لو قبلت نصحها.

قال الثّعلب: :أنتَ هو؟!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: نعم.

قال: ما ظننتُ أن يبلغ من حمقك كلّ هذا !!

قال ملك الطّير: دعني أردّك في منزلتك بحسب ما رأيتُ من فضل علمكَ، ولطيف حيلكَ.

قال له الثّعلب: إنّ أبويّ أدّباني أنْ لا أعلق أنيابي بشيءٍ وأتركه، إذ ليس من جهلك أن لا تتجزّأ من الثّمار ومن الأكنانِ بما كان آباؤك يكتفون به، ولم ترض حتّى اختبرت أمري بنفسِكَ، ولم تجعل التّغريرَ في ذلك بغيرك، ثمّ أكله ودفن ريشه.

وفقدت الطّير عظيمها فاستوحشت، وضربت الثّعلب ضرباً بمخاليبها ومناقيرها حتّى قتلته، ولم يصلن في عظيم خطر ملكهنّ إلى أكثر من قتل الثّعلب؛ فاحترس من هذه الهنديّة.

قالت الهنديّة: إنّما تقرّ عين المرأة بأربعة رجال: بأبيها وأخيها وولدها وبعلها، وأفضل النّساء المختارة بعلها على جميع أهلها، والمؤثرة له على نفسها، فكيف بمن ذهب أبوها وأخوها فبقي بعلها، أفتحبّ أنْ تهلكه؟ على أنّ مثلك في رداءة همّتك، وخبث نيّتك مثل الغراب والحمامة.

قال الملك: وما كان من حديثهما؟

قالت: زعموا أنّ غراباً ألِف مطبخاً لبعض الملوك، فأخذ من أطيب اللحمان الّتي قد صارت فيه شيئاً، فظنّوا أنّ الغرابَ أخذه لقلّة وفائه ولؤم جوهره، فطردوه عن مطبخهم، وقالوا: ما نرجو من هذا الغراب وهو من الطّيور الّتي تُعاف ويُتطيّر منها؟!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأفشى ذلك أمره إلى حمامة، قد كان بينهما معرفة، وفزع إلى رأيها، وأخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب.

فقالت له الحمامة: انطلق بي حتّى تريني هذا المطبخ. فانطلق حتّى أتى سطح المطبخ، فقالت الحمامة: إنّي أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل، فاحفر لي بمنقارك قدر ما أدخل، فإنّ منقاري يضعف عن ذلك. فحفر الغراب في سقف البيت بمنقاره حتّى دخلت فيه الحمامة، وتوسّطت في البيت، فأعجبهم حُسن خلقها، وصفاء لونها، فجعل لها خازن المطبخ موضعاً تأوي إليه، فلبثتْ في ذلك البيت قريرة عين. فناداها الغراب: ما هكذا قدّرت فيك.

فقالت الحمامة: لو وفيتُ لك حلّ بي غدرك، وإنّ القوم عرفوا وفائي وحُسن جواري، وعرفوا غدرك وقلّة وفائك ونكث عهدك. فهذا مثلي ومثلك يا ابنة السّائس، إنّي لو وفيتُ لك أرداني غدرك، وقتلني مكرك»[1].

وقد تمكّنت هذه الخرافات، الّتي نقلتها لنا مصادر القرن الثّالث الهجريّ، بإنسانيّة طابعها ومضمونها، ورمزيّتها، وثرائها في التّأويل، وعبقريّتها الجماليّة، من النّفاذ إلى المتلقّي على اختلاف مراحله العمريّة ومستوياته الثّقافيّة[2]، واستطاعت أن تطفوَ فوق سطح الزّمن لتقابلَ كلَّ عصرٍ بالجدّة والحيويّة نفسيهما، وتلتقيَ مع كلِّ جيلٍ بالانفعال والتّأثير ذاتيهما[3]، باطنها حكمة أمّا ظاهرها فلهوٌ؛ ما هو إلاّ ذلك السّرد القصصيّ على لسان الحيوان بما فيه من عجائبيّة وغرائبيّة وفكاهة، في هذا اللهو تكمن قيمة هذه الخرافات الجماليّة الإمتاعيّة، كما تكمن فيه أيضاً

---

(١) الجاحظ، المحاسن والأضداد، شرح يوسف فرحات، ص٢١٠-٢١٢.

(٢) انظر: ابن عربشاه، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظّرفاء، تقديم وتحقيق وشرح د. محمّد رجب النّجّار، مقدّمة المحقّق، ص٦.

(٣) انظر: محمود ذهني، الأدب الشّعبيّ العربيّ مفهومه ومضمونه، ص٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظائفها الفكريّة، وغاياتها التّعليميّة والتّحريضيّة (الأخلاقيّة، والتّربويّة، والاجتماعيّة، والسّياسيّة)[١].

٢ – حكاياتٌ حيوانيّة من وضع أبناءِ هذا القرن وتمثّلها... رواية "النّمر والثّعلب" لسهل بن هارون

قدّم سهل بن هارون أكثر من عمل على لسان الحيوان محاكياً "كليلة ودِمنة".

وسهل بن هارون فارسيّ الأصل مِنْ أهل ميسان بين واسط والبصرة، ويقال إنّه من أهل نيسابور، ولا يُعرف تاريخ مولده، والأرجح أنّه ولد حوالي منتصف القرن الثّاني الهجريّ.

نزل سهل البصرة فنسب إليها، ونهل من ينابيع ثقافتها الفارسيّة والهنديّة واليونانيّة، وانتقل منها إلى بغداد حيث اتّصل بيحيى البرمكي وزير الرّشيد، فألحقه بالدّواوين.

وبعد نكبة البرامكة (١٨٧هـ) انعقدت صداقةٌ بينه وبين الفضل بن سهل؛ فقدّمه للمأمون الّذي أعجب بحسن بلاغته، وذكائه فجعله على خِزانة بيت الحكمة، وظلّ كذلك حتّى توفّي عام (٢١٥هـ)[٢].

---

(١) انظر: ابن عربشاه، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظّرفاء، تقديم وتحقيق وشرح د. محمّد رجب النّجّار، مقدّمة المحقّق، ص٦.

(٢) انظر: الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج١، ص٥٩- ٦٠؛ المسعودي مروج الذّهب ومعادن الجوهر، حقّقه ووضعه وضبطه يوسف داغر، ج١، ص٩٦؛ النديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٢٣٦-٢٣٧؛ الحصري، زهر =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرف سهل بوضع الخرافات على لسان الإنسان والحيوان؛ يقول النديم: «وكان قبل ذلك، ممّن يعمل الأسحار والخرافاتِ على ألسنة النّاس والطّير والبهائم، جماعةٌ منهم: سهل بن هارون بن راهبون، وعبد الله بن المقفّع، وعليّ بن داود كاتب زبيلة، وغيرهم»[١].

ومن كتبه على لسان الحيوان "ثعلة وعفرة" أو "ثعلة وعفراء"، الّذي لم يصل إلينا منه سوى هذه النّصيحة: «اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدّماً قبل الّذي تجودون به من تفضّلكم؛ فإنّ تقديم النّافلة مع الإبطاء عن الفريضة، مظاهر على وهن العقيدة، وتقصير الرّويّة، ومضرّ بالتّدبير، ومخلّ بالاختيار، وليس في نفع محمدته عوضٌ عن فساد المروءة ولزوم النّقيصة»[٢].

= الآداب وثمر الألباب، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم د. زكي مبارك، ج٢، ص٦١٦-٦١٧؛ ابن نباتة، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٤٤٢-٤٤٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق د. إحسان عبّاس، ج٣، ص١٤٠٩-١٤١٠؛ حاجي خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، ص٤٢٩؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، المجلّد الثّالث، ص١٤٣-١٤٤؛ إسماعيل باشا الباباني، هديّة العارفين: أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين من كشف الظّنون، المجلّد الخامس، ص٤١١-٤١٢.

(١) النديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٦٠٦.

(٢) الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم د. زكي مبارك، ج٢، ص٦١٦. وانظر: ابن نباتة، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يصل إلينا عن كتابه هذا، سوى إشارات بسيطة في كتب الأدباء والمؤرّخين القدماء، عندما يترجمون لحياة واضعه[١]، منها ما ذكره المسعودي (ت٣٤٦هـ) من أنّ هذا الكتاب وضعه سهل لأمير المؤمنين المأمون[٢] «يعارض به كليلة ودِمنة في أبوابه وأمثاله، ويزيد عليه بحسن نظمه»[٣]. ومنها قول الحصري (ت٤٥٣هـ): «وكتابه هذا مملوءٌ حكماً وأدباً»[٤].

أمّا كتابه الآخرُ على لسانِ الحيوان، فهو كتاب "النّمر والثّعلب"، الّذي أفْلَتَ مِنْ يد الضّياع؛ بعد أنْ عثر عليه عبد القادر المهيري وحقّقه وترجمه إلى الفرنسيّة ونشره[٥].

وتدور قصّته حَوْل ثلاث شخصيّات رئيسة هي: الثّعلب الحكيم، والذّئب الجحود، والنّمر الطّاغية. وتقول الحكاية: إنّ ثعلباً يدعى مرزوقاً ويكنّى أبا الصّباح، كانَ يقيم وزوجه حسن الحال هادىء البال في أحد الجحور القريبة من مجرى السّيل.

---

(١) انظر: المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، دقّقه ووضعه وضبطه يوسف أسعد داغر، ج١، ص٩٦؛ النّديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٢٣٦؛ الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم د. زكي مبارك، ج٢، ص٦١٦؛ ابن نباتة، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٢٤٢؛ حاجي خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، ص ٤٢٩.

(٢) انظر: المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، دقّقه ووضعه وضبطه يوسف أسعد داغر، ج١، ص٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٩٦.

(٤) الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم د. زكي مبارك، ج٢، ص٦١٦.

(٥) انظر: سهل بن هارون، النّمر والثّعلب، ط١، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التّونسيّة ـ كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، تونس، ١٩٧٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبينما هو كذلك زاره صديق قديم، يعرف بأبي المغلّس طارق، فلمّا رأى مسكنه، خشي أن يجتاحه السّيل، فنصحه بتغييره.

وحين استشار مرزوقٌ زوجه أبت عليه التحوُّل؛ بحجّة أنَّ الثّعلب الضّيف لم يكن ليقدِّم هذهِ النّصيحة إلاّ بدافع من حسده على ما هما فيه من رخاءٍ ونعيم.

وجاء السّيل فعلاً فغمر المكان، وحمل مرزوقاً معه، وقذفه إلى جزيرة نائية، سرعانَ ما تعرّف فيها على ذئبٍ هزيلٍ جائع اسمه مكابر، أعلمه أنّ الجزيرة ملأى بالظّباء والأبقار الوحشيّة لكنّه لا يستطيع صيدها؛ لخضوعها لنمر ظالم اسمه المنصور ابن المظفّر يخصّ نفسه وأعوانه بأرزاقها ولا يدع لسواهم سوى فضلات الطّعام.

يمضي مرزوق مهموماً لما حَزَره من عداوةِ النّمور وعدم القوت، ثمّ يدركُ أنَّ خلاصه ممّا هو فيه لا يتأتّى إلاّ بإعمال عقله؛ فليس يعرف فضلُ عقلِ المرءِ إلاّ في شدائد الأمور، ونوازل الخطوب.

فيشير على مكابر أنْ يمضيَ إلى النّمر، فيظهرَ له الولاءَ والإخلاص، ويسأله أنْ يعيّنه والياً على إحدى مناطق الجزيرة، شرط أنْ يرسل إليه بين الحين والآخر شطراً من خيراتها، حتّى إذا تمّ لمكابرٍ ذلك، أحلَّ مرزوقاً معاوناً، ونعم الاثنان بالخيرات والطّيبات. وحدث ما طلبا، فخرج الذّئب إلى عمله، واستخلف الثّعلب وأحلّه محلّ الوزير، فلمّا دانت له رعيّته واستتبّ أمره، أمسك عمّا كان يرسله إلى النّمر من خيرات وطيبات.

واشتدّ ذلك على النّمر؛ فأرسل إليه كتاباً يستوفيه عهده. فلمّا وصل الذّئب كتاب النّمر، استشار الثّعلب في أمره، فأشار عليه بالطّاعة؛ فأمره الذّئب أنْ يكتبَ كتاباً إلى النّمر يظهر له فيه الولاء والطّاعة، ويعتذر منه ويستمهله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمّ إنّ الثّعلب لـمّا أحسن الإجابة عن أسئلة الـوزراء الثّلاثـة، دعـاه النّمـر إليه ومضى يسأله أسئلةً متتالية وهو يجيب، حتّى أعجبَ النّمر بما وجده مِنْ حُسن عقلهِ وجودةِ منطقه ورأيه، فأمـر لـه بجائزة سنيّة، وبالمقام إلى جـواره وبقـرب داره، فكان يرتئيـه في خطب إنْ فدح، وأمـر إنْ سـنح، ويعمـل برأيـه ومشـورته إلى أنْ هلك[١].

تُعدُّ رواية النّمـر والثّعلب، روايـة ذات طـابعٍ تعليمـيّ وسياسـيّ[٢]، وقلنـا رواية؛ لأنّها طويلة ـ من حيث الحجم ـ ومتعدّدة الشّخصيّات ومتفرّعة الأحداث بما لا تحتمله الحكاية القصيرة، ولكنّها تنجح ـ من حيث المضمون ـ في تقديم موضوع قصصيّ واحد[٣]، يُعْنى ـ هنا ـ بالسّياسة، أو بما عرف قديماً بـ "علم تدبير الملك".

فهذه الرّواية «ذاتُ موضوعٍ وأهدافٍ مسقطة على الحياة السّياسيّة في عصـر الكـاتب، وعلـى القصـر والـولاة في ذلـك العصـر»[٤]. فقـد تنـاول فيـها سـهل «السّلطان وحاشيته ورعيّته، وصراع السّلطات المتنافسة على الحكم»[٥].

ويمكن القولُ: إنّ رغبة سهل الجادّة في تعرية النّظام الحاكم آنذاك، قد ارتدت ثوباً قصصيّاً، حاكت بطولته ثلاثةُ حيوانات هي: الثّعلب الحكيم، والذّئب الجحود، والنّمر الطّاغية.

---

(١) انظر: سهل بن هارون، النّمر والثّعلب، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، ص٧- ٧٩.

(٢) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٦.

(٣) انظر: عزّة الغنّام، الفنّ القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرّابع إلى القـرن السّـابع، ص٢٤؛ محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص١٨٨، ٢٠٦.

(٤) علي عقلة عرسان، الظّواهر المسرحيّة عند العرب، ص١٢٩.

(٥) مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد منح سهل أبطاله هؤلاء سماتٍ جسميّة ونفسيّة مميّزة[١]، وأجاد التّحدّث بلسانهم ومنطقهم، وتصوير سلوكهم وردود أفعالهم، بشكل وضعنا وجهاً لوجهٍ أمام الأبطال الحقيقيين ـ على أرض الواقع ـ الّذين عناهم سهل بهذا العمل؛ فالنّمر «رمزٌ للخليفة الشّرعيّ، والذّئب الجحود رمزٌ لكلّ خارج على طاعة الخليفة من الولاة، والثّعلب الحكيمُ رمزٌ لطبقة البرامكة والكتّاب والوزراء من الفرس، الّذين يعملون أو يسعون إلى العمل في دواوين الخلافة العبّاسيّة»[٢].

وكأنّنا بسهلٍ يقول: إنّ موضوع "كليلة ودِمنة" يمكن أنْ يكرَّر، ويقدّم مرة أخرى بصياغة جديدة، فهو حقٌّ مشاع، تمكّن مِنْ تجاوز حدود المكان الّذي وُجِدَ فيه لأوّل مرّة، وتخطّى حاجز الزّمن مرّةً تلو أخرى، وسيظلُّ يتخطّاه دونَ أنْ يفقده ذلك أبعاده القديمة[٣].

تتميّز هذه الرّواية بأنّها «مكتوبةٌ بلغة رفيعة المستوى؛ لأنّها موجّهة لطبقة الصّفوة من الأدباء وكتّاب الدّواوين»[٤] في عهد سهل، وفي صفحتها تتجلّى سعة أفقه، وعمق فكره، وثقافته الواسعة، ودرايته بأمور السّياسة والحكم.

وقَدْ ضمّنها سهلٌ أبياتاً من الشّعر لعدد من الشّعراء، منهم: أميّة بن أبي الصّلت[٥]، والأعشى[٦]، والقطامي[٧]، والتقط فيها صوراً غنيّة «لحكم الملوك المتجبّرين، والولاة المتمرّدين، وحيل الوزراء الدّهاة»[٨].

---

(١) انظر: علي عقلة عرسان، الظّواهر المسرحيّة عند العرب، ص١٣٢.

(٢) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٣) انظر: عزّة الغنّام، الفنّ القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرّابع إلى القرن السّابع، ص٢٤٤.

(٤) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٦.

(٥) انظر: سهل بن هارون، النّمر والثّعلب، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، ص١٢.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص١٢، ٢٢.

(٧) انظر: المصدر نفسه، ص١١.

(٨) شوقي ضيف، العصر العبّاسي الأوّل، ص٥٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تضافرت في هذه الرّواية عناصر مختلفة؛ كالحوار «والتّشويق، والعمق، والصّراع المتصاعد، والتّخطيط السّليم القادر على إيصال أهداف المؤلّف، وأهداف النّصّ الفلسفيّة والأخلاقيّة»[١]؛ لتجعل منها «نموذجاً رائداً لرواية الحيوان في الأدب العربيّ الرّسميّ، معروف المؤلّف»[٢].

وينبغي ألاّ يفوتنا في هذهِ الرّواية مدى تأثّر سهل بالقرآن الكريم والحديث الشّريف، واستفادته مِنْهما لفظاً ومضموناً[٣].

وإذا كانَ سهلٌ قد تأثّر بموضوع "كليلة ودِمنة"، فإنَّ روايته هذه أفشت لنا كذلكَ مدى تأثّره بأسلوب ابن المقفّع؛ ففيها من "كليلة ودِمنة" ـ مثلاً ـ الاستطراد، وضرب الأمثال والحكم في ثنايا المحاورات[٤]. وكثيرٌ من أمثال هذهِ الرّواية وحكمها وعباراتها مقتبس من "كليلة ودِمنة"[٥]، ثمّ إنَّ هناك جملاً مقتبسة أيضاً من كتاب "الأدب الصّغير" لابن المقفّع[٦].

---

(١) محمود عبد الرّحيم صالح، فنون النّثر في الأدب العبّاسيّ، ص١٥٤.

(٢) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٦.

(٣) انظر: سهل بن هارون، النّمر والثّعلب، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، ص٩، ١١، ١٩، ٢٣، ٣١.

(٤) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٢٦.

(٥) انظر: سهل بن هارون، النّمر والثّعلب، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، ص١٥، ١٦، ٣٠، ٤٢.

(٦) انظر: سهل بن هارون، النّمرُ والثّعلب، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، ص١٦؛ ابن المقفّع، الأدب الصّغير والأدب الكبير، تحقيق ودراسة د. إنعام فوّال، ص٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الجدير بالذّكر أنّ هذه الرّواية ليست العمل الوحيد لسهل في مجال السّياسة أو تدبير أمور الحكم، فله كتابٌ آخر في هذا الشّأن هو كتاب "تدبير المُلْكِ والسّياسة"[١].

ثـمّة ملاحظتان أخيرتان . . .

أولاهما: أنّ بعض المصادر القديمة تشيرُ إلى أنّ لسهل كتاباً آخر يعرف بكتاب "الغزالين"، ولكنّها لا تشير إلى أنّ سهلاً أجرى كتابه هذا على لسان الحيوان[٢] ـ على لسان غزالين كما قد نتوقّع ـ وقد فقد هذا الكتاب.

وإذا كان كتاب "ثعلة وعفرة" قد فقد أيضاً، فإنّ بعض المصادر القديمة أشارت إلى أنّ سهلاً وضعه على لسان الحيوان محاكياً به "كليلة ودِمنة"[٣].

في حين لم تشر بعض المصادر إلى أنّ سهلاً أجرى كتاب "النّمر والثّعلب" على لسان الحيوان؛ ولكنّ عثور عبد القادر المهيري عليه دفع عنّا الشكّ في ذلك[٤].

---

(١) انظر: النديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٢٣٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٢٣٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق د. إحسان عبّاس، ج٣، ص١٤١٠؛ إسماعيل باشا البابـاني، هدّية العارفين: أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين من كشف الظّنون، المجلّد الخامس، ص٤١١.

(٣) انظر: المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، دقّقه ووضعه وضبطه يوسف أسعد داغر، ج١، ص٩٦؛ النديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٢٣٦؛ الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم د. زكي مبارك، ج٢، ص٦١٦؛ ابن نباتة، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٢٤٢؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج٣، ص١٤٣؛ حاجي خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، ص٤٢٩؛ إسماعيل باشا البابـاني، هديّة العارفين: أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين من كشف الظّنون، المجلّد الخامس، ص٤١١.

(٤) انظر: سهل بن هارون، النّمر والثّعلب، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التّونسيّة ـ كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، تونس، ١٩٧٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما أودُّ قوله هو أنّ ضياع كتاب "الغزالين"، وعدم إشارة المصادر القديمة لأسلوب سهل في وضعِهِ؛ يجعلني عاجزةً عن تصنيفه ضمنَ مؤلّفاته على لسان الحيوان، ومِن الجدير بالذّكر أنّ محمود عبد الرّحيم صالح قد ذهب إلى القول بأنّ كتاب "الغزالين" هو أحد كتب سهل على لسان الحيوان، دون أن يوثّق مصدر ذلك[١]، ولعلّ عنوان الكتاب هو الّذي دفعه إلى هذا الاستنتاج.

ثانيتهما: أنّ النديم أشارَ إلى أنّ عليّ بن داود كاتب زبيدة، هو أحد واضعي الخرافات على لسان الإنسان والحيوان[٢]، وأنّه قد سلكَ في تصنيفاته طريقة سهل ابن هارون[٣]، ولكنّه لم يذكر لابن داود هذا كتاباً معيّناً على لسان الحيوان.

وقد ذهب محمّد غنيمي هلال[٤]، ومِنْ بعده محمّد غفراني الخراساني[٥]، وفاروق سعد[٦]، ومجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم[٧]، إلى القول بأنّ كتاب "النّمر والثّعلب"، كتابٌ وضعه عليّ بن داود محاكياً به "ثعلة وعفرة" لسهل بن هارون.

ولا أدري كيف ذهبوا إلى ذلك، والمصادر القديمة الّتي ترجمت لسهل أو تحدّثت عن أخباره، أجمعت على أنّ كتاب "النّمر والثّعلب" مِنْ وضعه[٨].

---

(١) انظر: محمود عبد الرّحيم صالح، فنون النّثر في الأدب العبّاسيّ، ص١٥٣.

(٢) انظر: النديم، الفهرست، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، ص٦٠٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٢٣٧.

(٤) انظر: محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص١٨٥.

(٥) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٥٩.

(٦) انظر: عبد الله بن المقفّع، كليلة ودِمنة، قدّم له د. فاروق سعد، مقدّمة الكتاب، ص٧١.

(٧) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٢٥-١٢٦.

(٨) انظر: النديم، الفهرست، تحقيق د. ناهد عبّاس عثمان، ص٢٣٧؛ ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، عني بتصحيحه وضبط ألفاظه عبد العزيز أمين الخانجي، ص١٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق د. إحسان عبّاس، ج٣، ص١٤١٠؛ خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج٣، ص١٤٣-١٤٤؛ إسماعيل باشا الباباني، هديّة العارفين: أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين من كشف الظّنون، المجلّد الخامس، ص٤١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفَصْلُ الثالث

حِكايةُ الحيوانِ النثريّة

في

القرن الرّابع الهجريّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتساءل البلحثُ، وهو يلج القرن الرّابع الهجريّ، إنْ كانَ سيلقى وحكاية الحيوان النّثريّة اهتماماً وترحيباً كاللذين صادفهما في رحلته في القرون السّابقة. وهو إذ يخطو مليئاً بالتّوقّع والتّرقُّب، مسلّحاً بالشّوق والصّبر، في رَحْب مصادر هذا القرن، يدرك أنّه أصاب غايته، والتمس السّبيل الصّحيح؛ فها هو يلقى مظاهر احتفاء هذا القرن ومصادره بهذا اللون القصصيّ، ويجني ثمار ذلك أربعة ألوان من حكايات الحيوان النّثريّة:

أ) الحكايات الشّارحة.

ب) المنافرات الحيوانيّة.

جـ) الخرافات الحيوانيّة.

د) رواية الحيوان.

ويمكن القول: إنّ احتفاء كتّاب القرن الرّابع الهجريّ بهذا اللون القصصيّ؛ كان ثمرةً أصيلةً لظاهرتين متناقضتين عرفهما العالم الإسلاميّ في تلك الفترة.

الظّاهرة الأولى: فساد الحياة السّياسيّة، وهي ظاهرة اتّسعت، وتوضّحت، وأفصحت عن وجودها بقوّة في ذلك القرن؛ بانقسام الدّولة الإسلاميّة إلى دويلات صغيرة معظم أمرائها من العجم، أخذت هذه الدّويلات تتنافس فيما بينها، ويُغير بعضها على بعضها الآخر، وصاحب ذلك تردّي الأوضاع الاجتماعيّة بسبب سوء الإدارة، وكثرة الحروب بين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمراء، ومستلزمات الإنفاق على الجيوش، وكثرة الضّرائب، واشتداد وطأة الإقطاع، وفشو الاستغلال والبذخ في الطّبقات العليا على حساب الطّبقات الدّنيا[١]، وما نتج عن ذلك كلّه وغيره، من فقدان القيم الخُلُقيّة، وتفشّي الخيانة والغدر والرّشوة.

أمّا الظّاهرة الثّانية: فظاهرة الرّقيّ العقليّ؛ إذ كان من انقسام الدّولة الإسلاميّة إلى دويلات، أن عمد أمراؤها ـ لأسباب سياسيّة، أو بدافع حبّ الظّهور، أو للتّشبّه ببغداد أيّام عزّها ـ إلى تشجيع الحركة العلميّة، ورعاية أهل الفكر والأدب، بحيث غدا نصراء العلم ورعاتُه عدّة أمراء ووزراء، وصار كلّ قطر من أقطار الدّولة الإسلاميّة مركزاً هامّاً من مراكز الثّقافة العربيّة[٢].

وبقدر ما كان الإقبال على حكاية الحيوان أحد مظاهر الرّقيّ العقليّ الّذي صبغ الفكر والأدب؛ كان أحد الوسائل الّتي استعارها كتّابُ هذا القرن وأدباؤه فضاءً فسيحاً لحرّيّة التّعبير، وبثّ الرّؤى والأفكار الفلسفيّة، والنّقد السّياسيّ والاجتماعيّ والفكريّ والعقائديّ، دون اصطدام بالسّلطة أيّاً كان نوعها، ويمكن أن نستدلّ على ذلك بأدلّة كثيرة منها: نوعيّة الخرافات الّتي انتخبتها مصادر هذا القرن روايةً، فجلّها من الخرافات ذات المضامين النّقديّة: السّياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة الحادّة.

---

(١) انظر: أبو حيّان التّوحيدي، مثالب الوزيرين، عني بتحقيقه د. إبراهيم الكيلاني، مقدّمة المحقّق، ص ج.

(٢) انظر: المصدر نفسه، مقدّمة المحقّق، ص ب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ) حكايات الحيوان الشّارحة

احتلّت بعض حكايات الحيوان الشّارحة الّتي نقلتها مصادر القرن الثّالث، جزءاً من حظّ القرن الرّابع من هذا اللون من حكايات الحيوان النّثريّة الموروثة، الّتي تنسب إلى عرب الجاهليّة.

ويرفدنا كتاب "الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة" لحمزة الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ)، وكتاب "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" للثّعالبي (ت٤٢٩هـ) بمجموعة من الحكايات الشّارحة المشتركة بين مصادر هذين القرنين؛ كحكاية "الضّبّ والضّفدع"[١]، و "طوق الحمامة"[٢]، والنّعامة الّتي عرفت بالظّليم[٣].

ويروي صاحب "الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة"، بعض هذه الحكايات مع ما قيل فيها من أمثال سائرة، فيورد حكاية "الضّبّ والضّفدع" في مورد الخبر

---

(١) انظر: حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج١، ص٢١١؛ الثّعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٦٤٣؛ الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٦، ص١٢٥- ١٢٨.

(٢) انظر: الثّعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٤٦٥؛ الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٢، ص٣٢٠- ٣٢٥.

(٣) انظر: حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج٢، ص٥٥٣-٥٥٤؛ الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٤، ص٣٢٣- ٣٢٤؛ ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المجلّد الثّاني، ص٦٤٠- ٦٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن المثل "أرسح من ضفدع"[١]، ويروي حكاية النَّعامة الطّامعة في قرنين مشيراً إلى المثل "كطالب القرن فجدعت أذنه"[٢]، وهو المثل الّذي وقف عليه الميداني (ت ٥١٨هـ) فيما بعد؛ ليروي الحكاية الشّارحة ذاتها[٣].

وقد احتفت بعض مصادر هذا القرن برواية حكايات شارحة أخرى، تتعلّق بتفسير العرب لطبائع الحيوان وسلوكه. هذه الحكايات كنّا نقطفها في هذه المصادر عَنْ أمثال قيلت فيها على وزن "أفْعَل"، كحكاية المثل السّائر "أحذرُ من غراب" وتقول: «إنّ الغراب قال لابنه: إذا رُميتَ فتلوّص. قال: أنا أتلوّص قبل أنْ أرمى»[٤]. ومن الحكايات الشّارحة الأخرى الّتي ترتبط بمثل قيل فيها، حكاية المثل "أحمق من الضّبع"، وتقول: إنّ الضّبع «وجدت تودية في غدير، فجعلت تشرب الماء، وتقول حبّذا طعم اللبن، واضياحاه! وتشرب، حتّى انشقّ بطنها فماتت. والتّودية: عودٌ يُشَدّ على رأس الخِلْف لئلاّ يرضع الفصيلُ أمَّه. والضّياح: اللبن المذيق إذا أكثِر ماؤه»[٥].

---

(١) انظر: حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج١، ص٢١١.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥٣-٥٥٤.

(٣) انظر: الميداني، مجمع الأمثال، حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص١٣٩-١٤٠.

(٤) الثّعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٤٦٢.

(٥) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ج١، ص٤١٦. وانظر: حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج١، ص١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب) المنافرات الحيوانيّة

استوعبت بعض مصادر هذا القرن[١]، شيئاً مـمّا صَاغـه العربـيّ الجـاهليّ مـن منافرات على لسان الحيوان، مـن هذه المنافرات: منافـرة "الأرنب والوَبْر"، وتقـول: إنَّ الأرنب قالت للوَبْر: «وبْرٌ وَبْر، عَجزٌ وصَدْر، وسائرك حَقْر نَقْر. فقـالت الوبـر للأرنب: أرانِ أرانِ، عجز وكتفانِ، وسائرك أكلتان» [٢].

ومن ذلك أيضاً زعمهم: «أنّ القطا والحجلة تهاجيا، فقالت الحجلة للقطـا: قطا قطا أرى! أمعكِ بيضك ثنتان وبيضي مائتان. فقالت القطـاة مجيبـةً لهـا: حَجَـل حَجَل، أنتِ تفرّين في الجبل، إذا بصرتِ بالرَّجُل» [٣].

---

(١) انظر: حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفـاخرة في الأمثـال السّـائرة، حقّقـه وقـدّم لـه ووضـع حواشـيه وفهارسه عبـد المجيـد قطـامش، ج١، ص١٩١، ج٢، ص٥٥٥؛ الثّعـالبي، ثمـار القلـوب في المضـاف والمنسوب، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ص٦٤٤.

(٢) حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائـرة، حقّقه وقدّم له ووضـع حواشـيه وفهارسـه عبد المجيد قطامش، ج٢، ص٥٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥٥. وانظر: الثّعالبي، ثـمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيـق محمّـد أبي الفضل إبراهيم، ص٦٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ) الخرافات الحيوانيّة

احتلّت الخرافات ـ لاسيّما الموروثة منها ـ الشّطر الأكبر من دائرة حكايات الحيوان النّثريّة في القرن الرّابع الهجريّ، ولنا أن نقسّمها تبعاً لأصلها إلى قسمين:

١ – خرافات الحيوان الموروثة.

٢ – خرافات تناولتها بعض مصادر هذا القرن بالرّواية، ولكنّنا لم نقف على أصولها.

وقبل أن نأتيَ إلى تفصيل كلّ منهما، ثمّةَ استطرادٌ لا بدّ منه، وهو أنّ خرافات هذين النّوعين، حملت الصّرخة نفسها الّتي أطلقها الإنسان المحبط في هذا القرن، ورفعت احتجاجه ونقله، وامتصّت وجعه وسخريته؛ فجاءت مرّةً ساخرةً، مضحكةً موجعةً، نتذوّق عبرتها ورؤيتها بشيء من التّبسّم، وكثير من التّأثّر والانفعال، ونرى فيها صورتنا جليّةً واضحةً بمقدار ما بدت فيها واضحةً صورةُ كاتبِ هذا القرن وقارئه.

١ ـ خرافات الحيوان الموروثة

تقدّم مصادر هذا القرن للباحث في هذا المجال ـ شأنها في ذلك شأن مصادر القرن السّابق ـ نوعين من الخرافات الموروثة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النّوع الأوّل: خرافات تقف وراء أمثال سائرة. من هذه الخرافات، خرافات عثرنا عليها في بعض مصادر القرن السّابق[١]، كالخرافات الّتي قيلت فيها الأمثال السّائرة التّالية: "في بيته يؤتى الحكم/ حدِّث حديثين امرأةً فإن لم تفهمْ فأربعة"[٢] و "هذا أجلّ من الحرش"[٣] و"كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟!"[٤] و"إنّما أكلت يوم أكل الثّور الأبيض"[٥].

---

(١) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، الأمثال، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له عبد المجيد قطامش، ص٥٤، ١٨٤؛ الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٤، ص١٦٥. والبيان والتّبيين، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٣، ص٣٦؛ المفضّل بن سلمة، الفاخر، تحقيق شالس أنبروس استوري الإنجليزي، ص٦٢.

(٢) انظر: حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج٢، ص٤٥٦-٤٥٧؛ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، حقّقه محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ج١، ص ٣٦٧-٣٦٨؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، الأمثال، حقّقه وقدّم له عبد المجيد قطامش، ص٥٤؛ المفضّل بن سلمة، الفاخر، تحقيق شالس أنبروس استوري الإنجليزي، ص٦٢.

(٣) انظر: ابن الأنباري، الزّاهر، تحقيق د. حاتم الضّامن، ج٢، ص٩٦؛ حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثل السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج١، ص١١٨-١١٩؛ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثل، حقّقه وقدّم له محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ج١، ص٧٦، ج٢، ص٣٣٢-٣٣٣؛ أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقه والتّعليق عليه د. إبراهيم الكيلاني، المجلّد الثّاني، ص٦٥١؛ الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٤، ص١٦٥؛ ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، المجلّد الثّاني، ص٦٤٣؛ المفضّل بن سلمة، الفاخر، تحقيق شالس أنبروس استوري الإنجليزي، ص١٨٢-١٨٣، ٢٦٣.

(٤) انظر: حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج٢، ص٣٨٨؛ ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر، ص١٦١-١٦٢.

(٥) انظر: أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، حقّقه وقدّم له محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ج١، ص٧٠؛ أبو عبيد القاسم بن سلاّم، الأمثال، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له عبد المجيد قطامش، ص١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأنّنا قد نقع على الخرافة الواحدة تحت أكثر من مثل قيل فيها، ولأنّ هذه الخرافات المهاجرة من مصدر لغيره ومن قرن لآخر، استوعبت ما يمكن أن يضيفه كلّ راو لها أو يحذفه أو يعدّله أو يغيّره؛ فقد تعدّدت صورها بتعدّد مصادرها ورواتها، وتعدّد الأمثال الّتي قيلت فيها.

ومن الخرافات الّتي نتوقّف عندها في مصادر القرن الرّابع الهجريّ، الخرافة الّتي يوردها حمزة الأصفهاني في صدر الخبر عن المثل "أعجز عن الشّيء من الثّعلب عن العنقود"[١]، وهي خرافة قديمة عرفت في الأدبين العربي[٢] واليونانيّ[٣]، وتقول: إنّ «الثّعلب نظر إلى العنقود فرامه، فلم ينله، فقال: هذا حامض»[٤].

النّوع الثّاني: خرافات لا تقف وراء أمثال سائرة، وإنْ كان يصحّ التّمثّل بها في بعض المواقف، شأنها في ذلك شأن معظم خرافات الحيوان.

وهذا النّوع يشغل حيّزاً كبيراً من دائرة حكايات الحيوان النّثريّة الموروثة، ومن حظّ القرن الرّابع الهجريّ من خرافات الحيوان؛ فقد لاقى هذا اللون قَبولاً وترحيباً لدى كتّاب هذا القرن، الّذين يبدو أنّهم انتبهوا إلى ما يتمتّع به ـ هذا اللون ـ من قدرة متجدّدة على ملامسة مشكلات البشريّة، والتّعبير

---

(١) انظر: حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج١، ص٣١٩.

(٢) انظر: الميداني، مجمع الأمثال، حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ج٢، ص٥٣.

(٣) انظر: إيسوب، خرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج١، ص١٩.

(٤) حمزة الأصفهاني، الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، ج١، ص٣١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنها، والنّفاذ إليها بالنّقد؛ فتركوا لنا منه نماذج كثيرة في كتبهم؛ لاسيّما أصحاب الكتب المنوّعة: كأبي حيّان التّوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ) صاحب كتاب "البصائر والذّخائر"، وأبي سعد الآبي (ت ٤٢١هـ) صاحب كتاب "نثر الدّرّ".

ويمكن القول: إنّ احتفاء كتّاب هذا القرن برواية هذا اللون من حكايات الحيوان، كان احتفاءً انتخابيّاً انتقائيّاً، وليس عفويّاً؛ فقد سُجِّلت الغلبة فيه للخرافات ذات المضامين النّقديّة الحادّة: السّياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة، على حساب الخرافات ذات الدّروس الخُلقيّة والموعظة التّربويّة، ممّا يؤكّد ما ذهبنا إليه من قبل، مِن أنّ هذا الاحتفاء كان لوناً من ألوان التّحايل، الّتي لجأ إليها كتّاب هذا القرن وأدباؤه في عرض الواقع ونقده.

ونجد من هذا الضّرب خرافاتٍ ممعنةً في الإيجاز، تصبّ النّقد الموجع في كأس السّخرية المريرة والكلمة اللاذعة، ويمكن أن نطلق على هذه الخرافات اسم "خرافات الحيوان الموجزة السّاخرة"؛ وهي خرافات وفّرت من قبل لأهل السّلطة والمسؤولين وسيلةً نافذة في الرّدّ على الخصوم والنّيل منهم، كخرافة "البعوضة والنّخلة"[١]، الّتي وظّفها الحسن بن عليّ (ت ٥٠هـ) في النّيل من المغيرة بن شعبة (ت٥٠هـ)، والاستهانة به وبعداوته[٢]، وخرافة "البغل"[٣] الّذي يفتخر بخؤولته للفرس إذ يُسأل عن أبيه، وقد وظّفها ابن العبّاس (ت ٦٨هـ) في الردّ على ابن الزّبير (ت ٧٣هـ)[٤] ـ وسيوظّفها

---

(١) انظر: الثّعالبي، التّمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو، ص٣٧٦.

(٢) انظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة، ج٢، ص٣٠.

(٣) انظر: الثّعالبي، التّمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو، ص٣٤٢.

(٤) انظر: الشّريف الرّضي، نهج البلاغة، معه شرح عزّ الدّين أبي حامد عبد الحميد، المجلّد الرّابع، ص٤٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مطلع العقد الثّاني من القرن الخامس الهجريّ أبو العلاء المعـرّي (ت ٤٤٩هـ) في رواية "الصّاهل والشّاحج" فيما يجريهِ من حوار بين الفرس والبغـل[١] ـ وقـد سبق ذكرهما.

ومن الأمثلة على هذا النّوع أيضاً، خرافة "الثّعلب والأفعى"، الّـتي رواهـا لنا ابن أبي عون (ت٣٢٢هـ) في كتابه "الأجوبة المسكتة"[٢]، وابن هندو (ت ٤٢٠هـ) في كتابه "الكلم الرّوحانية في الحكم اليونانيّة"[٣] ونسباها إلى اليونـان، وهـي إحـدى حكم أحيقار[٤]، ويبدو أنّها انتقلت إلى اليونان مع حكم أخر من حكمـه. تقـول هـذه الخرافة: «كانت أفعى نائمة فوق حزمة شوك، فحملها السّـيل والأفعـى عليـها. فنظـر إليها ثعلبٌ فقال: هذه السّفينة لا يصلح أن يكونَ لها إلاّ مثل هذا الملاّح»[٥].

ومن هذه الخرافات أيضاً، خرافة "الجـدي والذّئـب"، وفيـها يشـتم الجـدي الواقف على سطح ذئباً مارّاً، فما يكون مـن هـذا الأخـير إلاّ أنْ يـردَّ عليـه قـائلاً: لست أنتَ الّذي يشتمني، ولكِنْ يشتمني المكان الّذي أنت فيه!![٦].

---

(١) انظر: أبو العلاء المعرّي، رسالة الصّاهل والشّاحج، تحقيق وتقديـم د. عائشـة عبـد الرّحمـن، ص٩٦-١١٥.

(٢) انظر: ابن أبي عون، الأجوبة المسكتة، دراسة وتحقيق د. ميّ أحمد يوسف، ص١٢٥.

(٣) انظر: ابن هندو، الكلم الرّوحانيّة في الحكم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مصطفـى القبّـاني الدّمشقي، ص١٣٢.

(٤) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٧٥.

(٥) ابن هندو، الكلم الرّوحانيّة في الحكم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مصطفى القبّـاني الدّمشـقي، ص١٣٢. وانظر: ابن أبي عون، الأجوبة المسكتة، دراسة وتحقيـق د. ميّ أحمد يوسف، ص١٢٥.

(٦) انظر: ابن هندو، الكلم الرّوحانيّة في الحكم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مصطفـى القبّـاني الدّمشقـي، ص١٣١-١٣٢؛ أبو سعد الآبـي، نثـر الدّرّ، تحقيـق منير محمّد المدنـي، مراجعـة د. حسين نصّار، ج٧، ص٢٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الخرافات الموجزة السّاخرة، خرافة "الحمامة والسّنّور" وهي خرافة قديمة مستمدّة من حكمة أحيقار[١]، وقد رواها لنا الثّعالبي في "التّمثيل والمحاضرة" قائلاً: «مرضت الحمامة فعادها السّنّور. فقال: كيف أنتِ؟ قالت: بخيرٍ، ما عوفيتُ منك! »[٢].

ومن الأمثلة على هذه الخرافات أيضاً، خرافة "الكلب والغزال"، فبينا كان الكلب يركض خلف الغزال، التفت إليه الأخير فقال: إنّك لا تلحقني. ولمّا تساءل الكلبُ عن سبب ذلك، ردّ الغزال قائلاً: لأنّني أعدو لنفسي، وأنت تعدو لصاحبك![٣].

وهناك نماذج أخرى لهذه الخرافات السّاخرة الموجزة[٤]، لا متّسع لذكرها هنا.

ومن الخرافات النّثريّة الموروثة الأُخرى، خرافات قصيرة تؤدّي فيها الحيوانات دوراً مميّزاً في مجال النّقد السّياسيّ والاجتماعيّ والتّربويّ، وفي إيصال الدّروس الخُلقيّة والتّربويّة والتّعليميّة، ولا يخلو كثير من هذه الخرافات من روح ساخرة وتهكّم لاذع.

---

(١) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٧٥.

(٢) الثّعالبي، التّمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو، ص٣٧٢.

(٣) انظر: أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقه والتّعليق عليه د. إبراهيم الكيلاني، المجلّد الثّاني، ص٣٥٥؛ ابن أبي عون، الأجوبة المسكتة، دراسة وتحقيق د. ميّ أحمد يوسف، ص١٢٥؛ أبو سعد الآبي، نثر الدّرّ، تحقيق منير محمّد المدني، مراجعة د. حسين نصّار، ج٧، ص٢٧٧.

(٤) انظر: ابن أبي عون، الأجوبة المسكتة، دراسة وتحقيق د. ميّ أحمد يوسف، ص١٢٥؛ ابن هندو، الكلم الرّوحانيّة في الحكم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مصطفى القبّاني الدّمشقي، ص١٣١-١٣٢؛ أبو سعد الآبي، نثر الدّرّ، تحقيق منير محمّد المدني، مراجعة د. حسين نصّار، ج٧، ص٢٧٥-٢٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة عليها، خرافة "الكُرْكيّ والثّعلب"، وهي خرافة تقترب في مضمونها من خرافة "الحمامة والسّنّور"[١]؛ فأفضل مكافأة أو خدمة يقدّمها لنا الأشرار هي أن يكفّوا أذاهم عنّا. تقول هذه الخرافة: «ابتلع ثعلبٌ عظماً فبقي في حلقه، فطلب من يعالجه ويخرجه، فجاء إلى كُرْكيّ فجعل له أجراً على أن يخرج العظم من حلقه، فأدخل [الكركيّ] رأسه في فم الثّعلب، وأخرج العظم بمنقاره، ثمّ قال للثّعلب: هاتِ الأجرة. فقال له الثّعلب: أنت أدخلتَ رأسك في فمي، وأخرجته صحيحاً، لا ترضى حتّى تطلب أجراً زيادة؟!»[٢].

ومن الأمثلة على هذه الخرافات كذلك، خرافة "الأسد والثّعلب والذّئب" وتقول: «صحب ذئبٌ وثعلبٌ أسداً، فاصطادوا عيراً وظبياً وأرنباً، فقال الأسد للذّئب: اقسم هذا بيننا. فقال: العيرُ لك، والظّبيُ لي، والأرنبُ للثّعلب. فغضب الأسدُ، وأخذ الذّئب حتّى قطع رأسه. وقال للثّعلب: اقسمه أنت. فقال: العير لغدائك، والظّبي لعشائك، والأرنب تتفكّه به في الليل. فقال: من علّمك هذهِ القسمةَ العادلة؟ قال: رأسُ الذّئب الّذي بين يديك»[٣].

ويقترب مضمون هذه الخرافة من مضمون أخرى، تؤدّيها الشُّخوص الحيوانيّة ذاتها، ويكاد يؤول الذّئب فيها إلى المصير نفسه، لولا تمكّنه من الإفلات، وذلك لعدم تعقّله في اختيار كلامه في حضرة الأسد (الملك). تقول هذه الخرافة:

---

(١) انظر: الثّعالبي، التّمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو، ص٣٧٢.

(٢) أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقه والتّعليق عليه د. إبراهيم الكيلاني، المجلّد الثّاني، ص٧٠٥. وانظر: ابن هندو، الكلم الرّوحانيّة في الحكم اليونانيّة، صحّحه والتزم طبعه مصطفى القبّاني الدّمشقي، ص١٣١.

(٣) أبو سعد الآبي، نثر الدّرّ، تحقيق منير محمّد المدني، مراجعة د. حسين نصّار، ج٧، ص٢٧٥. وانظر: إيسوب، خرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج٢، ص١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«اشتكى الأسد علّةً شديدةً فعاده جميع السِّباع إلاّ الثّعلب، فدخل عليه الذّئب فقال: أصلح الله الملك، إنّ السِّباع كُلَّها قد زارتك وعادتك ما خلا الثّعلب، فإنّه مستخفّ بك. وبلغ ذلك الثّعلب فاغتمّ به. فلمّا جاءه قال له الأسد: ما لي لم أرك يا أبا الحصين؟ فقال: أصلح اللهُ الأمير، بلغني وجعك، فلم أزل أطوف في البلدان، أطلبُ دواءً لك حتّى وجدته. فقال له: أيّ شيءٍ هو؟ قال: مرارة الذّئب. قال الأسد: وكيف لي بذلك؟ قال: أرسلني السّاعة إلى الذّئب حتّى يجيء، فإذا حضر فَشُدّ عليه، واقتله، وخذ مرارته وكُلْها. فأرسل إليه والثّعلب عنده، فأتى الذّئب، فوثب الأسد عليه، وكان ضعيفاً من وجعه، فلم يتمكّن منه وسلخ جلد استه، وأفلت الذّئب، وخرج الثّعلب يصيح به: يا صاحب [السّروال] الأحمر، إذا جلست عند الملوك فاعقل كيف تتكلّم، فعلم الذّئب أنّ الثّعلب قد دلّ عليه»[1].

وإذا كانت الخرافتان السّابقتان تتّفقان على أهميّة التّعقّل قبل التّكلّم، وتصرّان على وجوب ذلك في حضرة الملوك، أو ذوي البطش والسّلطة؛ فإنّهما تحذّران من خطر صحبة السّلطان، وهذهِ الغايات تتّفق وبعض غايات خرافات "كليلة ودمنة".

ومن الخرافات النّثريّة القصيرة، الخرافة الّتي يوردها الماوردي (ت٤٥٠هـ) في كتابه "أدب الدّنيا والدّين"، وهي ممّا روي من حكايات سليمان عليه السّلام مع الحيوان، ولها غايةٌ نقديّة تأديبيّة واضحة، تقتضي عدم التّورُّط في قولٍ أو عهد، ليس لصاحبه القدرة على تنفيذه أو الوفاء به.

---

(١) أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقه والتّعليق عليه د. إبراهيم الكيلاني، المجلّد الثّاني، ص٧٢٧، والأصل: السّراويل الأحمر. وانظر: إيسوب، خرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، ج٢، ص١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقول هذه الخرافة: «إنّ سليمان بن داود ـ عليهما السّلام ـ مَرَّ بعصفور يدور حول عصفورة، فقال لأصحابه: هل تدرون ما يقول لها؟ قالوا: لا يا نبيَّ الله. قال: إنّه يخطبها لنفسه، ويقول لها: زوِّجيني نفسك، أسكنك أيّ غرف دمشقَ شئتِ. وقال سليمان: كذب العصفورُ، فإنّ غرف دمشق مبنيّة بالصّخور، لا يقدر أن يسكنها هناك، ولكن كلّ خاطب كاذب»[١].

ولهذه الخرافة صورة أخرى نجدها في المصادر اللاحقة، كتلك الّتي نجدها في كتاب "الكشكول"[٢] لبهاء الدّين العاملي (ت ١٠٣١هـ).

ومن الخرافات النّثريّة القصيرة، خرافة "العصفورة والفخّ"، وهي خرافة قريبة من خرافة "الشّيخ والعصافير"، الّتي رواها لنا الجاحظ في حيوانه[٣] في القرن السّابق.

فكلتا الخرافتين تعبّر عن حقيقة خادعة تتوارى في مظهر نسكي[٤]. يقول صاحب "العقد الفريد" (ت ٣٢٨هـ): قال يحيى بن عبد العزيز[٥]: «حدّثني نعيم عن إسماعيل عن رجل من ولد أبي بكر الصّديق رضوان الله عليه، عَن وهب ابن منبّه قال: نصب رجلٌ من بني إسرائيل فخّاً، فجاءت عصفورة فنزلت عليه فقالت: ما لي أراك منحنياً؟

---

(١) الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، حقّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه محمّد فتحي أبو بكر، ص٣٤٠.

(٢) انظر: بهاء الدّين العاملي، الكشكول، ضبطه وصحّحه محمّد عبد الكريم النّمري، ج١، ص١٥٢-١٥٣.

(٣) انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، ج٥، ص٢٣٨- ٢٣٩.

(٤) انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٩.

(٥) انظر: ابن عبد ربّه، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد التّرحيني، ج٣، ص٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: لكثرة صلاتي انحنيت.

قالت: فما لي أراك بادية عظامك؟

قال: لكثرة صيامي بدت عظامي.

قالت: فما لي أرى هذا الصّوف عليك؟

قال: لزهادتي في الدّنيا لبست الصّوف.

قالت: فما هذه العصا عندك؟

قال: أتوكّأُ عليها وأقضي بها حوائجي.

قالت: فما هذه الحبّة في يدك؟

قال: قربانٌ إنْ مرّ بي مسكين ناولته إيّاه.

قالت: فإنّي مسكينة!

قال: فخذيها.

فدنت، فقبضت على الحبّة، فإذا الفخّ في عنقها، فجعلت تقول: قَعِي قَعِي. تفسيرهُ: لا غرّني ناسكٌ مراءٍ بعدك أبداً»[١].

وقد ردّ عبد المجيد عابدين هذه الخرافة إلى أصل إسرائيليّ[٢]، والحقيقة أنّها واحدة من الخرافات المستمدّة من حكم أحيقار[٣]، وتدلّ رواية وهب بن منبّه (ت١١٤هـ) لها «على دور المثقّفين بالثّقافة اليهوديّة أو المسيحيّة، في إشاعة

---

(١) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد التّرحيني، ج٣، ص٧-٨.

(٢) انظر: عبد المجيد عابدين، الأمثال في النّثر العربيّ القديم، ص٨٢-٨٣.

(٣) انظر: داود سلّوم، دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ص١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا اللون من الخرافات قبل الإسلام وبعده في البيئة العربيّة والإسلاميّة»[١].
ويمكن للقارىء أن يقف على صور أخرى لهذه الخرافة في مصادر القرون اللاحقة؛ ككتاب "الأذكياء"[٢] لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، و "شرح مقامات الحريري"[٣] للشّريشي (ت٦١٩هـ)، و "حياة الحيوان الكبرى"[٤] للدّميري (ت٨٠٨هـ).

ويمكن أنْ نقاربَ مضمون هذه الخرافة وأسلوبها الّذي يستفيد من القرآن الكريم لفظاً، بأخرى رواها لنا التّنوخي (ت٣٨٤هـ) في كتابه "الفرج بعد الشّدّة"[٥] بصورتين مختلفتين سنقف عليهما روايةً.

يقول التّنوخي «إنّه كان في بني إسرائيل رجلٌ في صحراء قريبة من جبل، يعبد الله عزّوجل فيها، إذ مثلت له حيّة وقالت: قد فجأني من يريد قتلي، فأجرني أجارك الله وأخبئني. قال: فرفع ذيله وقال: ادخلي. فتطوّقت على بطنه. وجاء رجل بسيف وقال: يا رجل، حيّة هربت منّي السّاعة، أردت قتلها، فهل رأيتها؟ فقال: ما أرى شيئاً. فانصرف الرّجل. فقال العابد لها: اخرجي فقد أمنتِ. قالت: بل أقتلك وأخرج. فقال لها الرّجل: ليس هذا جزائي منكِ. قالت: لا بدّ. قال: فأمهليني حتّى آتي سفح هذا الجبل فأصلّي ركعتين، وأدعو الله وأحفر لنفسي قبراً، فإذا نزلته فشأنك وما تريدين. قالت: افعل. وبقيت معلّقة بجسمه، فصلّى بسفح الجبل، ودعا الله،

---

(١) إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٨٩.
(٢) انظر: ابن الجوزي، الأذكياء، ص٢٤٢.
(٣) انظر: الشّريشي، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ج٤، ص٢٢.
(٤) انظر: الدّميري، حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص١١٨.
(٥) انظر: التّنوخي، الفرج بعد الشّدّة، وضع حواشيه خليل عمران منصور، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأوحى الله إليه أنّي قد رحمت ثقتك بي ودعاءك إيّاي، فاقبض على الحيّة فإنّها تموت في يدك ولا تضرّك. ففعل ذلك، فنجا، وعاد إلى موضعه وتشاغل بعبادته»[١].

ويذكر التّنوخي أنّ هذه الخرافة قد عرضت له على نحو آخر[٢]، «ذلك أنّ الرّجل خبّأ الحيّة في جوفه، فقالت له الحيّة: اختر منّي إحدى خصلتين: أن أنكثك نكثة فأقتلك، أو أكرث كبدك فتلقيها من أسفل قطعاً؟ قال: والله ما كافأتني. قالت: فلمَ تضعُ المعروف عند من لا يعرفه وقد عرفت عداوةً بيني وبين أبيك قديماً، وليس معي مالٌ فأعطيك، ولا دابّة فأحملك؟! فبهذا أكافئك. قال: فأمهليني حتّى آتي سفح الجبل، وأمهّد لنفسي قبراً. فبينما هو يمشي، إذا فتى حسن الوجه طيّب الرّائحة حسن الثّياب، فقال له: يا شيخ ما لي أراك مستسلماً للموت، آيساً من الحياة؟ قال: من عدوّ في جوفي يريد هلاكي. فاستخرج شيئاً من كمّه، فدفعه إليه وقال: كُلْه. فلمّا أكله وجد مغصاً شديداً، ثمّ ناوله أخرى فأكلها، فرمى الحيّة من أسفله قطعاً. فقال له: من أنت يرحمك الله؟ فما من أحد أعظم مِنّةً عليّ منك. قال: أنا المعروف الّذي صنعت، لأنّ أهل السّماء لمّا رأوا غدر الحيّة بك أضربوا، كلٌّ يسأل ربّه أن يغيثك. قال الله عزّوجل: يا معروف، أدرك عبدي فإيّاي أراد بما صنع»[٣].

---

(١) التّنوخي، الفرج بعد الشّدّة، وضع حواشيه خليل عمران منصور، ص٤٤.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الخرافات النّثريّة الموروثة، خرافات ثلاث تنسب إلى الهند، جاء بها إخوان الصّفاء تدعيماً لآرائهم السّياسيّة والفكريّة والتّربويّة، وذلك في الرّسالة السّابعة عشرة من الرّسائل الخاصّة بالجسمانيّات الطّبيعيّة[١].

وقد ربط إخوان الصّفاء هذه الخرافات بخيط واحد، فجاءت متّصلة في الرّواية، متداخلة فيما بينها، على نحو ما كان من أمر كثير من خرافات "كليلة ودمنة"[٢].

وإذ يقدّم إخوان الصّفاء للخرافة الأولى بحديث يكشف عن الغاية التّعليميّة الّتي يُفْترضُ بالمتلقّي (القارىء/ السّامع) أن يخرج بها بعد قراءة هذه الخرافة أو سماعها، فإنّهم ينتهون بعد سردها إلى الوقوف على معناها، داعين المتلقّي إلى التقاط إشاراتها، وتمثّل عبرتها تمثّلاً يجنّبُه تصرّفاً ما، استدعت هذه الخرافة ذكره، وأوجبت التّحذير منه، لئلا يحلّ به ما حلّ ببطل الحكاية القادمة أو بأبطالها.

وبذا فهم يهيّئونه لتلقّي الخرافة الثّانية، ومن ثمّ الثّالثة بالطّريقة نفسها. يقول إخوان الصّفاء بعد سرد الخرافة الأولى: «فتفكّر أيّها الأخ في هذا المثل، واعتبر به في أحوال الماضي، ولا تغفلْ هذه الإشارات، وإيّاك وإظهار المخالفة والعداوة، والدّخول فيما دخل فيه أهل الخلاف، فتهْلك بهلاكهم، ويصيبك ما أصاب العقعق حيث وافق الحمام في ذلك الوقت، ونحن نذكر ههنا ما جرى بينهما»[٣].

---

(١) انظر: إخوان الصّفاء وخلان الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٣، الرّسالة السّابعة عشرة من الجسمانيّات الطّبيعيّة في علل اختلاف اللغات ورسوم الخطوط والعبارات، ص١٣٥-١٣٨.

(٢) انظر: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، باب الأسد والثّور، ص٦٨-١١٣، وباب البوم والغربان، ص١٤٩-١٧٠.

(٣) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٣، ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهم بذلك يستغنون عن السّؤال المعتاد (كيف كان ذلك؟)، الّذي كان يوجّهه دبشليم لبيدبا في "كليلة ودِمنة"، متوقّعين تشكّلَ مِثْلهِ في نفسِ المتلقّي؛ وبذا تصبح الخرافةُ الواحدةُ وعبرتُها وما تستدعيه من أفكار ومواقفَ، سبباً ومدخلاً لسرد الأخرى.

الخرافة الأولى هي خرافة "الغربان والبزاة"، وقد أسقط فيها أصحابنا ما يعتمل في نفوسهم من سخط تجاه الخلفاء الّذين انتزعوا الخلافة من آل النّبيّ، مقدّمين بعد سردها تصوّرهم لما سيؤول إليه حال الأمّة في خلافة هؤلاء الخلفاء، من سوء منقلب وندم، وقت لا ينفع النّدم.

يقول إخوان الصّفاء: «ثمّ اعلم أنّ مثَل الأُمّة إذا تركَتْ وصيّة نبيّها، واختلفت من بعده، واعتمدت على رأيها، وأرادت أن تُملِّك عليها ملكاً، وتُنصِّب فيما بينها خليفةً بغير معرفة من الرّسول ولا وصيّةٍ منه ولا إرشادٍ، ورأت في اجتماعها منفعةً لها وصلاحاً لأمورها من غير نَصٍّ ولا إشارةٍ، فَمَثلُها كما يُذكر، مثلُ الغِربان والبُزاة فيما قيل في أمثال الهند: إنّ الغِربان كان عليهم ملك منهم، وكان بهم رحيماً وإليهم مُحسِناً، وإنّ ذلك الغراب مات، واختلفوا من جهة من يُملِّكونه عليهم من بعده، وتحاسدوا، وخافوا أن تقع بينهم العداوة، فقال بعضهم لبعض: تعالوا حتّى نجتهد في الرّأي، ونجمع العلماء وأهلَ الفضل فينا، ونعقد مجلساً للمشاورة فيمن يَصلُح لهذا الأمر، وفيمن ينبغي أن يكون ملكاً علينا.

فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا: لا نرضى بأحد من أهل المَلك الّذي كان فينا، مخافة أن يعتقد ويظُنّ أنّ المُلكَ إنّما ناله وارثاً من أبيه وأقاربه، فيسومنا سوء العذاب، وإذ كنّا نحن نتولّى إقامة من نُقيمه، كنّا نحن أصحابَ المِنّة عليه والإحسان إليه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال أحدهم: وإذا كان الأمر على هذا، فعليكم بأهل الورَع والدِّين، فإنّ صاحب الورع والدِّين لا يكاد يهجُم على الأُمور الدُّنيويّة ولا يرغب في الدّنيا.

فقالوا له: كيف لنا بذلك؟

فقال لهم: طوفوا واطلبوا مَن هذه صفتُه، فإنّكم إن تظفَروا به قدِّموه.

وكان بالقرب منهم باز قد كبرَ وخَرف وضعُفَت قوّته على الصّيد، وأنحل جسمُه، وتناثر ريشه من قلّة المعيشة وتَعذُّر القُوت، فبلغه خبر الغِربان وما أجمعوا عليه، فبرز من وَكرِه إلى حيث مَمرُّهم عليه، وأقبل يُكثِر التّهليلَ والتّسبيح، ويُظهر التّخضُّعَ والتَّورُّع، فأقبلت الطّير تطير على رأسه، فلا يُولَع بها ولا يمشي إليها. فلمّا رأته الغِربان على تلك الحال، ظنّوا أنّه يفعل ذلك صلاحاً وديانة، فاجتمع بعضُهم إلى بعض، وقالوا: ما نرى في جماعة الطّيور مثل هذا البازي، وما هو عليه من الدّيانة والزُّهد، فهلمُّوا بنا نُوَلِّه علينا.

فأتوا إليه وأخبروه بما عزموا عليه، فانقبض من ذلك، وأراهم من نفسه الزَّهادة فيما عزموا عليه، فلم يزالوا به حتّى قبل منهم، فصار خليفة فيهم وملكاً عليهم. فقال في نفسه: كنتم تحذرون من البلاء وما أراه إلاّ وقد وقع بكم.

فلمّا تمكّن منهم وقوي عليهم بما كانوا يأتونه من الرّزق، ويجعلون له من الأُجرة على ذلك، وقوي جسمه ونبتَ ريشه، وعادت إليه صحّته، أقبلَ يُخرج كلَّ يوم علّةً من الغِربان، فيُخرُج عيونها، ويأكل أدمغتها، ويطرح ما سوى ذلك من أجسادها. فأقام فيهم مدّة، فلمّا دنت وفاته اعتمد على بعض أبناء جنسه فملّكه عليهم، فكانَ أشدَّ منه وأعظم بليّة وأكبر رزيّة. فقالت الغِربان بعضُها لبعض: بئسَ ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صنعنا بأنفسنا، وقد أخطأنا. فندموا من حيثُ لم تنفعهم النَّدامة، وكان ذلك سبب الخُلْف والمنازعة»[١].

ومِنْ مبدأ "التّقية" الّذي اتّخذه الإخوان حيال غاياتهم السّياسيّة وآرائهم الفكريّة والفلسفيّة، ينطلق هؤلاء بعد دعوة المتلقّي إلى تمثّل عبرة الخرافة السّابقة، والتقاط إشاراتها، إلى تحذيره من إظهار المخالفة والعداوة، والدّخول فيما دخل فيه أهل الخلاف؛ لئلا يحلَّ به ما حلَّ بالعقعق إذ رافق الحمام[٢].

«فتفكّر أيّها الأخ في هذا المثل، واعتبر به في أحوال من مضى، ولا تغفلْ هذه الإشارات، وإيّاك وإظهار المُخالفة والعداوة، والدُّخول فيما دخل فيه أهل الخلاف، فَتهلك بهلاكهم، ويُصيبك ما أصاب العَقعقَ حيث وافق الحمامَ في ذلك الوقت، ونحن نذكر ههنا ما جرى بينهما.

يقالُ إنّ جماعة من الحمام البرّيّ كانت تطير في الهواء لطلب الرّعي، فرآها عَقعقٌ وقال في نفسه: ما لي لا أكون معها؛ فلعلّها تمضي إلى موضع يكون به مَعاشٌ؟

فصار في جملتها، وانتهوا إلى موضع أفْيَح مراحٍ من الأرض، وكان سبق إليه صيّادٌ فنصب شِباكه، ودفن فِخاخَه، وطرح فيها حبوباً كثيرة، وكمن في موضع لا يُرى. فقال الحمام بعضُه لبعض: نمضي إلى مكانٍ. وقال بعضُها: بل نَنزِل في هذا الموضع. واختلفت وتنازعت فيما بينها حتّى تضاربت وتحاربت، ولم تزل كذلك حتّى تقطّعت إلى تلك الأرض، ورأت تلك الحبوب، فأقبلت الجماعة على

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٣، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ج٣، ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقاطها، فأطبق الصّيّادُ عليها شِباكه، فهبطن فيها جميعاً، فأخذها الصّيّـاد وأهلكـها عن آخرها، وهلَك العقعق مع الحمامات جميعاً»[١].

وينتهي إخوان الصّفاء بعد سرد هذه الخرافة إلى مخاطبة المتلقّي بقولهم:

«وإيّاك والمكانَ الّذي تكون فيه المنازَعـةُ والخـلافُ، وإن جـرى وأنـتَ فيـه، فاخرُج وابعد عنه... وإيّاك والظُّلم والتّعدّي على من هو دونك، فإنّك إنْ فعلـتَ ذلك أصابك ما أصابَ الذّئب، الّذي جارَ على الثّعالب وغصَبها وأرادَ قتلها وقَطْعَ أرزاقها.

وقد قيل في أمثال الهند: إنّ ثعالب خرجت في طلب مـا تـأكل، فـرأت جمـلاً ميتاً، ففرحت به، وقلن: قد وجدنا ما نعيش به دهـراً، ولكنّـا نتخـوّف أن يضـرِب بعضُنا بعضاً؛ ولا ندع قويّنا يغلب ضعيفنا، ويجب أن نؤمّـر علينـا في قسـمة هـذا الرّزق من هو أقوى منّا؛ ليعطيَ كلّ واحد منّا حقّه، ويأخذ لنفسـه قِسـمةً كـالواحد منّا، فرضوا بذلك. فبينما هم كذلك إذ مرَّ بالثّعالب ذئـب، فقلـن: هـذا ذئـب قـد جاءنا، وهو قويٌّ أمين، وكان أبوه ملِكاً في بعض الأزمـان، وكـان محسـناً إلينـا، وقـد عوّلنا في ذلك عليه، وهو لنا رضىً. فخـاطبوه في ذلـك وعرضـوا عليـه مـا أرادوه، فأجابهم إليه بعد مُراوداتٍ كثيرة، وقال لهـم: ستجدون كما تحبّون. وتولّى أمرهـم، وقسَم في ذلك اليوم بعض ذلك بينهـم بالعـدل. فلمّا كان الليل تفكّر الذّئب في نفسه، فقال: إنّ في قسمة هذا الجمل على هذه الثّعـالـب عجزاً وسخافة رأي، ومـا ينبغي لي أن أفعل ذلك؛ لأنّي ذو قوّة وليس لهـم قـدرة، وهـذا رزقٌ سـاقه اللّـه إليّ وخصّني به دونهم، فما الّذي يدعوني إلى إطعامها إياه، واللّه يَقسِم لـها غـيره وأنـا أدَّخِرهُ لنفسي؟!

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٣، ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمّا كان من الغد أصاب الجوعُ جماعةَ الثّعالب، فاجتمعت عليه، فدفع إليها نصف الجمل فقسمه بينها كما فعل بالأمس وقال: لا تَعدْنَ إليَّ بعد يومكنَّ هذا، فلا رزق لكنَّ عندي، وإن عاودتنَّ جرى عليكنّ منّي مكروه. فعند ذلك علمت الثّعالب أنّها وقعت في بليَّة، فقال بعضُها لبعض: إنّ صاحبنا هذا خبيثٌ فاجر، ونراهُ يريد ظُلمنا والتّعدّي علينا؛ لأنّه ذو قوّة، وقد علِمَ أنّه ليس فينا من يقوى عليه، وقد طمع في الفوز بأرزاقنا. وقال بعضهم: لعلّه إنّما حمله على ذلك ما كان فيه من الضُّرّ، ولعلّه إذا شبع منه قسم الباقي علينا، وفي هذا اليوم يشبع فإنّ جثّة الجمل عظيمة، وتلك السّاعة يَرجِع إلى خُلُق الكِرام، فقد قيلَ في المثل: "لا مروءة لضعيف، ولا ضيافة عند الجائع"، ولا بدّ لنا من مُعاوَدته ومخاطبته.

فلمّا كان من الغداة أتاه جماعة الثّعالب، وقلن: يا أبا جعْدة، إنّا جعلناك أميراً علينا ووليّاً حتّى لا يَظلِمَ بعضُنا بعضاً، ورجونا في فعلنا ذلك عدلَك، وفي أوّل يوم عدلتَ بيننا في أوّل ولايتك، وأطمعتنا في مُروءتك، ثمّ أتيناك أمس فدفعت إلينا النّصف ممّا دفعت في اليوم الأوّل، وأتبعته باليأس ممّا لنا عندك دفعةً واحدةً، وأغلظتَ القول علينا، فانصرفنا عنك وقد ظننّا بك خيراً، فكن عند ظنّنا بك، ولا تَقصِدْ ظُلمنا ونحن ضعاف، وقد أصابنا الجوع الشّديد، وقد رزقنا الله تعالى هذا الرّزق، فكُلْ منه ما يكفيك وأطعِمنا منه وتصدَّقْ علينا، إنّ اللّه يجزي المتصدّقين ولا يُضيع أجر المحسنين. فأبى عليها وردّها وزاد في الغلظ لها، وأيأسَها من كلّ خيرٍ لها عنده.

فلمّا لم تجد حيلةً اجتمعن وقلن: كيف نعمل في أمْرِ هذا الغادر الجائع؟ فاجتمعت آراؤهنَّ على أن يرفعن أمرهنّ إلى الأسد؛ إذ هو أقوى منه، وهو ملك السِّباع كلِّها، وأن يَقصُصن عليه قِصّتهنّ من أوّلها إلى آخرها، ويجعلن له الجمل جُعلاً على إهلاكه، ثمّ يذهب كلّ واحد من هذه الثّعالب بعد ذلك في طلب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مصادر عربيّة لاحقة؛ ككتاب "جمع الجواهر في الملح والنّوادر"[١] للحصري (ت٤٥٣هـ)، وكتاب "محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء"[٢] للرّاغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ).

ولعلَّ هذا ما جعلني أعرض عن تصنيفها ضمن الخرافات النَّثريّة الموروثة، ولكنّني في الوقت نفسه لا أستطيع أن أجزم أنّ هذه الخرافات النَّثريّة، هي خرافات موضوعة في هذا القرن؛ لاشتراك أكثر من مصدر من مصادره برواية عدد منها من غير نسبة، ومن غير إشارة إلى زمنها، وعدم فصلها في الرّواية عن الخرافات الموروثة كما هو الحال في كتاب "نثر الدّرّ"[٣] لأبي سعد الآبي.

وبناءً على ما سبق فإنّني أرى في هذه الخرافات احتمالين:

١ – أنْ تكون من الخرافات العربيّة القديمة المتداولة شفهيّاً، والّتي لم تشملها بالرّواية المصادر العربيّة السّابقة الّتي وقعت بين أيدينا.

٢ – أن تكون من الخرافات الموضوعة في ذلك القرن، وقد شاعت بين النّاس، فتناولها بعض الكتّاب بالرّواية والذّكر.

ومن المعلوم أنّ كون هذه الخرافات مجهولة المؤلّف، «يعني قيمة مضافة إلى مساحة الحرّيّة المتاحة خلف [أقنعتها] الحيوانيّة في مجال النّقد السّياسيّ

---

(١) انظر: الحصري، جمع الجواهر في الملح والنّوادر، حقّقه وضبطه وفصل أبوابه ووضع فهارسه علي محمّد البجاوي، ص٣٦٧.

(٢) انظر: الرّاغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء، حقّقه وضبط نصوصه وعلّق حواشيه د. عمر الطّبّاع، ج٢، ص٧٥٠-٧٥٣.

(٣) انظر: أبو سعد الآبي، نثر الدّرّ، تحقيق منير محمّد المدني، مراجعة د. حسين نصّار، ج٧، ص٢٧٥-٢٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاجتماعيّ والأخلاقيّ»[١] والفكريّ. والاعتقاد برجحان كفّة الاحتمال الثّاني ينبغي أنْ يقترن بدلائلَ واضحةٍ كافية، كخصوصيّة هذا القرن وظروفه فيما تطرحه هذه الخرافات من مضامين وما تعالجه من قضايا، وهذا الدّليل قد ننجح في الإمساك به في بعض هذه الخرافات، ونخفق في كثير منها.

ويمكن القول: إنّ أغلب هذه الخرافات هي خرافاتٌ ساخرة موجزة، لها روح الخرافات الموروثة الّتي انتخبتها مصادر هذا القرن روايةً.

ومن هذه الخرافات، خرافات قريبة من روح هذا القرن؛ كخرافة "الكلب والرّغيف"، الّتي تنجح في تقديم الجوع والحرمان في قالب فكاهيّ ساخر على لسان الحيوان. تقول: «رأى كلب رغيفاً يتدحرج فتبعه، فقال له: إلى أين؟ قال: إلى النّهروان، قال الكلب: قل إلى عُمان إنْ تركتك!»[٢].

ومن الخرافات القريبة من روح هذا القرن أيضاً، خرافة "جور السّلطان" وهي خرافة تسعى إلى «فضح منطق القوّة، وكشف أساليب الأقوياء، وتعرية فلسفتهم في العدل»[٣]. تقول هذه الخرافة: «نظر ثعلبٌ إلى جمل يعدو. فقال: ما وراءك؟ قال: جعلتُ فداك، سُخِّرت الحميرُ والبغال. فقال: وما أنت والحمير والبغال؟ قال: أخاف جورَ السّلطان»[٤].

---

(١) محمّد رجب النّجّار، الحكاية والقناع في التّراث العربيّ، مجلّة العربيّ، العددان ٢٥/ ٢٦، الكويت، ٢٠٠٠م، ص١٩٢.

(٢) أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقه والتّعليق عليه د. إبراهيم الكيلاني، المجلّد الثّاني، ص٧١٩.

(٣) محمّد رجب النّجّار، الحكاية والقناع في التّراث العربيّ، ص١٩٢.

(٤) أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقه والتّعليق عليه د. إبراهيم الكيلاني، المجلّد الثّاني، ص٧١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذه الخرافات كذلك، خرافة تنطوي على تعليق فكريّ حـادّ، يتعـرّض بشيء من الإساءة للدّين الإسلاميّ. تقول هذه الخرافة: «دخل كلب مسجداً خرابـاً فبال على المحراب، وفي المسجد قردٌ نائم. فقـال للكلـب: أمـا تسـتحي أن تبـول في المحراب؟ فقال الكلب: ما أحسن ما صوّرك حتّى تتعصّب له!»[١].

ومن الخرافات الموجزة السّاخرة الأخرى خرافة "الخنفساء" وتقول: «قـالت الخنفساء لأمّها: ما أمرّ بأحد إلا بزق علـيّ. قـالت: يـا بنيّـة لحسـنك تعوّذيـن!»[٢]، وخرافة "العقرب" وتقول: «قيل للعقرب لِمَ لا تتشمّسين في الشّتاء؟ قـالت: مـن حسن أثري عندهم في الصّيف أبرز إليهم في الشّـتاء!»[٣]، والخرافـة الّـتي تقـول: «قيل للكلب: لماذا عندما ترى السّبعَ تنبح؟ قال: أفزعه. قيل: ولم تضـرطُ؟ قال: من فزعه!»[٤]. وغيرها[٥].

---

(١) أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقـه والتّعليـق عليـه د. إبراهيـم الكيلانـي، المجلّد الثّاني، ص٧١٩. وانظر: أبو سعد الآبي، نثر الدّرّ، تحقيـق منـير محمّد المدني، مراجعـة د. حسين نصّار، ج٧، ص٢٧٦.

(٢) الثّعالبي، التّمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو، ص٣٧٩. وانظر: أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عنـي بتحقيقـه والتّعليـق عليـه د. إبراهيـم الكيلانـي، المجلّـد الثّـاني، ص٤٦٤.

(٣) الثّعالبي، التّمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو، ص٣٧٩.

(٤) أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقـه والتّعليـق عليـه د. إبراهيـم الكيلانـي، المجلّد الثّاني، ص٧٢٠.

(٥) انظر: أبو حيّان التّوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صحّحه وضبطه وشرح غريبه أحمـد أمـين وأحمـد الزّيـن، ج٣، ص٧٣. ومثـالب الوزيريـن، عـني بتصحيحـه د. إبراهيـم الكيلانـي، ص١٨٩. والبصائر والذّخائر، عني بتحقيقه والتّعليق عليه د. إبراهيم الكيلاني، المجلّـد الثّـاني، ص٧٠٥، ٧٣٩؛ أبو سعد الآبي، نثر الـدّرّ، تحقيـق منـير محمّد المدني، ومراجعـة د. حسـين نصّـار، ج٧، ص٢٧٥-٢٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ أغلب خرافات الحيوان هنا خرافات ساخرة موجزة، ولكنّ هذا لم يمنع من وجود خرافات أطول حجماً من الخرافات السّابقة، ومن الأمثلة عليها ثلاث خرافات يرويها لنا أبو حيّان التّوحيدي في "البصائر والذّخائر"[١].

الخرافة الأولى: خرافة "الفأرة والجرذ"[٢]، الّتي يبدو أنّها قد وضعت للدّعابة والفكاهة والتّسلية.

والثّانية: خرافة "وليمة الطّيور"، وهي خرافة تنادي بإعمال العقل في الخطوب والنّائبات؛ التماساً للنّجاة، بأسلوب جذّاب طريف. تقول: «أولم طائر فأرسل رُسلَه يدعو إخوانه، فغلط بعض الرّسل وجاء إلى الثّعلب، فقال: أخوك يقرأ عليك السّلام، ويسألك أن تتجشّم العناءَ له يوم كذا وتجعل غداك عنده. فقال الثّعلب: قل له السّمع والطّاعة. فلمّا رجع وأخبر الطّائر بغلطه، اضطربت لذلك الطّيور، وقالوا له: يا مشوم، أهلكتنا وعرّضتنا للحتف، ونغّصت علينا أمرنا. فقالت القبّرة: إن أنا صرفتُ الثّعلب بحيلة لطيفة ما لي عندكم؟ قالوا: تكونين سيّدتنا، عن رأيك نصدر، وإلى أمرك نصير. فقالت: مكانكم. ومشت إلى الثّعلب، فقالت له: أخوك يقرأ عليك السّلام، ويقول: تحضر غداً يوم الاثنين، وقد قرُب الأنس بحضورك، فأين تحبُّ أن يكون مجلسك، مع الكلاب السّلوقيّة أو الكلاب الكرديّة؟

فتجرّعها الثّعلبُ، ثمّ قال: أبلغي أخي السّلام، وقولي له: أنا مسرور بقربك، شاكر على ما منحتني من مكانك، ولكن قد تقدّم لي نذر منذ دهر بصوم الاثنين والخميس، فلا تنتظروني»[٣].

---

(١) انظر: أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقه والتّعليق عليه د. إبراهيم الكيلاني، المجلّد الثّاني، ص٧٢٧-٧٢٩، والمجلّد الرّابع، ص٤١-٤٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه، المجلّد الرّابع، ص٤١-٤٢.

(٣) أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، حقّقه وعلّق عليه أحمد أمين والسّيّد أحمد الصّقر، ص٢٤٤-٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا الخرافة الثّالثة، فخرافة "الثّعلب الشّاميّ والثّعلب العراقيّ"، وهي خرافة قريبة من روح القرن الرّابع الهجريّ، الّذي شهد انقسام الدّولة الإسلاميّة إلى دويلات وإمارات متنافسة فيما بينها، تقول هذه الخرافة:

«لقي ثعلب عراقيّ ثعلباً شاميّاً، فقال: عرّفني ما عندك من حيل ثعالب الشّام. فقال: عندي مائة حيلة... فقال العراقيُّ: والله لأصحبنّه حتّى أستفيد منه، فلزمه، فبينما هما كذلك وقد اصطحبا في سفر، حتّى قال له العراقيّ: يا أخي إنْ لقينا الأسد كيف الحيلةُ في التّخلُّص منه؟ قال: لا يهمّك أمره فإنّ عندي حيلاً. فما انقضى كلامه حتّى طلع الأسدُ. فقال العراقيّ للشّاميّ: خذ في الحيلة. قال: والله ما عندي حيلة في هذا الوقت. قال: إنّا لله، ولم أخطرت نفسك وغرّرت أخاك؟! الآن لا تنطق بحرفٍ. فلمّا دنا الأسد قال لهما: من أين أقبلتما؟ قال العراقيّ: إيّاك أردنا، وإليك قصدنا. قال: فبماذا؟ قال: إنّ أخي هذا يكون بالشّام وأنا بالعراق، وإنّ أبانا مات وورثنا شويهات، فجاء أخي هذا يريد أنْ يذهب بها، فقلت له: هلمّ إلى سيّد السّباع ليحكم بيننا، فمهما قال التزمناه. وكان الأسد جائعاً، فقال في نفسه: لا أعجل في أكل هذين، لكن أصبرُ عليهما ساعةً حتّى أقف على أمر الغنم وهما في قبضتي. قال: أين الشّاء؟ قالا: في هذا البستان، وأشارا إلى بستان حصين له مجرى ماء ضيّق. وقال أحدهما: أنا أرسل أخي حتّى يخرج الغنم فيقسمها الملك، قال: نعم. فقال للشّاميّ: ادخل وأخْرج الغنم وعجّل. فدخل الشّاميّ وأقبل يأكل من الثّمار. فلمّا أبطأ قال العراقيّ: قد قلت للملك إنّه ظالم، فأذن لي حتّى أدخل خلفه، وأخرجه إليك مع الشّاء قميئاً ذليلاً. قال: ادخل وعجّل. فدخل الثّعلب البستان، وأقبل يأكل من الثّمار حتّى شبع، ثمّ أشرف من الحائط على الأسد. فقال له: يا أبا الحارث، اعلم أنّا قد اصطلحنا، فامضِ في دعةِ الله. فجعل الأسد يضرب بذنبه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض ويستشيط. فقال له الثّعلب: إنّما أنتَ قاضٍ، وما رأيت قاضياً يغضب من الصّلح غيرك!»[١].

ويبدو أنّ المنافسة بين الأقاليم والمراكز والإمارات قد غَذّت نشوء مثل هـذه الخرافات، الّتي غدت مادةً لتصوير جوانب من العصبيّة كالمفاضلة بين البلدان، كما يظهر في هذه الخرافة الّتي تقابل بين ادّعاء الثّعلب الشّاميّ القـدرة علـى التمـاس الحيلة، وقدرة الثّعلب العراقيّ الفعليّة على ذلك[٢].

د) رواية الحيوان

رواية الحيوان شكلٌ آخر من أشكال احتفاء أبناء هذا القرن بحكاية الحيـوان استلهاماً وتوظيفاً وإبداعاً، ويمدّنا هذا القرن برواية رفيعـة المسـتوى مـن روايـات الحيوان.

هـذه الرّوايـة هـي رسـالة إخـوان الصّفـاء في كيفيّـة تكويـن الحيوانـات وأصنافها[٣]، أو ما يعرف بـ "تداعي الحيوانات علـى الإنسـان"[٤]، وهـي نمـوذج

---

(١) أبو حيّان التّوحيدي، البصائر والذّخائر، عني بتحقيقـه والتّعليـق عليـه د. إبراهيـم الكيلانـي، المجلّد الثّاني، ص٧٢٧ ـ ٧٢٩.

(٢) انظر: إحسان عبّاس، ملامح يونانيّة في الأدب العربيّ، ص٩٤.

(٣) انظر: إخـوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عـارف تـامر، ج٢، ص١٦١ ـ ٢٨٩.

(٤) طبعت هذه الرّسالة بعنـوان "تداعـي الحيوانـات علـى الإنسـان" بإشـراف المستشـرق الألمـانيّ فريدرخ دتريصي عام ١٨٧٩م. انظر: ليلى سعد الدّين، كليلة ودمنة في الأدب العربـيّ، ص٣١٦. وقد طبعت أيضاً بهذا العنوان بتحقيق د. فاروق سعد، آذار ١٩٧٧م، وسـنعتمد هـذا الاسـم في دراستنا عنواناً لهذه الرّواية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بديع للتّناسق والانسجام في التّأليف الجماعيّ، عزّ نظيره في آداب العالم وفلسفاته[١].

وهذه الرّسالة ـ الرّواية ـ واحدة من اثنتين وخمسين رسالة لجماعة إخوان الصّفاء، وبعبارة أكثر دقّة: هي الرّسالة الثّامنة من الجزء الثّاني الخاصّ بالرّسائل الجسمانيّة الطّبيعيّة. وهي لا تنسب إلى واحدٍ بعينه من هذه الجماعة، ولكنّها تنسب إلى الجماعة كلّها الّتي ظهرت في البصرة في القرن الرّابع الهجريّ[٢].

وجماعة إخوان الصّفاء ـ كما تصف نفسها ـ عصابةٌ تألّفت بالعشرة، واجتمعت على القدس والطّهارة والنّصيحة، وتصافت بالصّداقة، ووضعت بينها مذهباً، زعمت أنّه يقرّب الطّريق إلى الفوز برضوان الله، هذا المذهب هو مزج الفلسفة بالدّين، فالشّريعة ـ كما ترى هذه الجماعة ـ تدنّست بالجهالات، واختلطت بالضّلالات، ولا يكون غسلها، ولا يتأتّى تطهيرها إلاّ بالفلسفة؛ فهي وعاء الحكم الاعتقاديّة والمصلحة الاجتهاديّة، وإنّه متى انتظمت الفلسفة اليونانيّة والشّريعة العربيّة فقد حصل الكمال[٣].

وجدير بالذّكر أنّ هذه الجماعة كانت تأخذ بمبدأ "التّقية"؛ لرفضها وثورتها على النّظام السّياسيّ القائم آنذاك[٤].

---

(١) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص١٠٩.

(٢) انظر: عمر الدّسوقي، إخوان الصّفاء، ص٦٦، ٧٢-٧٣.

(٣) انظر: القفطي، تأريخ الحكماء، ص٨٣-٨٤.

(٤) انظر: عمر الدّسوقي، إخوان الصّفاء، ص١١٩-١٢١؛ د. محمّد فريد حجاب، الفلسفة السّياسيّة عند إخوان الصّفاء، ص١٠٤-١١٤؛ محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعدّ رواية "تداعي الحيوانات على الإنسان" تطوّراً خطيراً للفنّ الحكائيّ على لسان الحيوان، فقد انتقلت بحكاية الحيوان من المغزى القريب المتناول السّهل المأخذ، إلى المغزى الفلسفيّ بعيد الفكرة[١].

أبطال هذه الرّواية من البشر والحيوان والجنّ، وإن كان العنصر الحيواني يغلب عليها عدداً وأنواعاً.

تقول هذه الرّواية: إنّه كان جرّاءَ هبوب عاصفة بحريّة عاتية أن استوطنت مجموعة من البشر جزيرة صاغون، تلك الجزيرة الّتي اتّخذتها طائفةٌ مسلمةٌ من الجِنّ مقرّاً لها بقيادة حاكم عادل منها يقال له الحكيم بيراست.

أمّا تلك الجزيرة، فتغفو وسط البحر الأخضر فيما يلي خطّ الاستواء، طيّبة التُّربة والهواء، فوّارة العيون عذبة الأنهار والأرجاء، جمعت من ضروب الثّمار، وطيّب الزّروع والحبوب والأزهار، ما تشتهيه النُّفوس وترتضيه القلوب، وفيها من أصناف الحيوانات، من البهائم والسّباع والطّير والأنعام، ما لا يخطر على بال، تحيا معاً في ائتلاف، وتسكن إلى بعضها بعضاً في انسجام.

ثمّ إنَّ هؤلاء الأفراد، تجّاراً وصنّاعاً وعلماء وأغنياء، لـمّا قذفتهم العاصفة هناك، أعني على ضفّة تلك الجزيرة، جالوا في أرجائها، واستقرَّ بهم الرّأي على البقاء والمقام، فشيّدوا البنيان، واستعانوا على حياتهم وقضاء حوائجهم بالبهائم والأنعام، وغالوا في ذلك حتّى نفرت منهم وهربت، فشمّروا في طلبها بأصناف الحيل، وحجّتهم في ذلك أنّها عبيدٌ لهم وهم لها أرباب، فخلعت طاعتهم وعصت. وما كان منها إلاّ أنْ سارت إلى ملك الجزيرة، تشكو إليه أمرها جرّاءَ إيذاء بني البشر

---

(١) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفع، ص٣٦٠؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها، فاستدعى الملك بني الإنسان، فوافاه منهم سبعون رجلاً من أقطار شتّى، وهم إذ صاروا إليه، ألقوا بين يديه تظلُّمهم بسبب خروج عبيدهم الحيوانات على طاعتهم. وبذا بدأت أولى المناظرات بين الفريقين، واتّخذ ملك الجان موضعه منها منظّماً للسّرد والحوار، فأخذ يسائلُ كلَّ فريق، ويستمع إليه بأناةٍ وصبر، حتّى يقضيَ في نهاية الأمر. هذا وقد انتخب كلّ فريق من ينوب عنه بالإفصاح والكلام، فدارت بين الطّرفين مناظرات مثيرة استمرَّت أربعة أيّام، ترافعا فيها وتبادلا الحجج والاتّهام، والمسألة واحدة: أيكون للإنسان الحقّ في استعباد الحيوان؟ وقد بدت حجج الإنسان مقنعةً بما يكفي لجعله سيّداً على الحيوان، ولكنّ الحيوان استطاع أن يفنّد جُلَّ هذه الحجج، ويردّ عليها بأخرى مقنعة، وأحياناً أكثر إقناعاً، مستعرضاً ما يلقاه على يدي الإنسان من ألوان الذّلّ والهوان، مبيّناً ـ إلى ذلك ـ جرائم الإنسان وشروره.

إلى أن ألقى الإنسان بحجّة قويّة احتفظ بها حتّى اللحظات الأخيرة من هذه المحاكمة؛ فقد خصَّه الله بالخلود، وهنا أجمع حكماء الجان وزعماء الحيوان على تفوّق الإنسان، فقام عند ذلك ممثّل الإنسان، الخبير الفاضل، الذّكيّ المستبصر، الفارسيّ النّسبة، العربيّ الدّين، الحنفيّ المذهب، العراقيّ الآداب، العبرانيّ المخبر، المسيحيّ النّهج، الشّاميّ النّسك، اليونانيّ العلوم، الهنديّ البصيرة، الصّوفيّ السّيرة، المكيّ الأخلاق، الرّبّانيُّ الرّأي، الإلهيّ المعارف، الصّمدانيّ، قام فطلبَ النّطقَ بالحكم.

فقضت المحكمة أن تكون الحيوانات منقادةً للإنسان، مؤتمرةً بأوامره ونواهيه، فقبلت الحيوانات بهذا الحكم، وانصرفت آمنةً راضيةً.

وقد أصدر ملك الجان هذا الحكم بناءً على تفوّق بني الإنسان على غيرهم من المخلوقات، ذلك بأنَّ منهم قوماً هم أولياء الله وصفوته من خلقه وخيرته من بريّته، وأنّ لهم أوصافاً حميدة، وأعمالاً زكيّة، وعلوماً متفنّنة، ومعارف ربّانيّة، وأخلاقاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملكيّة، وسيراً عادلةً قدسيّة، وأحوالاً عجيبة، كلّت الألسنةُ عن ذكرِها، وقَصَّرت أوصاف الوصّافين عن كنه صفاتها...[١].

رواية تداعي الحيوانات على الإنسان هي رواية تداعي الإنسان على نفسه، وثورته على ذاته؛ فقد جرّد إخوان الصّفاء الحيوان من أسلحته، وأعاروه بدلاً منها فكر الإنسان ولغته ليقف من الإنسان موقف النّدّ، أو بشكل أكثر دقّة ليقف الإنسان من نفسه هذه الوقفة؛ لعلّه يتطهّر من ذنوبه وأخطائه بحقّ نفسه وبحقّ غيره[٢].

لقد مُنِح الحيوان حقّ الاتّهام في هذه المحاكمة؛ لما يقع عليه من ظلم حقيقيّ على يدي الإنسان، بينما كان الحُكْمُ والفصل من نصيب الجان، ربما لأنّ الفصل والعدل يجمعهما التّجريد والخفاء، وأمام التُّهم الّتي كالها الحيوان للإنسان مُنِح الإنسان فرصةَ الدِّفاع عن نفسه[٣]، لكنّه دافع عنها كسيِّد، بغضِّ النَّظر عمّا يقترفه بحقِّ البشريّة من جرائم وشرور[٤].

لقد ترك إخوان الصّفاء هذه العناصر تتبارى وتتحاور؛ لتجلو حقيقة الإنسان وصدق أمره، بغير مواربة أو مجاملة؛ فهو الحيوان الّذي يفتك بأبناء جنسه، ويأكل بشراهة تزيد على حاجته، ويمارس الجنس لغير التّناسل، ويقتل غيره باسم الدّين، بدل أن يبذل نفسه في سبيل الدّين، وهو إن فخر بأنّ الله خصّه بإرسال الأنبياء والرُّسل، فما كان ذلك إلاّ لردّه عن الشّرّ، والأخذ بيدِ نحو الخير

---

(١) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص١٧٩-٢٨٩.

(٢) انظر: يوسف الشّاروني، مع التّراث، ص٧١.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص٧٢.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والهداية، وإن كان من حقّه أنْ يفخرَ بأنّ له أعياداً وأفراحاً؛ فإنّ لـه مقابلـها أحزانـاً وأتراحاً، وإذا كـان يزهـو بأنّه وُعِد بالجنّة والثّواب، فقد وُعِد بالنّار والعقـاب... ولكنّه ما قسا على نفسه إلاّ لينتصر لها في النّهاية؛ فـهو سـيّد المخلوقـات، ووعيـه بذلك أحد الوسائل إلى تحقيق هذه السّيادة[١].

لقد أراد إخوان الصّفاء أنْ يقولوا: «إنّ الإنسانَ وُجِد ليعمل على إنماء بذرة الخير، وإنّ الطّاقات المتاحة والقدرات الممنوحة يجب أنْ تُستغلّ للخير وبنـاء الحيـاة الطيّبة، ليكون الإنسان إنساناً، أو بعبارة أخرى وليّاً من أولياء الله، أو بعبـارة ثالثـة عبداً صالحاً»[٢].

ولقد صرّح إخـوان الصّفـاء بذلـك في مقدّمـة رسـالتهم حـين قـالوا: «إنّ الإنسان إذا كان فاضلاً خبيراً فهو مَلكٌ كريـم خـير البريّـة، وإنْ كـان شـريراً فـهو شيطان رجيم شرّ البريّة»[٣].

وكأنّنا بإخـوان الصّفـاء يقولـون أيضـاً: إنّ خلود الإنسان الّـذي افتَخـرَ به، وانتصرَ بواسطته في النّهاية، لا يبرّىء ساحته مـن التُّهم والجرائم الّتي ارتكبـها بحقّ أخيه الإنسان، وبحقّ غـيره من الحيوان، بل ولـن يمحـو مـا علـق بنفوسنـا مـن أثرها[٤]؛ لذا فإنّنا نحـسّ عقب قراءتنا لهذه الرّوايـة بـأنّ فرديّتنـا قـد ذابـت، لتغدو جزءاً من إنسانيّة تتلمّس مكانـها في الوجـود ومكانتـها فيـه، ونشـعر أنّنـا أصبحنا أكثر تواضعاً بسبب ما وُجّـه إلينا من نقـدٍ نستحقه، وأكـثر اعـتزازاً في

---

(١) انظر: يوسف الشّاروني، مع التّراث، ص٧٢-٧٣.

(٢) محمود عبد الرّحيم صالح، فنون النّثر في الأدب العباسيّ، ص١٥٦.

(٣) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٣٦٢.

(٤) انظر: يوسف الشّاروني، مع التّراث، ص٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوقت نفسه بما صدر من حكمٍ تأييداً لسيادتنا، بما نملكه من طبيعةٍ خصبةٍ مُحيّرة[١].

لقد نجحت رواية إخوان الصّفاء في نقد الفكر العربيّ السّائد آنذاك، سياسيّاً واجتماعيّاً ودينيّاً وعقليّاً، بأسلوب رمزيّ على لسان الحيوان؛ كي يأمن أصحابها «بطش السّلطة الحاكمة السّياسيّة والعسكريّة والدّينيّة، فضلاً عن بطش أصحاب العقائد والمذاهب المتطرّفة»[٢].

فقد عرضت هذه الرّواية آراء أصحابها في حكّام بني الإنس ورؤسائهم، من حيث أنّ أكثرهم لا ينظرون في أمور رعيّتهم وجنودهم وأعوانِهم[٣]، وأنّهم «يسمّون باسم الخلافة، ويسيرون بسيرة الجبابرة، وينهون عن منكرات الأمور، ويرتكبون منها كلّ ما هو محظور... ويشربون الخمر، ويبادرون إلى الفجور»[٤]، ولقد باع هؤلاء الدّين بالدّنيا، والآخرة بالأولى، وربّما قتلوا أهلهم وأقاربهم في سبيل الحصول على السّلطة أو الحفاظ عليها[٥].

ثمّ إنّ لجماعات الحيوان رؤساء وملوكاً أحسن سياسةً لرعيّتها، وأشدّ رعاية بها، وأكثر تحنّناً عليها من ملوك بني الإنسان[٦].

---

(١) انظر: يوسف الشّاروني، مع التّراث، ص٧٣.

(٢) محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧.

(٣) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٨.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٨.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعرَّضت هذه الرّواية إلى ما آلَ إليه هذا القرن مِنْ فساد الأحوال، وتردّي أخلاق الحكماء والفقهاء والوزراء، وفساد القضاة والعدول والعلماء والقرّاء والعبّاد، وسوء حال التّجّار والدهاقين والكتّاب وأصحاب الدّواوين، وتفشّي الرَّشوة، وانتشار الخصال السيِّئة بين البشر كالخداع والمكر والنّفاق والغرور والغشّ والخيانة[1]. يقول إخوان الصّفاء على لسان زعيم الجوارح (الببَّغاء): «وأمَّا تجّاركم ورؤساؤكم ودهاقينكم الّذين ذكرتم وافتخرتم بهم، فلا فخر لكم ولا لهم، إذ كانوا هم أسوأ حالاً من العبيد الأشقياء والفقراء الضّعفاء، وذلك أنّك تراهم طول نهارهم مشغولي القلب، متعبي الأبدان، مغمومي النّفوس، معذّبي الأرواح فيما يبنون ولا يسكنون، ويغرسون ما لا يجنون، ويجمعون ما لا يأكلون، ويعمرون الدّور، ويخربون القبور، أكياس في أمور الدّنيا، بلهٌ في أمور الآخرة، يجمع أحدهم الدّنيا والمتاع، ويبخل أن ينفق على نفسه، ويتركه لزوج امرأته، أو لزوج ابنته، أو لزوجة ابنه، ولوارثه، كادُّون لغيرهم، مصلِحون أمور سواهم، لا راحة لهم إلى الممات. وأمَّا تجّاركم فيجمعون من حرام وحلال، ويبنون الدّكاكين والخانات ويملأونها من الأمتعة، ويحتكرونها، ويضنّون بها على أنفسهم وجيرانهم وأحبابهم، ويمنعون الفقراء والمساكين حقوقهم، ولا ينفقون حتّى تذهب جملة واحدة، إمَّا في حرق، أو غرق، أو سرقة، أو مصادرة سلطان جائر، أو قطع طريق، وما شاكل ذلك، ويبقى هو بحزنه ومصيبته معاقباً بما كسبت يداه، فلا زكاة أخرج، ولا صدقة أعطى، ولا يتيماً برّ، ولا معروفاً لضعيف أسدى، ولا صلة لذي رحم، ولا إحساناً إلى صديق، ولا تزوَّدَ للمعاد، ولا قدَّم للآخرة. والّذين ذكرتهم من أرباب النّعم وأهل المروءات، فلو كانت لهم مروءة كما ذكرت لكان لا يهنيهم العيش إذا

---

(١) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د عارف تامر، ج٢، ص١٩٩-٢٠٠، ٢٠٥، ٢٧٢-٢٧٨؛ د محمّد فريد حجاب، الفلسفة السّياسيّة عند إخوان الصّفاء، ص١٠٦-١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأوا فقراءهم وجيرانهم واليتامى من أولاد إخوانهم والضّعاف من أبناء جنسهم، جياعاً عراةً مرضى زمنى مفاليج، مطروحين على الطّريق يطلبون منهم كسرة، ويسألونهم خرقة، وهم لا يلتفتون إليهم ولا يرحمونهم، ولا يفكّرون فيهم، فأيّ مروءة لهم؟ وأيّ فتوّةٍ فيهم؟ وكيف تهنيهم لذّاتهم؟ ألا إنّهم كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً. وأمّا الّذين ذكرتهم من الكتّاب والعمّال وأصحاب الدّواوين، وافتخرت بهم، فهكذا يليق بكم الافتخار بالأشرار الّذين يهتدون إلى أسباب الشّرور ما لا يهتدي غيرهم، ويصلون إلى ما لا يصل إليه سواهم، لدقّة أفهامهم، وجودة تمييزهم، ولطف مكايدهم، وطول ألسنتهم، ونفاذ خطابهم في كتبهم، يكتب أحدهم إلى أخيه وصديقه زُخرفاً من القول، غروراً بألفاظ مسجعة وكلام حلو وخطاب فصيح يغريه، وهو من ورائه في قطع دابره، والحيلة في إزالة نعمته، والوصول إلى أسباب نكايته، وتزوير الأعمال في مصادراته، وتأويلات الأخذ لماله. وأمّا قرّاؤكم وعبّادكم الّذين تظنّون أنّهم أخياركم، وترجون استجابة دعائهم وشفاعتهم لكم عند ربّهم، فهم الّذين غرّوكم بإظهارهم الورع والخشوع والتّقشّف والنّسك، من حذف الأسبلة وتقصير الأكمام وتشمير الإزار والسّراويل، ولبس الخشن من الصّوف والشّعر والمرقّعات، وطول الصّمت، وكثرة التّنسّك، وترك التّفقّه في الدّين، وتعلّم أحكام الشّرائع وسنن الدّين، وترك تهذيب النّفس وإصلاح الخلق، واشتغلوا بكثرة السّجود والرّكوع بلا علم، حتّى ظهر أثر السّجود على جباههم، والثّفنات على ركبهم، وتركوا الأكل والشّرب، حتّى جفّت أدمغتهم، ونحلت شفاههم، وانحلّت أبدانهم، وتغيّرت ألوانهم، وانحنت ظهورهم، وقلوبهم مملوءةٌ بغضاً وحقداً وجفاءً لمن ليس مثلهم، ونفوسهم مملوءة وساوس وخصومة مع ربّهم بضمائرهم، لم خلق إبليس والشّياطين والكفّار والفراعنة والفسّاق والفجّار والأشرار؟ ولِمَ ربّاهم ورزقهم ويمكّنهم ويمهلهم ولا يهلكهم؟ ولماذا فعل هذا؟ وما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شاكل هذه المحاولات والخرافات الّتي قلوبهم مملوءة منها ونفوسهم شاكّة متحيّرة، فهم عند اللّه أشرار وإن كانوا عندكم أخياراً، فهؤلاء وإن كانوا بالصّورة الظّاهرة إنساناً، ففي الصّورة المعنويّة ليسوا كذلك، فأيّ افتخار لكم بهم وإنّما هم عار لكم؟ وأمّا فقهاؤكم وعلماؤكم، فهم الّذين يتفقّهون في الدّين طلباً للدّنيا، وابتغاء للرّياسة والولاية والقضاء والفتاوى بآرائهم وقياساتهم، فيحلّلون تارةً، ويحرّمون تارةً بتأويلاتهم، ويتبعون ما تشابه، ويتركون حقيقة ما أنزل اللّه من الآيات المحكمات فنبذوه وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، ويتبعون ما تتلو الشّياطين على قلوبهم من الخيالات، كلّ هذا طلباً للدّنيا، وتكسّباً للرّياسة من غير ورع ولا تقوى من الله تعالى، فأولئك هم وقود النّار في الآخرة، أو يتوبون إلى اللّه ويستغفرونه، فأيّ فخر لكم؟ وأمّا قضاتكم وعدولكم والمزكّون لكم، فأدهى وأظلم وأبطر، وهم أشرّ سيرة من الفراعنة والجبابرة، وذلك أنّك تجد الواحد منهم قبل الولاية، قاعداً بالغدوات في مسجده، حافظاً لصلاته، مقبلاً على شأنه، يمشي بين جيرانه على الأرض هوناً، حتّى إذا ولي الحكم والقضاء، تراه راكباً بغلةً فارهة وحماراً مصريّاً بسرج ومركب، وغاشية يحملها السّودان، وخفاقين تنجرُّ في الأرض، قد ضمِن القضاء من السّلطان الجائر بشيء يؤدّيه إليه من أموال اليتامى ومال الوقوف، وصالح عدوّاً له بشيء من السّحت والبراطيل، فقبل منهم الرّشوة، ويُرَخّص لهم في الخيانات، وشهادات الزّور، وترك أداء الأمانات والودائع، فأولئك هم الّذين وبّخوا في التّوراة والإنجيل والفرقان، أباللّه تغترّون وعليه تجرؤون؟»[1].

وفي وصف طاعة البشر لرؤسائهم وملوكهم، يقول إخوان الصّفاء على لسان حكيم الجان: «فأمّا طباع الإنس وجبلتهم فبالضّدّ ممّا ذكرت، وذلك أنّ طاعتهم

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٧٦-٢٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لرؤسائهم وملوكهم أكثرها خداع ومكر ونفاق وغرور، وطلب للعوض والأرزاق والمكافآت والخِلع والمآرب والكرامات، فإن لم يروا ما يطلبون، أظهروا المعصية والخلاف، وخلعوا الطّاعة»[١].

وإذا كانت هذه الرّواية قد نجحت في تصوير البيئة وأمراضها في تلك الفترة؛ فإنّها ـ في مقابل ذلك ـ روّجت لأفكار أصحابها وفلسفتهم في إقامة مجتمع سويّ، ينهض على الشّورى، ويقوم على العدل والحكم السّليم القائم على انتخاب أفراد مؤهّلين لتحمّل المسؤوليّة[٢]. «أمّا الملك فيجب أن يكون رجلاً عاقلاً، أديباً، لبيباً، سخيّاً، شجاعاً، عادلاً، رحيماً، عالي الهمّة، كثير التّحنّن، شديد العزيمة، صارماً في الأمور، متأنّياً ذا رأي وبصيرة، ومع هذه الخصال ينبغي أن يكون مشفقاً على رعيّته، متحنّناً على جنوده وأعوانه، رحيماً بهم، كالأب المشفق على أولاده الصّغار، شديد العناية بصلاح أمورهم»[٣].

هذا وقد اختزلت هذه الرّواية كثيراً مِنْ علوم أصحابها وآرائهم وفلسفتهم؛ لذا فقد عدّها بعض الباحثين[٤] دائرة معارف موجزة؛ أطلقت آراء أصحابها في الإلهيات، إذ عرضت لآرائهم في الخلق والتّكوين[٥]، ومِنْ ذلك «أنّ كلّ

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٤٣.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٣-١٩٤، ٢٠٢-٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠٤.

(٤) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص٢٠؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقية، ص١٢٩، ١٣١.

(٥) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص٢٠؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقية، ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المخلوقات هي مصنوعات الباري الحكيم، خلقها بحكمته لعللٍ وأسباب وأغراضٍ؛ لجرِّ المنفعة إليها ودفع المضرّة عنها»[١]. فطول رقبة الجمل مناسبٌ «لطول قوائمه لينال الحشيش من الأرض، ويستعين به على النّهوض بحمله، وليبلغ مِشفره إلى سائر أطراف بدنه فيحكّها. وأمّا خرطوم الفيل فعوضٌ عن طول الرّقبة، وكبر أذنيه ليذبَّ البقّ والذّباب عن مآقي عينيه وفمه، إذا كان فمه مفتوحاً أبداً لا يمكنه ضمُّ شفتيه لخروج أنيابه منه، وأنيابه سلاحٌ له يمنع به السّبع عن نفسه. وأمّا كبر أذن الأرنب؛ فهو من أجل أن تكون دثاراً له ووطاءً وغطاءً في الشّتاء والصّيف، لأنّه رقيق الجلد ترف البدن، وعلى هذا القِياس نجد كلّ حيوان جَعل اللّه عزّوجلّ له من الأعضاء والمفاصِل والأدوات بحسب حاجته إليه؛ لجرّ المنفعة أو دفع المضرّة، وإلى هذا المعنى أشار موسى عليه السّلام بقوله: {ربُّنا الّذي أعطى كلّ شيءٍ خَلقَهُ ثمَّ هدى}»[٢].

وحاولت هذه الرّواية استعراض تاريخ العلاقة بين الإنسان والحيوان من جهة، وبينه وبين الجان مِنْ جهةٍ أخرى[٣]؛ ومِنْ ذلك ما جاء مِنْ أمر العداوة بين بني الجان وبني الإنسان حتّى مجيء الإسلام، ودخول طائفة من الجنّ فيه. يقول حكيم الجان مخاطباً ملك الجان بيراست: «فاعلم أنّ بني الجان كانت في قديم الأيّام والأزمان قبل آدم أبي البشر عليه السّلام، سكّان الأرض وقاطنيها، وكانوا قد أطبقوا الأرض برّاً وبحراً، سهلاً وجبلاً، فطالت أعمارُهم، وكثُرت النّعمة لديهم، وكان فيهم الملك والنّبوّة والدّين والشّريعة، فطغت وبغت وتركت وصيّة أنبيائها، وأكثرت في الأرض الفساد، فضجّت الأرض ومن عليها من جورهم، فلمّا انقضى

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٥. والآية (٥٠) من سورة طه.

(٣) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص٢٠؛ يوسف الشّاروني، مع التّراث، ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّور واستؤنف القرن، أرسل اللّه تعالى جنداً من الملائكة نزلت من السّماء، فسكنت الأرض وطردت بني الجان إلى أطراف الأرض منهزمةً، وأخذت سبياً كثيراً منها، وكان فيمن أُخذ أسيراً، عَزازيل إبليس اللعين فرعون آدم، وهو إذ ذاك صبيٌّ لم يدرك، فلمّا نشأ مع الملائكة تعلّم من علمها، وتشبّه بها في ظاهر الأمر، وأخذ من رسومه وجوهره غير رسومها وجوهرها، ولمّا طالت الأيّام صار رئيساً فيها آمراً ناهياً متبوعاً حيناً ودهراً من الزّمان والدّهر. فلمّا انقضى الدّور واستؤنف القرن أوحى اللّه إلى أولئك الملائكة الّذين كانوا في الأرض، فقال لهم: إنّي جاعل في الأرض خليفةً من غيركم وأرفعكم إلى السّماء، فكرهت الملائكة الّذين كانوا في الأرض مفارقة الوطن المألوف، وقالت في مراجعة الجواب: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء كما كانت بنو الجان، ونحن نسبّح بحمدك، ونقدّس لك؟ قال: إنّي أعلم ما لا تعلمون، لأنّي آليتُ على نفسي أن لا أترك على وجه الأرض أحداً من الملائكة، ولا من الإنس، ولا من سائر الحيوان، ولهذا اليمين سرٌّ قد بيّناه في موضعٍ آخر، فلمّا خلق اللّه تعالى آدم وسوّاه ونفخ فيه من روحه، وخلق زوجته حوّاء، أمر الملائكة الّذين كانوا في الأرض بالطّاعة، فانقادت لهما جميعاً ما عدا عزازيل، فإنّه أنِف وتكبّر، وأخذته الحميّةُ حميّةُ الجاهليّة والحسد لمّا رأى أن رياسته قد زالت، ويحتاج أن يكون تابعاً بعدما كان متبوعاً، ومرؤوساً بعدما كان رئيساً، فأمر أولئك الملائكة أن يصعدوا بآدم عليه السّلام، فأدخلوه الجنّة، وهي بستان من الشّرق على رأس جبل الياقوت الّذي لا يقدر أحد من البشر أن يصعد هنالك، وهي طيّبة التّربة، معتدلة الهواء شتاءً وصيفاً، ليلاً ونهاراً، كثيرة الأنهار مخضرّة الأشجار، مفنّنةُ الثّمار والفواكه والرّياض والرّياحين والأنهار والأزهار، كثيرة الحيوانات غير المؤذية، والطّيور الطّيّبة الأصوات، اللذيذة الألحان والنّغمات، وكان على رأس آدم وحوّاء شعر طويل مدلّى كأحسن ما يكون على الجواري الأبكار،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبلغ قدميهما ويستر عورتيهما، وكان دثاراً لهما وستراً وزينة وجمالاً، وكانا يمشيان على حافّات تلك الأنهار، ويشمّان من الرّياحين والأزهار، ويأكلان من ثمار تلك الأشجار، ويشربان من مياه تلك الأنهار، لا تعبَ من الأبدان، ولا عناءَ من النّفوس، ولا مشقّةَ من كدّ الحرث والنّسل والزّرع والسّقي والحصاد والدّراس والطّحن والخبز والغزل والنّسج والخياطة والغسل، وما اليوم أولادهما به مبتلون من شقاوة أسباب المعاش في هذه الدّنيا، وكان حكمهما في تلك الجنّة حكم الحيوانات الّتي هناك، مستودعين مستريحين متلذّذين... وكان اللّه ألهمَ آدم أسماء تلك الأشجار والثّمار والرّياحين، وأسماء تلك الحيوانات الّتي هناك، فلمّا نطق آدم سأل الملائكة عنها فلم يكن عندها جواب، فغدا عند ذلك آدم معلّماً يُعرّفها أسماءها ومنافعها ومضارّها، فانقادت الملائكة لأمره ونهيه لمّا تبيّن لها فضله عليها، ولمّا علم عزازيل ذلك ازداد بغضاً وحسداً، واحتال لهما بالمكر والخديعة والحيل والدّغل والغشّ، ثمّ أتاهما بصورة النّاصح، فقال لهما: لقد فضّلكما ربُّكما بما أنعم به عليكما من الفصاحة والبيان، ولو أكلتما من هذه الشّجرة لازددتما علماً ويقيناً، وبقيتما ههنا خالدين آمنَين لا تموتان، فاغترّا بقوله لمّا حلف لهما إنّي لكما من النّاصحين، وحملهما الحرص فتسابقا وتناولا ما كانا مَنْهِيين عنه. فلمّا أكلا منها، تناثر شعرهما، وانكشفت عورتهما، وبقيا عريانين، وأصابهما حرّ الشّمس فاسودّت أبدانهما وتغيّرت ألوان وجوههما، ورأت الحيوان حالهما فأنكرت ونفرت منهما، واستوحشت من سوء حالهما، وأمر اللّه تعالى الملائكة أن أخرجوهما من هناك، فرموهما إلى أسفل الجبل، فوقعا في بريّة قفراء لا نبت فيها ولا ثمر، وبقيا هناك زماناً طويلاً يبكيان وينوحان حزناً وأسفاً على ما فاتهما، نادمين على ما كان منهما، ثمّ إنّ رحمة اللّه تعالى تداركتهما فتاب اللّه تعالى عليهما، وأرسل ملكاً يعلّمهما الحرث والزّرع والدّراس والحصاد والطّحن والخَبز والغَزل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطّبخ والخياطة واتّخاذ اللباس، ثمّ لمّا توالدا وتناسلا وكثُرت ذريّتهما، خالطهم أولاد بني الجان وعلّموهم الصّنائع والحرث والغرس والبنيان والمنافع والمضارّ، وصادقوهم وتودّدوا إليهم، وعاشروهم مدّة من الزّمان بالحسنى، ولكن كلّما ذكر بنو آدم ما جرى على أبيهم من كيد عزازيل وعداوته لهم، امتلأت قلوب بني آدم غيظاً وحقداً على بني الجان، فازدادوا غيظاً وعداوة، وطلبوهم كلّ مطلب، واحتالوا عليهم بكلّ حيلة من العزائم والرُّقى والمنادل والدّخن، ودخان النّفط والكبريت، والحبس في القوارير والعذاب بألوان الدّخان والبخورات المؤذية لأولاد بني الجان، المنفّرة لهم، المشتّتة لأغراضهم، فكان ذلك دأبهم إلى أن بعث اللّه إدريس النّبيّ عليه السّلام، وهو هِرمِس بلغة الحكماء، فأصلح بين بني الجان وبين أولاد آدم عليه السّلام، بالدّين والشّريعة والإسلام والملّة، وتراجعت بنو الجان إلى ديار بني آدم، وخالطوهم وعاشوا فيها معهم بخير إلى أيّام الطّوفان، وبعد ذلك إلى أيّام إبراهيم عليه السّلام، فلمّا طرح في النّار اعتقد بنو آدم بأنّ تعليم المنجنيق كان من بني الجان لنمرود الجبّار، فلمّا طرح إخوةُ يوسف عليه السّلام أخاهم في الجُبّ، نسب ذلك إلى نزغات الشّيطان من أولاد الجِنّ، فلمّا بعث اللّه موسى عليه السّلام، أصلح بين بني الجان وبين بني إسرائيل بالدّين والشّريعة، ودخل كثير من الجِنّ في دين موسى عليه السّلام، فلمّا كان أيّام سليمان بن داود عليهما السّلام، وشيّد اللّه ملكه، وسخّر له الجِنّ والشّياطين، وغلب سليمانُ عليه السّلام على ملوك الأرض، افتخرت الجِنّ على الإنس بأنّ ذلك كان من معاونة الجِنّ لسليمان، وقالت: لولا معاونة الجِنّ لسليمان كان حكمه حكمَ أحد ملوك بني آدم، وكانت الجِنّ توهِم الإنس أنّها تعلم الغيب، فلمّا كان موت سليمان عليه السّلام والجِنّ في العذاب المُهين، لم تشعر بموته، فتبيّن أنّها لو كانت تعلم الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، وأيضاً لمّا جاء الهُدهُد بخبر بلقيس، وقال سليمان عليه السّلام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لِمَلأ من الجِنّ والإنس: أيّكم يأتيني بعرشها؟ افتخرت الجِنّ، قال عفريت من الجِنّ وهو اضطربن مايان من آل كيوان: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك؛ أي مجلس الحكمة. قال سليمان: أريد أسرعَ من هذا. قال الّذي عنده علمٌ من الكتاب: أنا آتيك به من قبل أن يرتدَّ إليك طرفُك، وهو آصَف بن برخيا، فلمّا رآه مستقرّاً عنده خرّ سليمان عليه السّلام ساجداً لله تعالى، وتبيّن فضل الإنس على الجِنّ، وانقضى المجلس، وانصرفت الجِنّ من المجلس خجلين، منكّسين رؤوسهم، وغوغاءُ الإنس يتغطغطون في أثرهم، ويستقفون أثرهم شامتين بهم. فلمّا جرى ما ذكرته هربت طائفة من الجِنّ من سليمان، وخرج عليه خارج منهم، فوجّه سليمان عليه السّلام في طلبهم من جنوده، وعلّمهم كيف يأخذونهم بالرُّقى والعزائم والكلمات والآيات المنزّلات، وكيف يحبسونهم بالمنادل، وعمل في ذلك كتاباً وجد في خزانته بعد موته، وشغل سليمان عليه السّلام طغاة الجِنّ بالأعمال الشّاقّة إلى أن مات، ثمّ لمّا بُعِثَ المسيح عليه السّلام، دعا الخلق من الجِنّ والإنس إلى اللّه تعالى عزّوجلّ، ورغّبهم في لقائه، وبيّن لهم طريق الهدى، وعلّمهم كيف الصّعود إلى ملكوت السّماوات، فدخلت في دينه طوائف من الجِنّ، وترهّبت وارتقت إلى هناك، واستمعت من الملأ الأعلى الأخبار، وألقت إلى الكَهَنة.

فلمّا بعث اللّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم، منعت من استراق السّمع، وقالت: لا ندري أشرٌّ أريدَ بمن في الأرض، أم أراد بهم ربّهم رشداً. ودخلت قبائل من الجِنّ في دينه وحسن إسلامها، وانصلح الأمر بين بني الجان وبين المسلمين من أولاد آدم عليه السّلام إلى يومنا هذا. ثمّ قال الحكيم: يا معشر الجِنّ، لا تتعرّضوا لهم، ولا تُفسدوا الحال بينكم وبينهم، ولا تحرّكوا الأحقاد السّاكنة، ولا تثيروا الأضغان الكامنة، والبغضاء، والعداوة القديمة المركوزة في الطّباع والجبلة، فإنّها كالنّار الكامنة في الأحجار، تظهر عند احتكاكها فتشتعل بالكباريت،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتحترق المنازل والأسواق، ونعوذ باللّه من ظفر الأشرار، ودولة الفجّار والعار والبوار»[١].

وقد جاءت هذه الرّواية بصفات بعض الحيوانات وأوصافها وخصالها المحمودة والمذمومة، فالأسد كما تقول الرّواية: «هو أكبرُ السِّباع جثّةً وأعظمُها خلقة، وأقواها وأشدّها قوّة وبطشاً، وأعظمها هيبةً وجلالاً، عريض الصّدر، دقيق الخصر، لطيف المؤخّر، كبير الرّأس، مدوَّر الوجه، وضّاح الجبين، واسع الشّدقين، منفرج المنخرين، متين الزّندين، حاد صلب الأنياب والمخالب، برّاق العينين، جهير الصّوت، شديد الزّئير، عبيل السّاقين، شجاع القلب، هائل المنظر، لا يهاب أحداً، ولا يرهب، لشدّة بطشه، الجواميس ولا الفيلة ولا التّماسيح، ولا الرّجال ذوي البأس الشّديد، ولا الفرسان ذوي السّلاح الشّاك المدرعة، وهو شديد العزيمة ... عفيف النّفس عن الأمور الدّنيّة، لا يتعرّض للنّساء ولا للصّبيان ولا للنّيام، كريم الطّبع، إذا رأى ضوءاً بعيداً ذهب نحوه في ظلم الليل، لا يفزع من شيء ولا يتأذّى إلاّ من النّمل الصّغير، فإنّها مسلّطة عليه وعلى أشباله، كما سُلّط البقّ على الفيَلة والجواميس، وتسلّط الذّباب على الملوك الجبابرة من بني آدم»[٢].

ومِنَ الأمور المثيرة الّتي نتوقّف عندها في هذه الرّواية، ما جاء من أوصاف العنقاء والتّنين[٣]؛ وهما حيوانان خرافيّان، فالعنقاء كما تقول الرّواية: «أكبر الطّير جثّةً، وأعظمها خلقةً، وأشدّها طيراناً، كبيرة الرّأس، عظيمةُ المنقار؛ كأنّه معول من الحديد، عظيمةُ الجناحين، إذا نشرتهما كأنّهما شراعان من أشرعة مراكب البحر،

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص١٩٥-١٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٣-٢٣٤.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٤-٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرّفت هذه الرّواية ببعض شعوب العالم ومذاهبه بشكل موجز، وفي الوقت الّذي قام فيه كلّ ممثّل من ممثّلي الإنسان (العراقيّ، فالهنديّ، فالعبرانيّ، فالسّريانيّ، فالقرشيّ، فاليونانيّ، فالخراسانيّ) باستعراض ميزاتهم وخصالهم الحميدة، قام صاحب العزيمة ـ واحد من كبار فلاسفة الجان ـ بكشف نقائص كلّ منهم وعيوبه[١].

وينبغي ألا يفوتنا هنا ما التقطته هذه الرّواية من أوصاف هذه الأمم، وطريقة لباسها، وما عرف من عاداتها وتصرّفاتها[٢] حتّى القرن الرّابع الهجريّ؛ فالعراقيّ رجلٌ «معتدل القامة، مستوي البُنية، حَسن الصّورة، مليح البزّة، لطيف الجملة، صافي البنية، حلو المنظر، خفيف الرّوح»[٣]، والهنديّ رجلٌ «أسمر، نحيف الجسم، طويل اللحية، موفور الشّعر، متوشّح بإزار أحمر على وسطه»[٤]، والعبرانيّ «طويل القامة مرتد أصفر، بيده مدرجة ينظر فيها ويزمزم، ويترجّح قدّاماً وخلفاً»[٥]، والسّريانيّ «رجل طويل القامة، عليه ثياب من الصّوف، وعلى وسطه منطقة من السُّيور، وبيده بيرم عود يطرحه ويبخّر فيه النّار، رافعاً صوته، ويقرأ كلماته ويلحنها»[٦]، والقرشيّ «أسمر شديد السّمرة، نحيف الجسم، عليه ثوبان، إزارٌ ورداءٌ، شبه المحرم راكعاً ساجداً، يتلو القرآن، ويناجي الرّحمن»[٧]، بينما يضع اليوناني على

---

(١) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٢٥-٢٣٣؛ زكي مبارك، النّثر الفنّيّ في القرن الرّابع، ج١، ص٣٣٧.

(٢) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٢٥-٢٣٣؛ زكي مبارك، النّثر الفنّيّ في القرن الرّابع، ج١، ص٣٣٧.

(٣) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأسه «مشدّة، وهو قائم في الملعب بين يديه آلات الرّصد»[١]، والخراسانيّ «رجلٌ عظيم الجثّة، قويّ البنية، حسن البزّة، ناظرٌ نحو السّماء، يدير بصره مع الشّمس كيف دارت»[٢].

بين "تداعي الحيوانات على الإنسان" و "كليلة ودمنة"

يقول إخوان الصّفاء في مقدّمة روايتهم:

«وجعلنا بيان ذلك على ألسنة الحيوانات؛ ليكون أبلغ في المواعظ، وأبين في الخطاب، وأعجب في الحكايات، وأظرف في المسامع، وأطرف في المنافع، وأغوص في الأفكار، وأحسن في الاعتبار»[٣]، ويقولون في نهاية هذه الرّواية: «ثمّ اعلم أيُّها الأخ، أنّا قد بيّنّا في هذه الرّسالة ما هو الغَرض المطلوب، فلا تظنّ بنا ظنّ السّوء، ولا تَعدَّ هذه الرّسالة من ملاعبة الصّبيان، ومخارقة الإخوان؛ إذ عادتنا جارية على أن نكسوَ الحقائقَ ألفاظاً وعِبارات وإشارات، كيلا يخرج بنا عمّا نحنُ فيه، وفّقكم الله لقراءتها واستماعها وفهم معانيها، وفتح قلوبكم وشرح صدوركم ونوّر بصائركم بمعرفة أسرارها، ويسّر لكم العمل بها، كما فعل بأوليائه وأصفيائه وأهل طاعته، إنّه على ما يشاءُ قدير»[٤].

٥٤٢٤٨٤

وهذان القولان يتّفقان وما ذهبَ إليه ابن المقفّع في باب عرضِه كتاب "كليلة ودمنة"، حيث قال: «وكذلك يجب على قارىء هذا الكتاب أن يديمَ النّظر

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٨٨-٢٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه من غير ضَجَر، ويلتمسَ جواهرَ معانيهِ، ولا يَظنّ أنّ نتيجتـه الإخبار عن حيلة بهيمتين، أو محاورة سبع لثور، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود»[١].

والحقيقة أنّ إخوان الصّفاء أفادوا من أسلوب ابن المقفّع في وضع مـا يريـدُ مِنْ جدّ في ثوب هـزل، كمـا أنّـهم تمثّلـوا حكايـات "كليلـة ودِمنـة" تمثّـلاً جيِّـداً، ويكشف عن ذلك قولهم «واعتبر بحديث الحمامة المطوّقة المذكورة في كليلة ودِمنـة، وكيف نجت من الشّبكة؛ لتعلم حقيقة ما قلنا»[٢].

وإذا كانت إشـارتهم هـذه تـأخذ بأيدينـا إلى بـاب الحمامـة المطوّقـة في الكتـاب المذكور[٣]، فإنّ ما جاء في هذا الباب يعيدنا مرّة أخـرى إلى الجماعة نفسـها، ليـس فقـط لأنّ هذا الباب يبحث في تعاون الخلاّن وتصافيهـم، وائتلافـهم في الصّحبـة ـ كحـال إخوان الصّفاء ـ بل ولأنّ هذا الباب أيضاً يأتي على ذكر اسم هذهِ الجماعة مرّتين[٤].

فقد «قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ مثَـل المتحـابّين كيـف قطع بينهما الكذوب، وإلى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلـك. فحدّثـني إن رأيـت عن إخوان الصّفاء، كيف يُبْتَدَأُ تواصلهم، ويستمتع بعضُهم ببعض؟»[٥].

وانتهى بيدبا بعد سرد حكاياته في هذا البـاب إلى القـول: «فالإنسـان الّـذي قـد أُعطي العقل والفَهْم، وأُلهِمَ الخـيرَ والشّرّ، ومُنِـحَ التّمييـزَ والمعرفـةَ، أولـى وأحـرى بـالتّواصُل والتّعـاضد. فهـذا مَثَـلُ إخـوان الصّفـاء وائتلافـهم في الصّحبة»[٦].

---

(١) ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، ص١٦.

(٢) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج١، ص١٢٤.

(٣) انظر: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، ص١٣٣-١٤٨.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص١٣٣، ١٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ص١٣٣.

(٦) المصدر نفسه، ص١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّ هذا ما دفع بعض الدّارسين إلى القول بأنّ إخوان الصّفاء استعاروا اسم جماعتهم ممّا جاء في باب الحمامة المطوّقة في "كليلة ودمنة"[١].

في حين ذهب فريقٌ آخر إلى القول بأنّ السّبب الحقيقيّ وراء اختيار الإخوان هذا الاسم؛ هو ما كان بينهم من اتّحاد وامتزاج واتّفاق في الغرض[٢].

ولندع ما كان مِنْ أمر اسم هذه الجماعة، وتباين الآراء حول سبب اختياره، إلى ما كنّا فيه مِنْ قبل، وهو أوجه الالتقاء بين صنيع هذهِ الجماعة في هذه الرّواية و "كليلة ودِمنة".

أدار إخوان الصّفاء روايتهم هذه في جوٍّ مقاربٍ لأجواء "كليلة ودِمنة"؛ فمثلما جلس بيدبا (الرّاوي/ المتحدّث) بين يديْ دبشليم (المتلقّي/ المستمِع)؛ وقفت أطراف هذه المحاكمة بين يدي رئيسها ملك الجان[٣]، ليدليَ كلٌّ بدلوه، ويلقيَ ما يراهُ مقنعاً مِنْ حجج، ويدافع عن نفسه وأبناءِ جنسهِ.

وفي بلاط دبشليم قصّ بيدبا حكاياته استجابةً لرغبةِ دبشليم في السّماع، وفي بلاط ملك الجان، قصّ كلّ فريقٍ حكاياته، وساق أدلّته وحججه استجابةً لرغبةٍ مماثلةٍ لدى ملك الجان في سَماع حجج كلّ فريقٍ ورؤيته وفلسفتهِ، بما يساعدُهُ على الفصلِ والحُكم في قضيّة النّزاع.

---

(١) انظر: محمّد رجب النّجّار، حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، ص٢٠٧.

(٢) انظر: عمر الدّسوقي، إخوان الصّفاء، ص٤٢؛ محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٦٦.

(٣) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٦٥؛ إخوان الصّفاء وخلّان الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص٢٥؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٥؛ ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص٣١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثلما شارك دبشليم بيدبا تأليف حكاياته؛ بتحديده الموضوع الّذي يـودّ أن تسير هذه الحكايات في اتّجاهه؛ شارك ملك الجان في تحديد موضوعات المحاورات بما يطرحه في كثير من الأحيان من أسئلة.

هذا وكما يحـــدث في "كليلـة ودِمنـة" مـن التّقديـم للحكايـة بالسّـؤال، وتداخل الحكايات؛ فـإنّ محاكمات هذه الرّواية كانت تبدأ هـي الأخـرى بالسّـؤال نحو: كيف كان ذلك؟ أو كيف ذلك؟ وتتداخل هذه المحاكمات ويتلو بعضُـها بعضـاً باستطراد وبلا انقطاع. ثمّ إنّ كثيراً من هذه المحاورات بسبب هذا الاستطراد كانت تمضي وتطـول دونمـا توقّـف أو انقطـاع، شـأنها في ذلـك شـأن حكايـات "كليلـة ودِمنة"[١].

ولِتَمثُّل ما يتقارب به هذان العملان في الخصائص الفنّيّة؛ نسوق هذا الجـزء من رواية "تداعي الحيوانات على الإنسان"، وقد سبقنا إلى التّمثّـل بـه عـددٌ مِـنَ الباحثين[٢].

«قال له زعيم الإنـس: أمّـا أنتـــم يـــا معشـر السّبـــاع، فسبيلكـــم أن تسكتوا وتستحوا ولا تتكلّموا.

قال له الأسد: ولِمَ ذلك؟

---

(١) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بـن المقفّـع، ص٣٦٣-٣٦٥؛ مجـدي محمّـد شمس الدّيـن إبراهيم، ص١٣٣-١٣٤؛ ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص٣١٩؛ إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالـة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق ســعد، مقدّمـة المحقّـق، ص٢٥.

(٢) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٦٤؛ مجدي محمّد شمس الدّيـــن إبراهيـم، كليلة ودِمنة بين الأصول والقديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٣-١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: لأنّه ليس من الطّوائف الحضور ههنا جنس أشرّ منكم معشر السِّباع، ولا أقسى قلوباً، ولا أقلّ نفعاً، ولا أكثر ضرراً، ولا أشدّ حرصاً على أكل الجيف وطلب المعاش.

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأنّكم تفترسون معشر السِّباع، هذه البهائم والأغنام بمخالب حداد، فتخرجون جلودها، وتكسرون عظامها، وتشربون دماءها، وتنهشون لحومها بلا رحمة عليها، ولا فكرة فيها، ولا رفق بها.

قال زعيم السِّباع: منكم تعلّمنا، وبكم اقتدينا فيما تعملون في هذه البهائم.

قال الإنسيّ: كيف كان ذلك؟»[١].

ويمكن القول: إنّ جلسات الحكمة تقابل أبواب "كليلة ودِمنة" الرّئيسة، بينما تقابل الفصول الّتي تتلو كلّ جلسة من جلساتها الحكايات الفرعيّة، الّتي تشتمل عليها الحكايات الرّئيسة أو الأبواب الرّئيسة في "كليلة ودِمنة"[٢].

أمّا من حيث المضمون، ففضلاً عمّا يأخذه العملان على عاتقهما مِنْ مسؤوليّة النّقدِ والتّربية والتّعليم والإصلاح والثّورة ضدّ النُّظم القائمة؛ فإنّ هذه

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٦٠.

(٢) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٦٥؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٥؛ إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرّواية تستعيرُ مِنْ "كليلة ودِمنة" بعض أسماء أبطالها وأدوارهم[١]، ففي حين تكتفي باستعارة اسم (دِمنة)[٢]، وتشير إلى أنّه أخو (كليلة)؛ فإنّها تستعير اسم (كليلة) ودوره معاً؛ لنجدَ فصلاً من فصولِ هذهِ المحاكمة بلسانه، فهو من وَقَعَ عليه الاختيار في هذه المحاكمة ليكون ممثّلاً للسِّباع؛ بما يتمتّع به مِنْ حكمة وخُلقٍ وحُسن رأيٍ وجواب[٣]، وهذه الصّفات قريبة مِنْ صفات كليلة في كتاب "كليلةَ ودِمنة"، فقد كان ناصحاً لأخيه دِمنة الّذي لم يستمع إليه، وكان حكيماً فاضلاً ذا خلق[٤].

كما أنّ أسد هذه الرّواية الّذي يقوم بدور ملكِ السِّباع، ويشاور من حوله من الوحوش في اختيار ممثّل ينوب عنهم بالكلام أمام ملك الجان[٥]، يؤدّي دوراً قريباً مِنْ دور أسد "كليلة ودِمنة" في باب الفحص عن أمر دِمنة[٦]؛ فهو يشاور مَنْ حوله من الوحوش في أمر دِمنة بعد أن تثبتَ إدانته[٧].

---

(١) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٦٥- ٣٦٦؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٥؛ يوسف الشّاروني، مع التّراث، ص٤٢.

(٢) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٠٥.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٨-٢٦٢.

(٤) انظر: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، باب الأسد والثّور، ص٦٨-١١٣.

(٥) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٥.

(٦) انظر: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، باب الفحص عن أمر دِمنة، ص١١٣-١٣٣.

(٧) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٦٦؛ إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص٢٦؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمّ إنّ النّمر صديق الأسد، الّذي يحتلّ الصّدارة بين أفراد حاشيته، وينهض بدور المخلص الأمين، ويأخذ الأسد برأيه ويطمئنّ إليه[١]، يلعب الدّور نفسه الّذي يقوم به النّمر في باب الفحص عن أمر دِمنة في كتاب "كليلة ودِمنة"[٢]؛ فهو الّذي كَشفَ جريمة دِمنة وأبلغ اللبؤة بها، وكان حريصاً على توفير الاطمئنان والهدوء للأسد، مهتمّاً بتجنيبه القلق والاضطراب[٣].

ومن مواطن تلاقي رواية "تداعي الحيوانات على الإنسان" و "كليلة ودِمنة"، ننتقل إلى مصادر رسائل إخوان الصّفاء، إذ يقول هؤلاء: «وقد ذكرنا في الرّسالة الثّانية أنّ علومنا مأخوذة من أربعة كتب: أحدها الكتب المصنّفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة، من الرّياضيّات والطّبيعيّات؛ والآخر الكتب المنزلة الّتي جاءت بها الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ مثل التّوراة والإنجيل والفرقان، وغيرها من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة، وما فيها مِن الأسرار الخفيّة. والثّالث الكتب الطّبيعيّة، وهي صور أشكال الموجودات، بما هي عليه الآن من تركيب الأفلاك، وأقسام البروج، وحركات الكواكب، ومقادير أجرامها، وتصاريف الزّمان، واستحالة الأركان، وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنّبات، وأصناف المصنوعات على أيدي البشر... والنّوع الرّابع الكتب الإلهيّة الّتي لا يمسّها إلاّ

---

(١) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٢٠٣-٢٠٥.

(٢) انظر: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، باب الفحص عن أمر دِمنة، ص١١٣-١٣٣.

(٣) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٦٦؛ إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص٢٦؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٥-١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطهّرون الملائكة، الّتي هي بأيدي سَفَرة، كرام بررة، وهي جواهر النّفوس وأجناسها وأنواعها وجزئيّاتها...»[١].

وقد ذهب محمّد غفراني الخراساني إلى القول بأن إخوان الصّفاء لم يشيروا إلى "كليلة ودِمنة" كمصدر لرسائلهم؛ لأنّهم لم يستمدّوا أفكارهم الفلسفيّة الّتي دعوا إليها من هذا الكتاب مباشرة، ولكنّ إفادتهم منه بدت في تأثّرهم ببعض آرائه الاجتماعيّة، وبالإطار الفنّيّ القصصيّ العامّ الّذي مكّنهم من بثّ أفكارهم وآرائِهم الفلسفيّة[٢].

ولم يبتعد مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم عن سابقه، حين عزا ذلك إلى إنّ إخوان الصّفاء لم يقتبسوا معظم أفكارهم من كتاب "كليلة ودِمنة"، بل وحتّى الأفكار الّتي اقتبسوها منه، عمّقوها وطوّروها بما يتواءم وأفكارهم الفلسفيّة الرّفيعة[٣]. هذا ويرى مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم أنّ تأثّرهم بهذا الكتاب بدا في الإطار الفنّيّ العامّ للحكاية، وفي شيء من المضمون والغايات[٤].

أمّا ليلى سعد الدّين فتقول: «في رأيي أنّ إخوان الصّفاء لم يذكروا كليلة ودِمنة من مصادرهم؛ لأنّ محتوى حكاياتهم يختلف أساساً عن محتوى كليلة ودِمنة، والأهداف الّتي استهدفوها غير أهداف ابن المقفّع، وإن كان الاعتماد على

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٢، ص٤١ ـ ٤٢.

(٢) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٦٢- ٣٦٣.

(٣) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٣.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص١٣٢-١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفابـولا قائماً عند الجميـع»[١]. هـذا وترى ليلى سعد الدّين أنّ الإطار الفنّيّ لرسائل إخوان الصّفاء يختلـف عـن الإطـار الفنّـيّ الّـذي اصطنعـه ابـن المقفّـع، ولكنّهما يتّفقان في بعض الأمور[٢].

والحقيقة أنّنا لسنا بحاجةٍ إلى تبرير لماذا لم يكنْ كتاب "كليلة ودِمنـة" ضمـن قائمة المصادر الأربعة لرسائل هذه الجماعة؛ وذلـك لأنّ تـأثّر هـذه الجماعـة بـهذا الكتاب، وإفادتها منه أسلوباً ومضموناً، لا سيّما في رواية الحيوان هـذي الّـتي بـين أيدينا، لا يعني أنّ هذا الكتاب صار مصدراً للرّسائل كلّـها، بمـا تنطـوي عليـه مـن أفكار هذه الجماعة وغاياتهـا وعلومهـا وفلسفتهـا، تلـك الّـتي يفتخـر الإخـوان بأنّها أخذت من المذاهب جميعها، وأفادت من العلـوم كلّـها، ولم تـهجر كتابـاً مـن الكتب[٣].

والسّؤال الّذي قَدْ يُطرحُ الآن:

هل اعترفت هذه الجماعة بتأثّرها بـ "كليلة ودِمنة"، وإفادتها منه بشكل خـاصّ في رواية "تداعي الحيوانات على الإنسان"؟

والجواب: إذا كان الاعتراف يعني القـول المباشـر الصّريـح بذلـك، فـهذا لم يحدث، ولكنّه إذا كان يعني ما يُمكن أنْ يُفْهَمَ ممّـا يجـيءُ مِـنْ كـلام، ومـا يمكـنُ أن يلتقطَ ممّا يرسلُ من إشارات، فهذا ما حدث فعلاً.

---

(١) ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص٢١٧-٢١٨.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص٢١٨.

(٣) انظر: إخـوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عـارف تـامر، ج٤، ص٤١-٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد كان الإخوان معجبين أيّما إعجاب بكتاب "كليلة ودِمنة"، وبطريقة التّعليم والنّقد، تلك الّتي تأخذ طريقها إلى المتلقّي في ثوب قصصيّ ساحر ساخر، أبطاله مجموعة حيوانات، يؤدّي البشر من ورائها أدوارهم الإنسانيّة.

يقول إخوان الصّفاء في موضع من رسائلهم: «لأنّ الحكماء إذا أرادوا تبليغ الموعظة، جعلوها بضرب الأمثال على ألسنة الحيوانات وما لا نُطْقَ له؛ ليكونَ أعجب وأغرب وأبلغ في الأوهام، مثل ما هو موجود في كتاب كليلة ودِمنة وأمثاله من الكتب»[١].

والسّؤال الّذي يواجهنا الآن: لماذا لم تعترف هذه الجماعة بهذا التّأثّر صراحةً؟

الحقيقة أنّني أُغلِّب في وجهة نظري، ما عرفناه لدى هذه الجماعة مِنْ عمق أفكار وسعةِ فلسفة وبُعْدِ غايات. والسّبب القويّ برأيي يتّفق ومبدأ "التّقية"، الّذي اتخذته هذه الجماعة حيال أفكارها وغاياتها واتّجاهاتها، والّتي قد تلقي عليها ضوءاً الإشارة إلى كتاب "كليلة ودِمنة"كمؤثّر، خاصّة وأنّ هذا الكتاب كتاب سياسيّ في باطنه، ذو مضامين نقديّة إصلاحيّة وثوريّة ضدّ ما كان من نظم قائمة في ذلك الوقت.

ومع خصوصيّة كلّ عمل لخصوصيّة أهداف صاحبه واتّجاهاته وفلسفته، وخصوصيّة الفترة الّتي وُضع فيها؛ فإنّ العملين يأخذان على عاتقهما مسؤوليّة النّقد والإصلاح والتّعليم وبثّ الأفكار والرّؤى الفلسفيّة. ممّا يعارض ما ذهبت إليه ليلى سعد الدّين من قبل، حين لم تر وجه تقارب بين محتوى كلّ منهما[٢].

---

(١) إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٤، ص٩٩.

(٢) انظر: ليلى سعد الدّين، كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ، ص٣١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـمّا يخالف ما ذهب إليه محمّد غفرانـي الخراسـاني الّـذي جعـل تـأثّر الإخـوان بمضمون "كليلة ودِمنة" ينحصر في الآراء الاجتماعيّة لهذا الكتاب[١].

بقي أن نقول إنّ هذه الرّواية مسكونة بروح ساخرة، وليست هناك سـخرية أكبر من مثول الإنسان متّهماً، بل ومداناً من الحيوان[٢].

يغطّي الحوار الحيّز الأوسع مِنْ هذه الرّواية، وقد حافظ إخوان الصّفاء علـى حيويّته بوسائل مختلفة، فقد يطول الحوار في مواقف ويقصر في أخـرى، ولم يقتصـر الحوار على الطّرفين المتنازعين (الإنسان والحيوان)؛ بل وشمل الجان أيضـاً، واتّسـع ليشمل أفراداً من الأطراف الثّلاثة، وقد جاء الحوار بلسان الفرد تارةً، وتارةً أخـرى بلسان الجماعة، وقد منح إخوان الصّفاء كلاً من طرفي النّزاع رأياً متقارباً في القوّة؛ مـمّا أضفى على الحوار حيويّة وإقناعاً[٣].

وقد كشفت هذه الرّواية عن رحابة فكر أصحابـها واتّسـاعه، أمّـا أسـلوبها «فجدليٌّ غالباً»[٤]، وهو في جملته صافي العبارة، خالٍ من التّكلّف[٥].

ثـمّة ملاحظات أخيرة . . .

الأولى: أنّ عارف تامر قد ذهب في تقديمه لرسائل إخوان الصّفاء إلى القـول، بأنّ إخوان الصّفـاء هـم الأسـس والدّعـائم الّـتي شـاد عليـها الإسـماعيليّون بنـاء

---

(١) انظر: محمّد غفراني الخراساني، عبد الله بن المقفّع، ص٣٦٣.

(٢) انظر: يوسف الشّاروني، مع التّراث، ص٤٠.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص٣٧، ٦١-٦٣.

(٤) مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنـة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّـة، ص١٢٩.

(٥) انظر: زكي مبارك، النّثر الفنّيّ في القرن الرّابع، ج١، ص٣٤٥؛ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيـم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلسفتهم[١]، وأنّ لهـذه الرّوايـة الّـتي بـين أيدينـا رمـوزاً وإشـارات ذات تـأويلات إسماعيليّـة شـيّقة؛ فجزيـرة صـاغون هـي مدينـة أهـل الخـير، والبحـر في التّـأويل الإسماعيليّ هو العلم الإماميّ الحقيقيّ، أمّا السّفينة فالدّعوة الإماميّـة سـواء أكـانت ظاهرة أم مستورة، ورُكّابها هـم أهـل الإسـلام، وضيـاع هـؤلاء وتقـاذف الأمـواج لسفينتهم يعني ضلالهم عن طريق الهدى والحقّ...[٢].

الثّانية: أنّ إنطاق الحيوان بالشّكوى مِنْ ظلم الإنسان جـانبٌ لم ينفـرد بتوظيفـه إخـوان الصّفاء؛ فقد وظّفه بعدهم أبو العلاء المعرّي في "الصّاهل والشّاحج"[٣]، إحدى روايات الحيوان في الأدب العربيّ، وقد وضعها أبو العلاء في أوائـل العقـد الثّـاني مـن القـرن الخامس الهجريّ لعزيز الدّولة فاتك، والي حلب من قبل المصريين[٤].

فإذ يشكو الشّاحج (البغل) للصّاهل (الفرس) ما ناله من ظلم الزّمان، يـردّ عليه الأخير باستعراض ما تلقاه الحيوانات ـ علـى اختـلاف أنواعـها ـ مـن ظلـم الإنسان وعنته وإذلاله وبطشه. «وأما شكيتك ما تلقـاه مـن أحـداث الزّمـان، فـإنّ أقدار الله جرت على الأذلال، وهـل يملـك أحـدٌ ردّ الأقـدار؟[٥]... وأيّ شـيء مـن أصناف الحيوان لا ينْصَبُ ويُقْصَبُ؟[٦]... فأمّا نحن معاشر الجبهة، فَتُرمى بـهوادينا الغمراتُ، وتُشْهَدُ على ظهورنا الغـاراتُ، وقلّمـا اطّـرد فريقـان مـن العـرب إلاّ

---

(١) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيـق د. عـارف تـامر، ج١، مقدّمة المحقّق، ص٩-١٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ج١، مقدّمة المحقّق، ص٢٥-٣١.

(٣) انظر: أبو العلاء المعرّي، الصّاهل الشّاحج، تحقيق وتقديم د. عائشة عبد الرّحمن، ص١١٤-١٥٢.

(٤) انظر: المصدر نفسه، مقدّمة المحقّقة، ص٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ص١١٤.

(٦) المصدر نفسه، ص١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأجلى النَّقْعُ الثّائر عن قتيلٍ منّا وعقير، وبذلك سلفت العادةُ من قديم الزّمن. ألم يبلغك المثل في يوم "شعْبِ جبَلة" وهو قول القائل: "كالأشقرِ إنْ تقدّم نُحِرَ، وإنْ تأخّر عُقِر؟"[١]... وبنو آدم كما علمت، لا يحفظون الخُلّة، ولا يُرَاعون الخدمة»[٢].

ثمّ إنّ إنطاق الحيوان بالشّكوى من ظلم الإنسان ليوظّفُ في كتاب "ألف ليلة وليلة"؛ فإحدى خرافات الحيوان في هذا الكتاب تعالج هروب بعض الحيوانات إلى جزيرة نائية تخوّفاً من ظلم الإنسان وبطشه[٣]، ممّا يعيدنا إلى ما جاء في رواية "تداعي الحيوانات على الإنسان".

وقد ذهب يوسف الشّاروني إلى القول بأن إنطاق الحيوانات بالشّكوى من ظلم الإنسان كان الجديد الشّائع ـ كما يظهر ـ في أدب تلك الفترة[٤].

أمّا الملاحظة الأخيرة، فهي أنّ فاروق سعد في تحقيقه لرواية "تداعي الحيوانات على الإنسان"، قد ذيّل هذه الرّواية بحكاية عمد الإخوان إلى ذكرها ليبيّنوا كيف يكون تواصلهم، وتعاون بعضهم بعضاً في طلب معيشة الدّنيا، ثمّ كيف يكون حال من سبقته المنيّة قبل صاحبه، وكيف يكون حال الباقي منهم بعد صاحبه[٥].

ويمكن أن أوجز هذه الحكاية بما يلي:

---

(١) أبو العلاء المعرّي، الصّاهل الشّاحج، تحقيق وتقديم د. عائشة عبد الرّحمن، ص١١٥-١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٨.

(٣) انظر: ألف ليلة وليلة، ج١، ص٣٥٢-٣٥٧.

(٤) انظر: يوسف الشّاروني، مع التّراث، ص٨٩.

(٥) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، ص٢٦٤-٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ قوماً من إخوة وأعمام، كانوا يعيشون في مدينة على رأس جزيـرة، عيشـاً هنيئاً، بتأكّد ما كان بينهم من المودّة والرّحمة والشّـفقة والرّفـق. وذات يـوم ركبـت طائفة منهم البحر، فكسر بها المركـب، ورماهـا المـوج إلى جزيـرة أخـرى تسـكنها السّباع والقرود، وعليها طائر عظيم الخِلقة، شديد القوّة، يكرّ عليـها يختطـف مـن تلك السّباع والقرود.

وأخذ الّذين نجوا يجولون في الجزيرة، يطلبـون مـا يتقوّتـون بـه مـن ثمارهـا، ويشربون من عيونها، ويستترون بأوراق الأشجار، ويـأوون إلى كهوفـها ومغاراتـها، ولقد أنسَ هؤلاء بالقرود، وأنست بهم، فقد كانت أقـرب أجنـاس الحيـوان شـبهاً بصورة الإنسان.

ولـمّا تمادى بالنّاجين الزّمان، استوطنوا الجزيرة، واعتصموا بجبالهـا، وألِفُوهـا حتّى تمنوا الخلود فيها، وأخذوا يتنافسون على إناث القردة، فنشبت بينهم العـداوة والبغضاء، واشتعلت بينهم نيران الحروب.

هذا وقد رأى واحدٌ منهم فيما يرى النّائم أنّه يرجع إلى مدينته الأولى، فلمّـا قصّ رؤياه على أخٍ له، وتشاورا، وقع في فكرهما وجه الحيلة بأن يتعاونـا، ويجتمعـا، ويجمعا خشب تلك الجزيرة، ويبنيا مركباً يقلّهما إلى بلدهما.

وقد رأيا أنّه لو كان معهما آخر لكان أعون لهما على ذلك، فجعلا يذكّـران إخوانهما برغبتهما في العودة إلى الوطن، ويزهّدانهم في المكث هناك، حتّى اتّفقت جماعة من أولئك القوم على أن تبني سفينةً تحملها إلى الوطن.

ولـمّا همّت هذه الجماعة بقطع الأشجار ونشر الخشب، جاء الطّـائر الّـذي يختطف القرود والسّباع، فاختطف منهم واحداً، وطار به في الهواء، فلـمّا أمعـن في طيرانه، تأمّل ما معه فإذا هو ليس من القرود، فما زال به حتّى مرّ على رأس مدينته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الّتي خرج منها، وألقاه على سطح بيته، فلمّا تأمّل الرّجل مدينته وأهله وأقاربه، جعل يتمنّى أن يمرّ ذلك الطّائر ليختطف واحداً من قومه، ويلقيه في بلده كما فعل معه. أمّا قومه الّذين اخْتُطِفَ من بينهم، فجعلوا يبكون عليه محزونين على فراقه، وهم لا يعلمون ماذا فعل الطّير به، ولو علموا لتمنّوا ما تمنّى لهم.

ولقد عمد إخوان الصّفاء إلى تفتيح رموز هذه الحكاية: فالدّنيا شبه تلك الجزيرة، وأهلها يشبهون القرود، ومثل الموت كمثل الطّائر، ومثل أولياء الله كمثل القوم الّذين كسر بهم المركب، ومثل الدّار الآخرة كمثل تلك المدينة الّتي خرجوا منها[١].

والحقيقة أنّني لم آتِ على ذكر هذه الحكاية، ولم أتطرّق لدراستها لسببين: ثانيهما أنَّ هذه الحكاية لا تنتمي إلى جنس حكايات الحيوان. أمّا السّبب الأوّل، فإنّه وبالعودة إلى المجموعة الكاملة لرسائل إخوان الصّفاء، وجدتُ أنّ هذه الحكاية لا ترِدُ بترتيب إخوان الصّفاء تاليةً لرواية "تداعي الحيوانات على الإنسان"، إنّما تأتي في الجزء الرّابع من رسائلهم، فيما يتعلّق بالعلوم النّاموسيّة والشّرعيّة، في رسالةٍ جاؤوا بها لبيان اعتقادهم[٢].

وقد أشار فاروق سعد إلى أنّه اعتمد في تحقيقه لهذه الرّواية، على النّصّ المنشور في القاهرة سنة ١٩٠٠م/١٣١٨هـ بعد مطابقته مع الرّسالة الثّامنة من الجزء الثّاني من مجموعة رسائل إخوان الصّفاء، في أكثر من طبعة منشورة لها في القاهرة خلال القرن العشرين، مبيّناً أنّه أعاد تقسيم المادّة وتنسيقها على نحوٍ يمكّن القارىء

---

(١) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، ص٢٦٤- ٢٦٧.

(٢) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسائل إخوان الصّفاء، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، ج٤، ص٣٥-٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قراءتها وفهمها دون عناء؛ ولكنْ دون أيّ تقديم في ترتيبها، أو تأخير في تسلسلها، أو تعديل في نصّها[١].

والّذي يمكنُ أن نفهمه من إعادة تنسيق المادّة وتقسيمها، بعد الاطّلاع على هذه الرّواية بتحقيق فاروق سعد، هو عرضها مجزّأة إلى أقسام بحسب مجريات أحداثها. هذه الأقسام بلغت الخمسة عشر قسماً تعقبها الخاتمة.

ولاعتماد بعض الدّارسين[٢] على هذه الرّواية بتحقيق فاروق سعد، فإنّهم تناولوا الحكاية الأخيرة في تناولهم لرواية "تداعي الحيوانات على الإنسان"، فجعل مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم هذه الحكاية من أوضح نقاط الالتقاء بين هذه الرّواية و "كليلة ودِمنة"، ورأى في مضمونها اتّفاقاً مع ما جاء ـ فيه ـ في باب الحمامة المطوّقة؛ ذلك أنّهما يتحدّثان عن إخوان الصّفاء، متناولين تعاونهم وتواصلهم[٣].

أمّا محمود عبد الرّحيم صالح، فرأى في هذه الحكاية مفتاحاً لفهم رواية "تداعي الحيوانات على الإنسان"، وفكّ رموزها[٤].

---

(١) انظر: إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، قدّم لها د. فاروق سعد، مقدّمة المحقّق، ص٣٨.

(٢) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٢٦-١٣٩؛ محمود عبد الرّحيم صالح، فنون النّثر في الأدب العبّاسيّ، ص١٥٤-١٥٦.

(٣) انظر: مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم، كليلة ودِمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشّرقيّة، ص١٣٦.

(٤) انظر: محمود عبد الرّحيم صالح، فنون النّثر في الأدب العبّاسيّ، ص١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفضلاً عمّا ذكر، فإنّني أرى في هذه الحكاية تشابهاً مع حكايـة أخـرى وردت في نهاية باب برزويه الطّبيب في "كليلة ودِمنة"[١]؛ مِنْ حيث تقارب رمـوز هـاتين الحكايتين، واللجوء إلى فكّ هذه الرّموز وتفتيحها في النّهاية.

يقولُ ابن المقفّع على لسان برزويه الطّبيب: «فالتَمَسْتُ لِلإنْسَان مثلاً، فإذا مَثلُهُ مثلُ رجلٍ نَجَا مِنْ خَوفِ فِيـلٍ هائِـجٍ إلى بئْرٍ فتَدلَّى فيـها، وتعلَّـقَ بغُصنيْـنِ كانا على سمائِها، فوقعتْ رجلاهُ على شيء فـي طـيِّ البـئرِ، فـإذا حَيَّـات أربـع قـد أخرجنَ رؤُوسَهُنَّ من أجحارهنّ، ثُمَّ نظرَ، فـإذا فـي قَعـرِ البئـر تنِّينٌ فاتِحٌ فـاهُ، مُنتظـرٌ لهُ ليَقَع، فيأْخُذَهُ. فرفعَ بصرَهُ إلـى الغُصنيْنِ فإذا في أصلهما جُرذانِ أسـود وأبيض، وهُما يَقرِضان الغُصنَيْنِ دائِبَيْـن لا يَفتـران، فبينمـا هُـوَ في النَّظَر لأَمْرِهِ، والاهتمام لِنَفسهِ، إذْ بَصُرَ قريباً مِنْهُ بخليَّةٍ فيها عسل، فذاقَ العسلَ، فشغلَتْهُ حلاوَتُهُ، وألهتهُ لَذَّتُهُ عن الفكرةِ في شيءٍ من أمرهِ، وأنْ يَلتَمِسَ الخلاص لنفسهِ؛ وَلم يذكُر أنَّ رجليهِ على حيَّاتٍ أربع لا يدري متى يقعُ عليهنَّ؛ ولَمْ يذكُرْ أنَّ الجُرذيـن دائبَـان في قَطْعِ الغُصْنَيْنِ، ومَتى انقطَعَا وَقَعَ على التِّنِّين؛ فلمْ يَزَلْ لاهياً غافلاً مشغولاً بتلـك الحلاوةِ، حتّى سقطَ في فَمِ التِّنِّين، فهلَك.

فَشَبَّهْتُ بالبئْرِ الدُّنيا المملوءَة آفاتٍ وشُـرُوراً، ومخافـاتٍ وعاهـاتٍ، وشـبَّهتُ بالحَيَّاتِ الأرْبَع الأَخْلاطَ الأربَعةَ الّتي في البَدن. فإنَّها متى هاجتْ، أو هَـاجَ أحدُهـا، كانت كحُمَّةِ الأفاعي، والسُّمِّ المميت. وشبَّهتُ بالغُصنينِ الأجَلَ الّذي هُو إلى حين، ثُمَّ لا بُدَّ من فنائه وانقطاعِهِ. وشَبَّهتُ بالجُرذينِ الأسود والأبيـض الليـل والنَّـهار، اللذيْن هُما دائِبَان في إفناء الأجل؛ وشبَّهتُ بالتِّنِّين المصير الّذي لا بُدَّ منهُ. وشبَّهتُ

---

(١) انظر: ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، ص٦٧-٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالعَسَل هذه الحلاوة القليلة الّتي ينالُ منها الإنسانُ، فيرى ويطعمُ، ويسمعُ ويشُمُّ، ويلمسُ ويتشاغَلُ عَنْ نفسه، ويلهو عن شأْنه، فيَنْسَى أمرَ الآخِرة، ويصُدُّ عن سبيل قَصْدِهِ»[1].

(١) ابن المقفّع، كليلة ودِمنة، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، ص٦٧- ٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــة

الحكاية على لسان الحيوان، نمط قصصيّ ذو جذور بعيدة الغور في تراث الأمم والحضارات المختلفة، وهو نمط متعدِّد الأشكال، وأقدم أشكاله تلك الإجابات القصصيّة الّتي ابتدعها فكر الإنسان تفسيراً أو تعليلاً لما عجز عن فهمه من سمات الحيوان أو النّبات وخصائصه المميّزة.

ومن رحم هذه الحكايات خرجت أخرى، لم تكن سوى هذا النُّضج الّذي أصاب فكر الإنسان، وذلك النّموّ الّذي بدا على أسلوبه. وهذه الحكايات الّتي عرفت فيما بعد باسم "الخرافات"، نجحت في تقديم الحكمة والموعظة والإقناع والنّقد في ثوبٍ رائق شعريّ أو نثريّ، كما تمكّنت بإنسانيّة مضامينها، وبساطة بنيتها، ومعرفة شخوصها، من التّفلّت من حواجز الزّمان والمكان واللغة والمعتقد، فقابلت كلّ عصرٍ بالجدّة ذاتِها، والتقاها كلُّ جيل بالانفعال نفسه.

أمّا ثمرة ذلك اللقاء الّذي جمع الخرافة بالملحمة فـ "ملحمة الحيوان"؛ وهي سلسلة شعريّة مؤلّفة من حكايات متلاحقة على لسان الحيوان، ولقد استعارت هذه بعض سماتها من الخرافة والملحمة معاً، واحتفظت لنفسها بشيء من وحدة الموضوع، حاملة معها رسالة الإنسان إلى الإنسان، وموفّرة كما الخرافة أقنعة ورموزاً أدبيّة قادرة على التّعبير عن القضايا المختلفة دون اصطدام بالسّلطة أو المجتمع.

وقد كان للملاحظاتِ الّتي كوّنها العربيّ الجاهليّ حول سمات بعض الحيوانات وطبائعها، وما قوي في نفسه من نزعة عصبيّة قبليّة، دور في نشوء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"مفاخرات الحيوان ومنافراته"، تلك الحكايات الجاهليّة النّثريّة القصيرة، الّتي وقفَ فيها الحيوان مفتخراً بنفسه، أو هاجياً غيره.

ومِنْ معارضة "كليلة ودِمنة"، ومِنْ رفض الأنظمة الباطشة والحكومات المستبدّة، قدّم العربيّ على لسان الحيوان، حكايات نثريّة طويلة، تعدّدت شخوصها وتنوّعت أحداثها، مقارنة بشخوصِ حكايات الحيوان القصيرة وأحداثها، إلاّ أنّ هذه الحكايات استطاعت أنْ تقدّم موضوعاً واحداً متكاملاً، وقد أطلق محمّد رجب النّجّار على هذا النّوع من الحكايات مصطلح "رواية الحيوان النّثريّة".

ويمكن القول: إنّه حتّى وقت قريب، ظلّ من المعتقد أنّ العرب أخذوا حكايات الحيوان من مصادر أجنبيّة، إلى أن أثبت البحث في تاريخ الأدب القديم؛ أنّ الأدب العربيّ استقى هذا اللون من جذوره الأولى في العراق أو سورية أو مصر، ثمّ نما هذا اللون في الجاهليّة والعصور الإسلاميّة.

احتفى القرنان الثّالث والرّابع الهجريّان، برواية حكايات نثريّة محمولةٍ من قرون سابقة أو عهود قديمة، إلاّ أنّ هذا الاحتفاء لم يأتِ عشوائيّاً عفويّاً، بل انتخابيّاً مقصوداً، إذ سُجِّلت الغلبة فيه للخرافات ذات المضامين النّقديّة السّياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة الحادّة، لاسيّما ذلك في القرن الرّابع الهجريّ، الّذي شهد انقسام الدّولة الإسلاميّة إلى دويلات وإمارات متنازعة فيما بينها، وعرف من تردّي الأوضاع الاجتماعيّة ما أفقد النّاس قيمهم الخُلُقيّة.

ثمّ إنّ هذين القرنين شهدا ولادة روايتين من روايات الحيوان، أمّا الأولى؛ فرواية "النّمر والثّعلب" لسهل بن هارون، وهي ذات لغة رفيعة وأهداف مسقطة على الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة في عصر مؤلّفها، وأمّا الثّانية؛ فذلك العمل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجماعيّ الّذي نفذ من خلاله إخوان الصّفاء نقداً إلى الفكر العربيّ السّائد آنذاك، ويعرف هذا العمل برواية "تداعي الحيوانات على الإنسان".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

أ – المصادر :

❖ القرآن الكريم.

❖ الكتاب المقدّس.

❖ ابن الأثير، عليّ بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيباني الجزري، أبو الحسن عزّ الدّين ابن الأثير (٥٥٥–٦٣٠هـ/ ١١٦٠– ١٢٣٣م) ـ الكامل في التّاريخ، ط١، المجلّد السّادس، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء.

ـ رسائل إخوان الصّفاء، ط١، ج٢، عني بتصحيحه خير الدّين الزّركلي، المطبعة العربيّة، مصر، ١٩٢٨م.

ـ رسائل إخوان الصّفاء، ط١، المجلّد الثّاني، دار بيروت للطّباعة والنّشر ـ دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٩٥٧م.

ـ رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، ط١، قدّم لها فاروق سعد، دار الآفاق العربيّة، بيروت، ١٩٧٧م.

ـ رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، ط٢، قدّم لها فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، ط٣، قدّم لها فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.

- رسائل إخوان الصّفاء، ط١، المجلّد الثّاني، الدّار الإسلاميّة، بيروت، ١٩٩٢م.

- رسائل إخوان الصّفاء، ط١، ج١- ٤، إعداد وتحقيق د. عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٩٥م.

❖ أرسطو طاليس (٣٨٤- ٣٢٢ق.م) - الخطابة: التّرجمة العربيّة القديمة، حقّقه وعلّق عليه عبد الرّحمن بدوي، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة - مصر.

❖ الأَعْشَى، ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير (٠٠٠- ٧هـ/ ٠٠٠ - ٦٢٩م)- ديوان الأعشى، ط١، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

❖ ابن الأَنْبَاري، محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشّار، أبو بكر الأنباري (٢٧١- ٣٢٨هـ/ ٨٨٤- ٩٤٠م)- الزّاهر، ط١، ج٢، تحقيق د. حاتم صالح الضّامن، اعتنى به عزّ الدّين البدوي النّجّار، مؤسّسة الرّسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

❖ إيسوب - خرافات إيسوب، ج١-٢، ترجمة عبد الفتّاح الجمل، دار الفتى العربيّ للنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان.

❖ البُخَاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد اللّه (١٩٤ - ٢٥٦هـ/ ٨١٠ - ٨٧٠م)- صحيح البخاري، ط٢، مكتبة دار السّلام، الرّياض، ذو الحجّة ١٤١٩هـ/ مارس ١٩٩٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشّهير بالجاحظ (١٦٣-٢٥٥هـ/ ٧٨٠-٨٦٩م).

ـ البيان والتّبيين، ط٢، ج١/ ٣، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

ـ الحيوان، ط١، ج٢ ـ ٧، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م.

ـ القوْل في البغال، ط١، حقّق الكتاب وعلّق عليه ووضع الفهارس شارل بلا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

ـ المحاسن والأضداد (منسوب)، شرح يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

❖ ابن الجوزي، عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨-٥٩٧هـ/ ١١١٤-١٢٠١م) ـ الأذكياء، المكتب التّجاري للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، [ـ ـ ١٩].

❖ حاجي/ الحاجّ خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي، المعروف بالحاجّ خليفة (١٠١٧-١٠٦٧هـ/ ١٦٠٩-١٦٥٧م) ـ كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، ط٣، ج٢، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

❖ ابن حجّة الحَمَوي، أبو بكر بن عليّ بن عبد الله الحموي الأزراري، تقيّ الدّين ابن حجّة (٧٦٧-٨٣٧هـ/ ١٣٦٦-١٤٣٣م) ـ ثمرات الأوراق، ط٣، تحقيق وتعليق محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ الحُصْري، إبراهيم بن عليّ بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصْري (٠٠٠-٤٥٣هـ/ ٠٠٠-١٠٦١م)

- جمع الجواهر في الملح والنّوادر، حقّقه وضبطه ووضع فهارسه وفصّل أبوابه عليّ محمّد البجاوي، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م.

- زهر الآداب وثمر الألباب، ط٤، ج٢، مفصّل ومضبوط ومشروح بقلم الدّكتور زكي مبارك، حقّقه وزاد في تفصيله وضبطه محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل للنّشر والتّوزيع والطّباعة، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.

❖ حمزة الأصْفهَاني، حمزة بن الحسن الأصفهاني (٢٨٠- ٣٦٠هـ/ ٨٩٣-٩٧٠م) - الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، ج١ -٢، حقّقه وقدّم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

❖ أبو حيّان التّوحيدي، عليّ بن محمّد بن العبّاس التّوحيدي، أبو حيّان (٠٠٠ - نحو ٤٠٠هـ/ ٠٠٠ نحو ١٠١٠م)

- الإمتاع والمؤانسة، ج٣، صحّحه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزّين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، [- ١٩٦].

- البصائر والذّخائر، ط١، حقّقه وعلّق عليه أحمد أمين وأحمد الصّقر، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة - مصر، ١٣١٣هـ/ ١٩٥٣م.

- البصائر والذّخائر، المجلّدان الثّاني والرّابع، عني بتحقيقه والتّعليق عليه د. إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٦٤م.

- مثالب الوزيرين: أخلاق الصّاحب بن عبّاد وابن العميد، عني بتحقيقه د. إبراهيم الكيلاني، نشر وتوزيع دار الفكر، دمشق، [١٩٦١].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ ابن خَلْدُون، عبد الرّحمن بن محمّد بن محمّد، ابن خَلْدون أبو زيد، وليّ الدّين الحضرمي الإشبيلي (٧٣٢-٨٠٨هـ/ ١٣٣٢-١٤٠٦م) ـ مقدّمة ابن خَلْدون، ط٦، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

❖ الدَّميري، محمّد بن موسى بن عيسى بن عليّ الدَّميري أبو البقاء، كمال الدّين (٧٤٢-٨٠٨هـ/ ١٣٤١-١٤٠٥م) ـ حياة الحيوان الكبرى، ج١ ـ٢، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، [١٩٠٠].

❖ الرَّاغب الأَصْفَهاني، الحسين بن محمّد بن المفضّل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالرّاغب (٠٠٠-٥٠٢هـ/ ٠٠٠-١١٠٨م) ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء، ط١، ج٢، حقّقه وضبط نصوصه وعلّق حواشيه د. عمر الطّبّاع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

❖ ابن رُشْد، محمّد بن أحمد بن محمّد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد (٥٢٠- ٥٩٥هـ/ ١١٢٦-١١٩٨م) ـ تلخيص الخطابة، ط١، حقّقه عبد الرّحمن بدوي، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة ـ مصر، ١٩٦٠م.

❖ الزَّمخشري، محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الخوارزمي الزّمخشري، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧-٥٣٨هـ/ ١٠٧٥-١١٤٤م) ـ المُسْتَقْصَى في أمثال العرب، ط١، ج١، اعتنى بتصحيحه محمّد عبد الرّحمن خان، تحت مراقبة محمّد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، الهند، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ أبو سعد الآبي، منصور بن الحسين الرّازي، أبو سعد الآبي (٠٠٠-٤٢١هـ/ ٠٠٠-١٠٣٠م) ـ نثر الدّرّ، ط١، ج٧، تحقيق منير محمّد المدني، مراجعة د. حسين نصّار، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ١٩٩٠م.

❖ سهل بن هارون، سهل بن هارون بن راهبون (أو راهيون) أبو عمرو الدّستميساني (٠٠٠-٢١٥هـ/ ٠٠٠-٨٣٠م) ـ النّمر والثّعلب، ط١، حقّقه وقدّم له وترجمه إلى الفرنسيّة عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التّونسيّة ـ كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، تونس، ١٩٧٣م.

❖ ابن شَرَف القَيْرواني، محمّد بن سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني، أبو عبد الله (٣٩٠-٤٦٠هـ/ ١٠٠٠-١٠٦٨م) ـ أعلام الكلام، عني بتصحيحه وضبط ألفاظه عبد العزيز أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٢٦م.

❖ الشّريشي، أحمد بن عبد المؤمن بن موسى، أبو العبّاس القيسي الشّريشي (٥٥٧-٦١٩هـ/ ١١٨١-١٢٢٣م) ـ شرح مقامات الحريري، ج٤، تحقيق محمد أبي الفضل، المؤسّسة العربيّة الحديثة للطّباعة والنّشر، القاهرة ـ مصر، [ـ ـ ١٩].

❖ الشّريف الرّضي، محمّد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرّضي العلوي الحسيني الموسوي (٣٥٩-٤٠٦هـ/ ٩٧٠-١٠١٥م) ـ نهج البلاغة، المجلّد الرّابع، مطبعة دار الكتب العربيّة الكبرى، مصر، ١٩٠٩م.

❖ ابن أبي الصّلت، أميّة بن عبد الله أبي الصّلت بن أبي ربيعة بن عوف الثّقفي (٠٠٠ ـ ٥هـ/ ٠٠٠ ـ ٦٢٦م) ـ ديوان أميّة بن أبي الصّلت، ط١، جمعه وحقّقه وشرحه د. سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ الطُّرْطُوشي، محمّد بن الوليد بن محمّد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطّرطوشي، ويُقال لـه ابـن أبـي رندقـة (٤٥١-٥٢٠هـ/ ١٠٥٩-١١٢٦م) ـ سراج الملوك، ط١، المجلّد الثّاني، حقّقه وضبطه وعلّق عليه ووضع فهارسه محمّد فتحي أبو بكر، تقديـم د. شوقي ضيـف، الـدّار المصريّـة اللبنانيّـة، القـاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

❖ ابن ظَفَر، محمّد بن عبد الله أبي محمّد بـن محمّد بـن ظفـر الصّقلّـي المَكّـي، أبو عبد الله، حجّـة الدّيـن (٤٩٧-٥٦٥هـ/ ١١٠٤-١١٧٠م) ـ سـلوان المطـاع في عدوان الأتباع؛ قوانين الحكمة ونوادر أخبـار السّـلاطين، ط١، دراسـة وتحقيـق محمّد أحمد دمج، مؤسّسة عزّ الدّين للطّباعة والنّشر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

❖ ابن عبد رَبِّه، أحمد بن محمّد بـن عبـد ربّـه ابـن حبيـب بن حُدَيـر بـن سالـم، أبـو عمـر (٢٤٦-٣٢٨هـ/ ٨٦٠-٩٤٠م) ـ العقـد الفريـد، ط١، ج٣، تحقيـق د. عبد المجيد التّرحيني، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

❖ أبو عُبيد، القاسم بن سلاّم الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عُبَيْد، (١٥٧-٢٢٤هـ/ ٧٧٤-٨٣٨م) ـ كتاب الأمثـال، ط١، تحقيـق عبـد المجيـد قطامش، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

❖ ابن عَرَبْشَاه، أحمد بن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم، أبـو محمّـد، شـهاب الدّيـن، المعروف بابن عَرَبْشَاه (٧٩١-٨٥٤هـ/ ١٣٨٩-١٤٥٠م)

ـ فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظّرفاء، ط١، تحقيـق وتقديـم د. حسـن عـاصي، دار المواسم، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

ـ فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظّرفاء، ط١، تحقيق محمّد رجـب النّجّـار، دار سـعاد الصّـباح للنّشر والتّوزيع، الكويت، ١٩٩٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ أبو العلاء المعـرّي، أحمد بن عبـد الله بن سليمـان، التّنوخـي المعـرّي (٣٦٣-٤٤٩هـ/ ٩٧٣-١٠٥٧م)

ـ رسالة الصّاهـل والشّاحج، ط١، تحقيق وتقديم د. عائشة عبـد الرّحمـن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.

ـ رسالة الصّاهل والشّاحج، ط٢، تحقيق وتقديم د. عائشـة عبـد الرّحمـن، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

❖ ابن أبي عَـوْن، إبراهيم بـن محمّـد بـن أبـي عـون أحـمد بـن المنجـم، أبـو إسحـاق (٠٠٠-٣٢٢هـ/ ٠٠٠-٩٣٤م) ـ الأجوبـة المسكتـة، ط١، دراسـة وتحقيق د. ميّ أحمد يوسف، عين للدّراسات والبحوث الإنسـانيّة والاجتماعيّـة، القاهرة، ١٩٩٦م.

❖ ابن قَتَيْبَة، عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدّينوري، أبو محمّد (٢١٣-٢٧٦هـ/ ٨٢٨-٨٨٩م)

ـ الشّعر والشّعراء، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.

ـ عيون الأخبار، ط١، المجلّد الثّاني، المطبعة المصريّة، القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

ـ المعاني الكبير في أبيات المعاني، ط١، المجلّـدان الأوّل والثّـاني، دار الكتـب العلميّة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ القفطي، عليّ بن يوسف بن إبراهيم الشّيباني القفطي، أبو الحسن، جمال الدّين (٥٦٨-٦٤٦هـ/ ١١٧٢-١٢٤٨م) ـ تأريخ الحكماء وهو: مختصر الزّوزني المُسَمّى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى، بغداد ومؤسّسة الخانجي، مصر، ١٩٠٣م.

❖ لافونتين ـ أمثال لافونتين، ط١، عرّبها نظماً الأب نقولا أبو هنا، تحقيق وتقديم د. حسن عاصي، دار المواسم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

❖ الماوَرْدي، عليّ بن محمّد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي (٣٦٤-٤٥٠هـ/ ٩٧٤-١٠٥٨م) ـ أدب الدّنيا والدّين، ط٢، حقّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه محمّد فتحي أبو بكر، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ١٩٩١م.

❖ مجنون ليلى، قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري (٠٠٠-٦٨هـ/ ٠٠٠-٦٨٨م) ـ ديوان مجنون ليلى، ط١، جمع وترتيب أبي بكر الوالبي، تحقيق وشرح جلال الدّين الحلبي، دار النّجم، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٤م.

❖ مجهول المؤلّف:

ـ الأسد والغوّاص: حكاية رمزيّة عربيّة من القرن الخامس الهجريّ، ط١، باعتناء رضوان السيّد، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، أيلول/ سبتمبر ١٩١٨م.

ـ الأسفار الخمسة أو البنجاتنترا، ط١، ترجمة عبد الحميد يونس، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ١٩٨٠م.

ـ ألف ليلة وليلة، ج١ ـ٢، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ المسعودي، عليّ بن الحسين بن عليّ، أبو الحسن المسعودي، من ذريّة عبد الله ابن مسعود (٠٠٠-٣٤٦هـ/ ٠٠٠-٩٥٧م)

- مروج الذّهب ومعادن الجوهر، ط٣، ج٣، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، مصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

- مروج الذّهب ومعادن الجوهر، ج١، دقّقه ووضعه وضبطه الأستاذ يوسف أسعد داغر، دار الأندلس للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٩٦٥م.

❖ الإمام مسلم، مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري النّيسابوري، أبو الحسين (٢٠٤-٢٦١هـ/ ٨٢٠-٨٧٥م) ـ صحيح مسلم، ط١، دار السّلام للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ربيع الأوّل ١٤١٩هـ/ يوليو ١٩٩٨م.

❖ ابن المُعْتَزّ، عبد الله بن محمّد المعتزّ بالله ابن المتوكّل ابن المعتصم ابن الرّشيد العبّاسي، أبو العبّاس (٢٤٧-٢٩٦هـ/ ٨٦١-٩٠٩م) ـ طبقات الشّعراء ومدح الخلفاء والوزراء، اعتنى بنشره عبّاس إقبال، على نفقة لجنة وصيّة أ.ج.و. جب التّذكاريّة، لوزاك وشركاه، لندن، ١٩٣٩م.

❖ المُفضّل بن سَلَمة، المفضّل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (٠٠٠- نحو ٢٩٠هـ/ ٠٠٠- نحو ٩٠٣م) ـ الفاخر، ط٢، اعتنى باستخراجه وتصحيحه العبد شالس أنبروس استوري الإنجليزي، دار الفرجاني، مصر الجديدة/ القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ المفضّل الضّبّي، المفضّل بن محمّد بن يعلى بن عامر الضّبّي، أبو العبّاس (٠٠٠-١٦٨هـ/ ٠٠٠- ٧٨٤م) ـ أمثال العرب، قدّم له وعلّق عليه د. إحسان عبّاس، دار الرّائد العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٨١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ المقدسي، عبد العزيز بن عبد السّلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمّد بن مهذب السّهيلي (٥٧٨-٦٦٠هـ/ ١١٨١-١٢٦٢م) ـ كشف الأسرار عن حكم الطّيور والأزهار، ط١، تحقيق وتقديم د. حسن عاصي، دار المواسم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

❖ ابن المقفّع، عبد الله بن المقفّع (١٠٦-١٤٢هـ/ ٧٢٤-٧٥٩م)

ـ الأدب الصّغير والأدب الكبير، ط١، تحقيق ودراسة د. إنعام فوّال، دار الكتاب العربيّ، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ـ كليلة ودِمنة، ط٢، عني بتنقيحه ونشره مع شرح ألفاظه اللغويّة الأب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٦م.

ـ كليلة ودِمنة، ط١، حقّقه وقدّم له فوزي عطوي، الشّركة اللبنانية للكتاب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٩م.

ـ كليلة ودِمنة، ط٤، قدّم له فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦م.

❖ ابن مَنْظور، محمّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي (٦٣٠-٧١١هـ/ ١٢٣٢-١٣١١م)

- لسان العرب، المجلّدان الخامس والثّاني عشر، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٩٦٨م.

ـ لسان اللسان: تهذيب لسان العرب، ط١، ج١، تمّ تهذيبه بعناية المكتب الثّقافي لتحقيق الكتب، إشراف الأستاذ عبد أ. عليّ مهنا، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ المَيْداني، أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النّيسابوري، أبو الفضل (٠٠٠-٥١٨هـ/ ٠٠٠-١١٢٤م) ـ مجمع الأمثال، ط١، ج١ ـ٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

❖ النّابغة الذُّبْيَاني، زياد بن معاوية بن ضباب الذُّبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة (٠٠٠- نحو ١٨ ق.هـ/ ٠٠٠- نحو ٦٠٤م) ـ ديوان النّابغة الذُّبياني، ط٣، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

❖ ابن نُباتة، محمّد بن محمّد بن محمّد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر، جمال الدّين، ابن نُباتة (٦٨٦-٧٦٨هـ/ ١٢٨٧-١٣٦٦م) ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، منشورات دار الفكر العربي، ١٩٦٤م.

❖ النّديم، محمّد بن إسحاق بن محمّد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النّديم (٠٠٠-٣٨٤هـ/ ٠٠٠-١٠٤٧م) ـ الفهرست، ط١، تحقيق ناهد عبّاس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥م.

❖ النُّوَيْري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمّد بن عبد الدّائم القرشي التّيمي البكري، شهاب الدّين النُّويْري (٦٧٧-٧٣٣هـ/ ١٢٧٨-١٣٣٣م) ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، السّفر العاشر، وزارة الثّقافة والإرشاد القومي ـ المؤسسة المصريّة العامّة للتّأليف والتّرجمة والطّباعة والنّشر، القاهرة ـ مصر، [ـ ١٩٧].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ ابن الهَبَّاريَّة، محمّد بن محمّد بن صالح العبّاسي، نظام الدّين، أبو يعلى، المعروف بابن الهبّاريّة (٤١٤- ٥٠٩هـ/ ١٠٢٣-١١١٥م)

- نتائج الفطنة في نظم كليلة ودِمنة، ط١، هذّبه نعمة الله الأسمر الماروني، المطبعة اللبنانيّة، بيروت، ١٩٠٠م.

- نتائج الفطنة في نظم كليلة ودِمنة، ط١، تحقيق وتقديم د. حسن عاصي، دار المواسم، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

❖ أبو هلال العَسْكَري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال (٠٠٠- بعد ٣٩٥هـ/ ٠٠٠- بعد ١٠٠٥م) ـ جمهرة الأمثال، ط١، ج١-٢، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، المؤسّسة العربية الحديثة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

❖ ابن هندو، عليّ بن الحسين بن محمّد بن هندو، أبو الفرج (٠٠٠-٤٢٠هـ/ ٠٠٠-١٠٢٩م) ـ الكلم الرّوحانيّة في الحكم اليونانيّة، ط١، صحّحه والتزم طبعه مصطفى القبّاني الدّمشقي، مطبعة التّرقي بشارع عبد العزيز، مصر، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

❖ ياقوت الحمَوي، ياقوت بن عبد الله الرّومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدّين (٥٧٤-٦٢٦هـ/ ١١٧٨-١٢٢٩م)

- معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط٢، ج١، اعتنى بنسخه وتصحيحه د. س. مرجليوث، مطبعة هنديّة، مصر، ١٩٢٣م.

- معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط١، ج٣، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ المراجـــع:

١. المراجع الحديثة/ باللغة العربيّة:

❖ إحسـان عبّـاس ـ ملامـح يونانيّـة في الأدب العربـيّ، ط١، المؤسّســـة العربيّـة للدّراسات والنّشر، بيروت، ١٩٩٣م.

❖ أحمد زكي صفوت ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة، ج٢، المكتبة العلميّة، بيروت ـ لبنان، [ـ ١٩٩].

❖ إسماعيل باشا البابانى، إسماعيل بن محمّد بن مير سليم البابانى البغدادي (٠٠٠- ١٣٣٩هـ/ ٠٠٠- ١٩٢٠م) ـ هديّة العارفين: أسمـاء المؤلّفـين وآثـار المصنّفـين مـن كشف الظّنون، ط١، المجلّد الخامـــس، دار الفكـر، بـيروت ـ لبنـان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

❖ ألكساندر كراب ـ علم الفلكلور، ط١، ترجمة رشـدي صـالح، مؤسّسـة التّـأليف والنّشر و دار الكتاب العربيّ، القاهرة، ١٩٦٧م.

❖ أنيس فريحة ـ أحيقار حكيم من الشّرق الأدنى القديم، ط١، الجامعـة الأمريكيّـة، بيروت، ١٩٦٢م.

❖ جبّور عبد النّور ـ المعجم الأدبيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

❖ حامد عبد القادر ـ القصص الحيواني وكتاب كليلة ودِمنة فـي الآداب الشّـرقيّة والغربيّة، مطبعة لجنة البيان العربيّ، القاهرة، [١٩٥٠].

❖ حسين عبد الحميـد رشـوان ـ الفلكلـور والفنـون الشّـعبيّة مـن منظـور علـم الاجتماع، ط١، المكتب الجامعيّ الحديث، الإسكندريّة، ١٩٩٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ حنّا فاخوري ـ تاريخ الأدب العربيّ، ط٨، المطبعة البولسيّة، بيروت ـ لبنان.

❖ خالد القشطيني ـ سجلّ الفكاهة العربيّة، ط١، دار الكرمل، عمّان، ١٩٩٣م.

❖ خير الدّين الزّركْلي ـ الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١، ج١ ـ ٨، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، أيلول/ سبتمبر ١٩٩٢م.

❖ داود سلّوم

ـ الأدب العربيّ في تراث العالم، ط١، دار الشّؤون للثّقافة العامّة، العراق ـ بغداد، ١٩٨٧م.

ـ دراسات في الأدب المقارن التّطبيقيّ، ط١، دار الشّؤون للثّقافة العامّة، العراق ـ بغداد، ١٩٨٤م.

ـ قصص الحيوان في الأدب العربيّ القديم، ط١، عالم الكتب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

❖ زكي مبارك ـ النّثر الفنّي في القرن الرّابع، ج١، منشورات المكتبة العصريّة، صيدا ـ بيروت.

❖ شوقي ضيف ـ العصر العبّاسي الأوّل، ط٨، دار المعارف، مصر، [ـ ١٩٦].

❖ شوقي عبد الحكيم ـ الحكاية الشّعبيّة العربيّة: دراسة نظريّة ميدانيّة، ط١، دار ابن خلدون، ١٩٨٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ طه باقر ـ مقدّمة في أدب العراق القديم، ط١، كليّة الآداب ـ جامعة بغداد، بغداد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

❖ عبد الحميد يونس ـ الحكاية الشّعبيّة، المؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر و دار الكاتب العربيّ للطّباعة والنّشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

❖ عبد الفتّاح كيليطو ـ الحكاية والتّأويل: دراسات في السّرد العربيّ، ط١، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء ـ المغرب، ١٩٨٨م.

❖ عبد المجيد عابدين ـ الأمثال في النّثر العربيّ القديم، ط١، القاهرة، ١٩٥٦م.

❖ عزّة الغنّام ـ الفنّ القصصيّ العربيّ القديم من القرن الرّابع إلى القرن السّابع، الدّار الفنيّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ١٩٩١م.

❖ علي عقلة عرسان ـ الظّواهر المسرحيّة عند العرب، ط١، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ١٩٨١م.

❖ عمر الدّسوقي ـ إخوان الصّفاء، ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٤٧م.

❖ عمر الطّبّاع ـ ابن المقفّع وكليلة ودِمنة، ط١، دار المفيد، ١٩٨٢م.

❖ فردريش فون ديرلاين ـ الحكاية الخرافيّة: نشأتها ـ مناهج دراستها ـ فنّيتها، ط١، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، مراجعة د. عزّ الدّين إسماعيل، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ فوزي العنتيل

ـ عالم الحكـايـات الشّـعبيّة، ط١، دار المرّيـخ للنّشـر، الرّيـاض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ـ الفلكلور ما هو؟: دراسات في الـتّراث الشّـعبيّ، ط٢، دار المسـيرة ومكتبـة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٧م.

❖ ليلى حسن سعد الدّين ـ كليلة ودِمنة في الأدب العربيّ: دراسة مقارنـة، مكتبـة الرّسالة، عمّان، [ـ ١٩٧].

❖ مجدي محمّد شمس الدّين إبراهيم ـ كليلـة ودِمنة بين الأصـول القديمـة والمحاكـاة الشّرقيّة، ط١، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٩٨٦م.

❖ مجدي وهبة وكامل المهندس ـ معجـم المصطلحـات العربيّـة في اللُغـة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩م.

❖ محمّد توفيق أبو علي ـ الأمثال العربيّة فـي العصر الجاهليّ: دراسة تحليليّة، ط١، دار النّفائـس للطّباعة والنّشر والتّوزيـع، بيـروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

❖ محمّد التّونجي ـ المعجم المفصّل في الأدب، ج١ـ٢، دار الكتب العلميّة، بـيروت ـ لبنان، ١٩٩٣م.

❖ محمّد عبد السّلام كفافي ـ في الأدب المقارن: دراسات في نظريّـة الأدب والشّـعر القصصيّ، ط١، دار النّهضة العربيّة للطّباعـة والنّشر، بيروت، ١٩٧٢م.

❖ محمّـد عجينـة ـ موسـوعة أسـاطير العـرب عـن الجاهليّـة ودلالاتـــها، ط١، دار الفارابي، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

❖ محمّد غفراني الخراساني ـ عبد الله بن المقفّع، الدّار القوميّة للطّباعة والنّشر، مصر، [١٩٦٥].

❖ محمّد غنيمي هلال ـ الأدب المقارن، ط١، ١٩٦١م.

❖ محمّد فريد حجاب ـ الفلسفة السّياسيّة عند إخوان الصّفاء، ط١، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ١٩٨٢م.

❖ محمود ذهني ـ الأدب الشّعبيّ العربيّ: مفهومه ومضمونه، ط١، مطبوعات جامعة القاهرة، الخرطوم، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

❖ محمود عبد الرّحيم صالح ـ فنون النّثر في الأدب العبّاسيّ، ط١، وزارة الثّقافة، المملكة الأردنيّة الهاشميّة ـ عمّان، ١٩٩٤م.

❖ ول ديورانت ـ قصّة الحضارة، ط٣، ج١، ترجمة د. زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

❖ يوسف الشّاروني ـ مع التّراث، ط١، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ١٩٩٦م.

٢. المراجع الحديثة/ باللغة الإنجليزيّة:

❖ The New Encyclopedia Britannica, Volume 4, 15th edition, Chicago, 1990.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج ـ بحوث منشورة في الدّوريّات:

❖ جورج أورويل ـ مقدّمة مزرعة الحيوان، ترجمة سماح إدريس، مجلّة الآداب، العددان الثّالث والرّابع، آذار (مارس) نيسان (إبريل)، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٦م، ص١٢ـ١٧.

❖ فريال جبوري غزول ـ قصص الحيوان بين موروثنا الشّعبيّ وتراثنا الفلسفيّ، مجلّة فصول، المجلّد الثّالث عشر، العددان الثّاني والثّالث، القاهرة ـ مصر، ١٩٩٤م، ص١٣٤ـ١٥١.

❖ محمّد رجب النّجّار :

- حكايات الحيوان في التّراث العربيّ، مجلّة عالم الفكر، المجلّد الرّابع والعشرون، العددان الأوّل والثّاني، يوليو/ سبتمبر ـ أكتوبر/ ديسمبر، الكويت، ١٩٩٥م، ص١٨٧- ٢١٢.

- الحكاية والقناع في التّراث العربيّ، مجلّة العربيّ، العددان الخامس والعشرون والسّادس والعشرون، فبراير ٢٠٠٠م/ شوّال١٤٢٠هـ الكويت، ص١٩٠- ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Throughout the years, fables have taken different forms. The oldest form is the "beast etiological tale" through which man has tried to explain certain animal or plant features which were incomprehensible. Beast etiological tales led to the development of two literary kinds of fables, which are, "animal fables" (written in verse or prose) and "animal epics" (written in verse). These, in turn, employed symbolism to express political, social, religious, and philosophical concerns avoiding direct conflict with authority or the society.

Two new types of prose fables evolved out of ancient Arabic literature. The first was a product of the culture of the Pre-Islamic era, termed as "animal conceit and parody". The second type of fables is the long, prose narrative tales. These were inspired from "Kalila Wa Dimna" as well as from the rejection of oppression and corruption by Arab intellectuals. Dr. Mahmoud Najjar terms these as " animal prose tales".

These tales, which Arabs developed in Islamic and Pre-Islamic eras, originated in Iraq, Syria or Egypt. Tales told by animals flourished in the third and fourth centuries of Hijra. These tales express a rejection of and a rebellion against oppressive political systems.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Animal Fables in Arabic Prose

in the 3rd and 4th Centuries A.H.

by

Suzan El Hillou

Surpervisor

Professor: Salah Jarrar

The study defines fables and their different types. It also studies the origins of fables and their development through ancient world and Arabic literature by reference to books written in the third and the fourth Islamic centuries of Hijra. The study depicts fables, whether these are passed over from previous generations or actually written in these centuries. It also approaches these fables in light of the characteristics and events of this era in order to reveal the intended themes of the authors. Further, it adopts an interdeciplinary methodology in analyzing these fables.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit